



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات القرآنية والفقه

الكُبرياتُ المُتَوَارِدَةُ فِي النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ - دِرَاسَةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ -

رسالة مقدمة الى مجلس كلية العلوم الإسلامية /جامعة كربلاء

وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

كُتِبَتْ مِنْ قِبَلِ الطَّالِبَةِ

سارة فارس جليل رجب

بإشراف

أ.م.د. آيات عبد الوهاب عبد الرزاق

الآية القرآنية

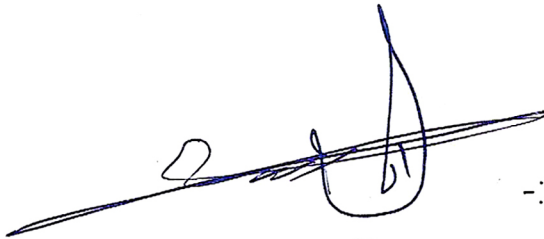


﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء: ٧٣

صدق الله العلي العظيم

ترشيح الرسالة للطبع

نظراً لإنجاز رسالة الماجستير (فصولها ومباحثها) الموسومة بـ (الكُبرياتُ المتَوَارِدَةُ في النبوة والإمامة - دراسةٌ تفسيريّةٌ -) لطالبة الماجستير (ساره فارس جليل رجب) فأني أرشحها للطبع.



التوقيع :-

المشرف :- د.م.آيات عبد الوهاب عبد الرزاق

مكان العمل :- جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ :- ١٢ / ١٢ / ٢٠٢٠

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (الكُبرياتُ المتَّواردةُ في النبوة والإمامة - دراسةٌ تفسيريةٌ -)
التي قدمت من قبل الطالبة (ساره فارس جليل رجب) وقد تم إعدادها بإشرافي في جامعة
كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير؛ الشريعة والعلوم
الإسلامية .

التوقيع:-

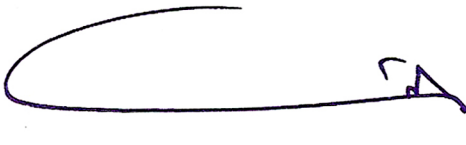

المرتبة العلمية:- استاذ مساعد

الإسم:- آيات عبد الوهاب عبد الرزاق

مكان العمل:- جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ:- ١٧ / ١٢ / ٢٠٢٤

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع:-


الإسم:- د.عمار محمد حسين الانصاري

التاريخ:- ٢ / ٢ / ٢٠٢٥

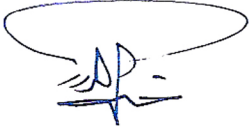
شهادة الخبير اللغوي

(الموسومة

اطلعت على رسالة/ أطروحة الطالب/هـ)

بـ (الكبرى المتواردة في النبوة والإمامة دراسة تفسيرية

(وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .



التوقيع:

المرتبة العلمية: أستاذ مساعد دكتور

الاسم: خالد عبد النبي عريان

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٥ / ٩ / ٢٠٢٠ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه رسالة الماجستير الموسومة
ب (الكُبريات المتواردة في النبوة والإمامة - دراسة تفسيرية -) وناقشنا الطالب/
(سارة فارس جليل رجب) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير
(امتياز) لنيل شهادة الماجستير ، في الشريعة والعلوم الإسلامية .



أ.م.د. محمد ناظم محمد

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

رئيساً



أ.م.د. فردوس هاشم أحمد

جامعة وارث الأنبياء/كلية العلوم الإسلامية

عضواً



أ.م.د. آيات عبد الوهاب عبد الرزاق

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً ومشرفاً



م.د. أحمد جايد بدر

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً

صدق في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع:

الاسم: أ.د. محمّد حسين عبود الطائي

العميد

التاريخ: ١٤ / ٥ / ٢٠٢٠

الإهداء

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا الْمُزْتَضَى ، الإمامِ التَّقِيِّ النَّقِيِّ ، وَحُجَّتِكَ
عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى ، الصِّدِّيقِ الشَّهِيدِ ، صَلَاةً كَثِيرَةً نَامِيَةً
زَاكِةً مُتَوَاصِلَةً مُتَوَاتِرَةً مُتَرَادِفَةً ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ (١)

إلى الإمام النجيب والبعيد القريب...

إلى فرحة القلوب وفرج المكروب وشريف الأشراف ومفخر عبد مناف

إلى البهجة الرضوية والأخلاق الرضية

والغصون المتفرعة عن الشجرة الأحمدية (٢)

مولاي وأنيسي ومأمني وملادي وشمسي وسلطاني

علي بن موسى الرضا المرتضى عليه السلام الراضي بالأقدار والقضاء

حين توجهت إليك واستغثت بك في حيرتي

أهديتني عنوان رسالتي في منامي

وها أنا أهديك جهدي الذي لم يكن إلا بتسديد وتوفيق منك

فإن كنت قبلت دعباً سيدي فقبل مني بضاعتي المزجاة

وتصدق عليّ بجلباب رضاكم أشفع به عند ربي ليبيض وجهي في يوم افلاسي

وتقصيري .. إن الله يجزي المتصدقين

الباحثة

(١) كامل الزيارات ، ابن قولويه: ٥١٣ ب ١٠٢ ح ١ .

(٢) ينظر : بحار الانوار ، العلامة المجلسي : ٥٣ / ٩٩ (الزيارة الجوادية)

الشكر والعرفان

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (١)

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : مكتوب في التوراة:

﴿اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا

بقاء لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير﴾ (٢)

في بداية كلمتي أشكر الله عزّ وجلّ ورسوله الكريم وآل بيته الطيبين الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) على إتمام الفضل والنعمة عليّ في إنجاز هذا العمل بالتوفيق والسداد ، والذي نويت فيه القربى لهم، فأسأل الله أن يتقبل مني بأحسن القبول .

وعرفاناً مني بالجميل وأقل ما يبدر مني في هذا المقام هو أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى استاذتي الحبيبة الفاضلة (أ.م.د.آيات عبد الوهاب عبد الرزاق) فقد كان لإشرافها التأثير الأكبر في خروج هذه الرسالة العلمية بالشكل الذي ظهرت عليه ، فكانت توجيهاتها ونصائحها المنارة التي استعنت فيها في كامل عملي البحثي ، فلها خالص الشكر والامتنان وأسأل الله العزيز القدير أن يجازيها خير الجزاء .

والشكر موصول الى والدي العزيز المهندس (فارس جليل الربيعي) فقد كان تشجيعك بمثابة نور هادٍ، وأنا ممتنة للثقة والعزيمة التي غرستها فيّ ، والى والدتي الكريمة منهل الخير شكراً لدعائك وتربيتك لأكون أنا .

والى سندي وقوتي وثباتي زوجي خادم أهل البيت عليه السلام (فارس فائز كماز) أحتاج قلبك لشكر مني؟! لا يا عزيزي، إنما إن أفنيت عمري في شكرك لا يوافي جميل صبرك معي .

(١) سورة لقمان : ١٢ .

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري: ١٤٨٧ / ٢ .

كما أجد نفسي ملزمة بأن أشكر كل من أبدى لي المساعدة بالمشورة العلمية وأخص منهم فضيلة الشيخ (فاضل الصفار) وفضيلة الشيخ (مرتضى معاش) و(أ.م.د. خالد عبد النبي عيدان) الذين لم ييخلوا عليّ من وقتهم الثمين ولم يرجوا من ورائه إلا وجه الله تعالى ، أسأل الله أن ينير دروبهم بنور أنواره وبفيض خيراته.

كما أخص بفائق الشكر والتقدير والاحترام الى كلية العلوم الاسلامية المتمثلة بعميدها المحترم (أ.د. محمد حسين عبود الطائي) واساتذتها الافاضل وأخص بالذكر رئيس علوم القرآن والفقه (أ.د. عمار محمد حسين الانصاري) و(أ.د. ضرغام كريم الموسوي) و(أ.م. د. مسلم جواد الجزائري) لعنايتهم الأبوية خلال مدة الدراسة فجزاهم الله عني أفضل الجزاء.

والشكر موصول الى أستاذي (د. السيد مرتضى جمال الدين) الذي وضع لي الحجر الأساس في شق طريق علوم أهل البيت (عليهم السلام) أسأل الله أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ في الدنيا والآخرة.

والشكر والامتنان الكبيرين الى السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة الكرام الذين سيغنون رسالتي بالملاحظ وأجد ما فاتني من الملاحظات القيمة والسديدة لجعل رسالتي بالمستوى المقبول، وفقهم الله تعالى للخير والصلاح.

وإذا فاتني أن أذكر أحداً ممن منح وأعان فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، فجزى الله الجميع بإسمه الجامع .

الخلاصة

ان من يطلّع على مفهوم النبوة والإمامة يجد أنّ هناك صفات وسمات لا يُمكن أن تتجرد عنهما في حال من الأحوال ، وهذا الإشتراك والإتفاق بينها هو مقصود لتحقيق غاية البعث .

تتناول هذه الرسالة دراسة تفسيرية لمفهوم "الكُبريات المتواردة" في إطار النبوة والإمامة، حيث تستعرض الصفات الجوهرية التي اشتركت في النبوة والإمامة ، فقد جعل الله تعالى لهم صفات وخصوصيات عديدة جَمَعَتها الباحثة تحت كُبريات رئيسية وهي :

١. الطهارة :

توارد الطهارة العامة المطلقة في النبوة والإمامة ، فقد امتزجت فيهم الطهارة بنوعيتها المعنوي والمادي ، أما المعنوية فقد طَهَرُوا من دنس الذنوب والكفر والجهل ومن جميع الفواحش والرذائل ، ومن العيوب الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة ، فقد وُجِدُوا على صفة الطُّهر حين أخذ الله الميثاق على ربوبيته في عالم الذر، فأخلصوا العبودية لله تعالى قبل أن يخلق الله خلقه في عالم الدنيا .

وفي الطهارة المادية فقد جعل الله تعالى الأنبياء والأوصياء من أسرة واحدة من النبي آدم عليه السلام إلى الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) يتناقلون في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطَهَّرة الزكية ، طُهِرَتْ ولادتهم وطُهِرَتْ أجسامهم من كل حَدَث أو خَبَث ، لم تقرب لهم النجاسة بشكل من الأشكال.

٢. الولاية :

توارد الولاية العامة المطلقة في النبوة والإمامة ، التشريعية بأن لهم الهيمنة والحاكمية والإتباع وحق التشريع وتقنين الأحكام كما أراد الله سبحانه، وبذلك جعل الله تعالى لهم حق الطاعة على العباد والتسليم لهم والرضا بقولهم والصلاة عليهم ، وفرض نصرتهم ومودتهم والبراءة من أعدائهم .

والتكوينية بأن لهم السلطنة المطلقة والقوة للنفوذ في عالم الخلق والطبيعة ،
والتصرف في عالم التكوين مستنداً الى إذن الله عز وجل.

٣. الغيبة:

تواردت الغيبة في النبوة والإمامة ، وهي تمثل مرحلة ضرورية في مسيرة
الأنبياء والأوصياء، حيث تؤكد على اختبار الأمة في الإيمان والثبات ، فيغيّب الله
تعالى عنوان أو هوية بعض أوليائه مع إحاطتهم التامة بما يجري على الناس ،
فيستتر عن الناس بأمر من الله عز وجل وذلك لمصلحة كتأديب قومه أو خوفه من
القتل ، وغيرها من الدواعي .

٤. الرجعة:

تواردت في النبوة والإمامة الرجعة التي هي معاد جسماني أصغر ، وهي بعث
موقوت في عالم الدنيا وقبل يوم القيامة ، فيعودون إلى الحياة الدنيا بعد موتهم
ويحيون على هذه الأرض حياة ثانية إلى أن يموتوا مرة أخرى ، وهم الأنبياء عليهم السلام
والأئمة عليهم السلام ، ومجموعة محددة من الناس ليبدل المحقين من المبطلين والمظلومين
منهم من الظالمين ، وقد حصلت في الأمم السابقة كما حصل في زمان بني اسرائيل
، وستحصل في الزمن المستقبل وذلك عند قيام الإمام المهدي المنتظر (عجل الله
فرجه الشريف) .

أما في المعاد الجسماني الأكبر حين يبعث الناس جميعاً يوم القيامة ليلاقوا
حسابهم ، يكون للأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام الدور المركزي في عرصات يوم القيامة
فيشهدون بأنهم بلّغوا قومهم ما تقوم به عليهم الحجة ، ويشفعون بإذن الله تعالى لمن
يريدون من الخلق المذنبين الذين استحقوا دخول النار ، كما أن الميزان في رجحان
الأعمال إنما هو بقدر الإيمان بهم ، والإعتقاد بولايتهم ، والإهتمام بهم .

قائمة المحتويات

أ	الآية القرآنية.....
ب	الإهداء.....
ت	الشكر والعرفان.....
ج	الخلاصة.....
خ	قائمة المحتويات.....
١	المُقدِّمة.....
٩	التمهيد : الإطار المفاهيمي لمفردات العنوان.....
١٠	المطلب الأول : معنى الكبريات في اللغة والاصطلاح.....
١٦	المطلب الثاني : معنى التوارد في اللغة والاصطلاح.....
١٨	المطلب الثالث : معنى النبوة في اللغة والاصطلاح.....
٢١	المطلب الرابع : معنى الإمامة في اللغة والاصطلاح.....
٣٦	المطلب الخامس : المعيار في تحديد الكبريات.....
٤٤	الفصل الأول : الكبريات المتواردة في طهارة النبوة والإمامة.....
٤٨	المبحث الاول : الطهارة المعنوية.....
٥٢	المطلب الأول : توارد الطهارة المعنوية في النبوة والإمامة.....
٥٦	المطلب الثاني : توارد مدة العصمة في النبوة والإمامة.....
٦١	المبحث الثاني : الطهارة المادية.....
٦١	المطلب الاول : توارد طهارة الأصلاب والأرحام في النبوة والإمامة.....
٦٣	أولاً : توارد الخلق في النبوة والإمامة.....
٦٥	ثانياً : توارد طهارة الأصلاب والأرحام.....
٧٦	المطلب الثاني : الطهارة الجسدية.....
٧٦	أولاً : في معنى الرجس.....

٧٩	ثانياً : في معنى أهل البيت.....
٨٣	ثالثاً : طهارة مدفوعات النبي والإمام.....
٨٧	رابعاً : طهارة دم النبي والإمام.....
٩١	خامساً: الطهارة من الحدث.....
٩٨	الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....
١٠٢	المبحث الأول: الولاية التكوينية.....
١٠٣	المطلب الأول : توارد الولاية التكوينية في النبوة والإمامة.....
١١٠	المطلب الثاني : مصاديق التوارد في الولاية التكوينية.....
١٢٠	المبحث الثاني : الولاية التشريعية.....
١٢٢	المطلب الأول: توارد الولاية التشريعية بين النبوة والإمامة.....
١٢٨	المطلب الثاني : توارد التقية في النبوة والإمامة.....
١٣٥	المطلب الثالث: رافد الولاية التشريعية.....
١٣٦	أولاً: التوارد في العلم اللدني في النبوة والإمامة.....
١٤١	ثانياً : وسائل تحصيل العلم اللدني.....
١٥٨	ثالثاً : أنواع العلم اللدني.....
١٧٣	المطلب الرابع: لوازم الولاية التشريعية.....
١٧٣	أولاً : توارد الطاعة في النبوة والإمامة.....
١٧٨	ثانياً : توارد المحبة في النبوة والإمامة.....
١٨٢	ثالثاً : توارد الصلاة عليهم في النبوة والإمامة :
١٨٤	رابعاً : توارد الإطلاع على الأعمال في النبوة والإمامة.....
١٨٥	الفصل الثالث: توارد الكبريات في الغيبة والمعاد الجسماني في النبوة والإمامة.....
١٨٦	المبحث الأول: الغيبة.....
١٨٧	المطلب الأول: ثبوت الغيبة في النبوة.....
١٩٢	المطلب الثاني: ثبوت الغيبة في الإمامة.....
١٩٥	المطلب الثالث : موارد ثبوت الغيبة في النبوة والإمامة.....
١٩٩	المبحث الثاني: المعاد الجسماني.....

قائمة المحتويات.....

المطلب الأول: توارد المعاد الأصغر في الرجعة للنبوّة والإمامة	٢٠٢
المطلب الثاني : توارد المَعاد الأكبر ليوم القيامة في النبوّة والإمامة	٢٢٠
أولاً: توارد الشهادة على الخلق في النبوّة والإمامة	٢٢١
ثانياً : توارد الشفاعة في النبوّة والامامة	٢٢٦
الخاتمة	٢٣٩
نتائج البحث	٢٣٩
التوصيات	٢٤٢
المصادر والمراجع	٢٤٤
الملخص باللغة الإنجليزية	A

المُقَدِّمَة

المُقَدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلهي تصاغر حمدي وشكري وثنائي أمام مَنِّكَ وإنعامك وإحسانك ، فأعود وأقول الحمد لله الذي بلطفه وحكمته سنّ لنا مبدأ النذارة، بإرسال الصفوة من خلقه بالسفارة ، فكانت أيديهم ببراهين النبوة زخاره ، فجاهدوا لتثبيت دين الله وإقراره ، وأصلي وأسلم على إمام الأنبياء والمرسلين ، وحبیب رب العالمين ، وقائد المحشر يوم الدين ، وعلى آله فلك النجاة، ومصابيح الظلمات، والمعلمين الهداة ...

لقد حظيت قضايا النبوة والإمامة بأهمية بالغة في الفكر الإسلامي، حيث تُشكل محوراً أساسياً في البناء العقدي والتشريعي للأمة الإسلامية ، وتُعدّ الكُبريات المتواردة بين النبوة والإمامة من الموضوعات العميقة والمتشابكة ، التي تتناول الأسس المشتركة والجوانب التكميلية بينهما.

فإنّ دراسة هذه الكُبريات تُسهم في كشف الروابط الفكرية والمنهجية التي تربط بينهما ، مما يُعزّز فهماً لمكانة النبوة والإمامة في تشكيل الهوية الإسلامية وبناء المجتمع.

• أهمية الموضوع وأهدافه:

تُعدّ النبوة والإمامة أهم المقامات الإلهية في البنية العقدية والفكرية للدين الإسلامي، وقد حظيتا باهتمام بالغ في نصوص القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة، فقد عُنِيَ الوحي الإلهي ببيان دور النبوة بوصفها الوسيلة التي يُوصل الله تعالى من خلالها هدايته إلى البشر، كما أولى أهمية خاصة لمسألة الإستخلاف والإمامة، بوصفها الامتداد الطبيعي للنبوة في مهمة حفظ الدين وقيادة الأمة، وتُبرز سير الأنبياء والأئمة عليهم السلام في طياتها العديد من المواقف التي تجسد هذه الحقيقة وتؤكد عمق الارتباط بين المقامين.

فالنبوة والإمامة أصلان أساسيان من أصول الدين الإسلامي، تقوم عليهما كثير من المفاهيم العقائدية والتشريعية.

ورغم هذه الأهمية الفائقة ، فإن المتأمل في التراث الإسلامي يلحظ أن العناية العلمية بمقارنة النبوة بالإمامة من حيث الجوهر والدور والوظيفة لم تكن على قدر كافٍ من التوسع والتأصيل، إذ غالباً ما عُولج كل منهما في سياق مستقل، دون إبرازٍ كافٍ لما بينهما من مشتركات بنيوية ووظيفية، ولا سيما ما يتعلق بطبيعة العلاقة التكميلية بينهما في مشروع الهداية الإلهية.

ومن هنا، جاءت أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى تسليط الضوء على الصلة بين النبوة والإمامة، وبيان تكامل أدوارهما، والكشف عن المكانة الحقيقية للإمامة في ضوء المفاهيم القرآنية والتفسيرية، بما يسهم في تجسير الفجوة المعرفية في هذا المجال، ويفتح أفقاً لفهم أعمق لأصول الدين ومقاصده العليا.

ومن الأهداف التي تسعى الدراسة إلى بيانها إثبات مقام النبوة والإمامة قرآنياً ، وإشتراكهم في الصفات والمراتب والصلاحيات بأوسع ما ذكرته كتب الكلام الإسلامي باتفاق الفرق والمذاهب الإسلامية .

• سبب إختيار الموضوع:

إنطلاقاً من حديث المعصوم عليه السلام المتمثل بزيارة عاشوراء بالخصوص عبارة ((وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ)) كان لزاماً على الباحثة أن تسعى في إظهار مقام الإمامة بالمنزلة التي جعلها الله تعالى لهم ، وإظهار المقام الذي أشركه الله تعالى لهم مع مقام النبوة بوصفه من المناصب الإلهية التي تؤدي نفس الوظيفة في التبليغ وهداية الناس ، إضافة إلى إيمان الباحثة واعتزازها بمن جعلهم الله باباً يتوجه إليه من أراده ، وهم محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام ، فإن طلب معرفتهم فيه خير الدنيا وخير الآخرة ، فجمعت الباحثة بين الخيرين .

• الدراسات السابقة:

إن الدراسات حول مقام النبوة والإمامة تُعتبر محورية في الفكر الإسلامي ، لذا فقد كُتبت الكثير من الأبحاث والدراسات ومواقع الأنترنت عن هذين المفهومين ، أقتصر على ذكر بعضاً منها والأقرب لعنوان البحث وهي :

- ١ - رسالة ماجستير بعنوان (النبوة والإمامة عند الشيعة وأهل السنة دراسة عقديّة مقارنة)، إعداد الطالبة نسبية حسام محمد ، إشراف الدكتور أحمد جابر العمصي ، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية ، غزة ، ١٤٣٤ - ٢٠١٣ م .
- وكان هدف الرسالة ومحورها حسب ما ذكرت الباحثة في أهداف الرسالة ، هو بيان بطلان العقيدة الشيعية الإمامية الاثنا عشرية في صفات ووظائف الأنبياء وبيان أقوال علمائهم وموقف أهل السنة والجماعة منهم في الرد عليهم .
- ٢ - بحث محكم منشور في مجلة كلية الآداب ، جامعة المنوفية ٢٠٢٢م (العلاقة بين النبوة والإمامة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية (تحليل ومقارنة) للدكتور علي إمام عبيد ، بحث أهم خصائص النبوة والإمامة عند الإمامية من خلال تحليل ومقارنة أقوال المتكلمين ، ومقارنتها مع بعض الروايات الشيعية ، وكانت نتيجة بحثه :

- ١ - التطابق في قضية التلقي عن الله بين النبي والامام .
- ٢ - التطابق التام بين الأنبياء والأئمة في قضية العصمة لديهم.
- ٣ - الإتفاق على المساواة في الحاجة للمعجزة الى طريق العلم بهما والدلالة على صدقهما .

- ٤ - ان النبوة والإمامة بمنزلة واحدة من جهة وجوب الايمان والكفر بالجحود .
- وبما أن رسالتي (الكُبريات المتواردة في النبوة والإمامة) هي رسالة عامة تبحث في جميع المسائل المتعلقة بالنبوة والإمامة ، لذا يوجد رسائل او بحوث تتناول أحد جوانب الرسالة ، وما يميز رسالتي أنها ترصد التوارد بين النبوة والإمامة من خلال البحث المعمق في كل الصفات التي جعلها الله تعالى لهذه المناصب الإلهية ، من خلال الرجوع الى آيات القرآن وتفسيرها من الكتب

التفسيرية وتعريضها بالسنة الشريفة ، وهي دراسة موضوعية فلم تكن الغاية إثبات أو نفي بطلان عقيدة معينة ، بل كان الهدف هو البحث في مقام النبوة والامامة وما لها وما عليها من منظور قرآني ، وليس منظور عقائدي بحث كما في هذه البحوث التي ذكرت أعلاه .

• مشكلة البحث:

إن بعض المفاهيم التي لها علاقة وطيدة بمقام النبوة والإمامة ، كالغيبية والرجعة والولاية التكوينية ، قد أسيء فهمها أو تعرضت لتفسيرات جدلية أثرت على وعي الأمة بدورها العقائدي والاجتماعي ، مع ان النبوة والإمامة من القضايا التي استفاض الدليل النقلي من القرآن والأحاديث الشريفة في بيان هذا المقام العالي الشريف ، ففي هذه الدراسة القرآنية يمكن الإفادة من النصوص الشرعية في إثبات هذه الكبريات من منظور قرآني بعد ما صُنفت بأنها عقائدية بحتة ، لذا تسعى الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية:

- ١ - ما طبيعة العلاقة بين النبوة والإمامة، وكيف تتكامل أدوارهما في إطار المفاهيم العقدية الكبرى؟
- ٢ - ما دلالات الولاية التشريعية والتكوينية ، وما أثرها في تعزيز الدور الالهي للنبوة والإمامة ؟
- ٣ - هل أن الغيبة من السنن الالهية التي جرت للإمامة دون النبوة ؟ وهل تعد كبرى من الكبريات المتواردة؟
- ٤ - هل يجري المعاد الجسماني الأصغر في المستقبل ؟ أم هو خاص للأمم السابقة؟ وهل يتوارد جريانه في الإمامة كما جرى للنبوة سابقاً؟
- ٥ - ما الدور الذي يؤديه الأنبياء في عرصات يوم القيامة ؟ وهو يتوارد ذلك مع الإمامة؟

• فرضية البحث

لا شك أنّ مقام كل من النبوة والإمامة هو من المقامات الاصطفائية والمناصب الربانية التي يعهد بها الله تعالى مع من يختاره من خلقه ، ليكون نبياً أو إماماً يُبلغ

رسالته ، وعلى هذا فإن البحث يطرح فرضية تلازم بين كل من المقامين أو المنصبين الإلهيين في التكوين تارة وفي التشريع تارة أخرى ، وهو ما تسعى إليه الباحثة جاهدة لتكشف الكبريات المتواردة بين كل منهما .

• الصعوبات التي واجهت الدراسة:

إن الخوض في مسائل العقيدة عند المفسرين واستقراء آرائهم ، ليست بالمهمة اليسيرة ، فهي موضوعات تمتاز بالدقة والصعوبة في آن واحد، لذلك بذلت الباحثة جهداً مضاعفاً في فهم تلك المسائل الاعتقادية والتأكد من العقيدة الحقة قبل تبنيها وإثباتها في هذه الرسالة ، وأما ثاني الصعوبات التي واجهتها في البحث هي السعة الكبيرة للموضوع وتشعبها .

• منهج البحث:

إعتمدت الدراسة على منهج تفسيري وصفي استقرائي استند إلى النصوص القرآنية والروائية في تحديد الكبريات المتواردة بين كل من مقام النبوة والإمامة ، وعمدت الى تعريف كل كبرى من الكبريات وبيان معناها في الاصطلاح القرآني ودعم توارده هذه الكبريات بالآيات القرآنية والمصادر التفسيرية الروائية التي تخصها، فضلاً على آراء المفسرين والعلماء من المذاهب الإسلامية .

• خطة البحث:

تم تقسيم الرسالة على ثلاثة فصول ، سُبقت بمبحث تمهيدي في بيان الإطار المفاهيمي لمفردات البحث ، وهذه المصطلحات هي الكبريات والتوارد والنبوة والإمامة والمعيار في تحديد الكبريات ، ثم الفصل الأول الذي كان بعنوان الطهارة ، ودرسنا في المبحث الأول منه : الطهارة المعنوية ، والمبحث الثاني: الطهارة المادية .

وجاء الفصل الثاني بعنوان الولاية ، حيث درسنا بالمبحث الأول منه : الولاية التكوينية ، والمبحث الثاني : الولاية التشريعية.

وجاء الفصل الثالث والأخير بعنوان : الغيبة والمعاد الجسماني، إذ جاء المبحث الأول منه بعنوان الغيبة ، والمبحث الثاني بعنوان المعاد الجسماني الأصغر المتمثل

بالرجعة والمعاد الجسماني الأكبر ليوم القيامة التي يتمثل فيه دورهم في الشفاعة والشهادة على الخلق ، وختم البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة وقائمة المصادر والمراجع . وأما حدود البحث فإنه سيحاول تسليط الضوء على أبرز التفسير لدى الشيعة الإمامية وغير الإمامية .

• روافد الدراسة

رَكَّزَت الباحثة على إختيار كتب التفسير المُعتبرة من المتقدمين والمتأخرين ، كتفسير التبيان للشيخ الطائفة الطوسي، ومجمع البيان للشيخ الطبرسي ، والميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي ، وتفسير الأمل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، والصافي للفيض الكاشاني ، واعتمدت على التفسير الروائية بشكل ملحوظ ، وذلك أن التفسير الحقيقي للقرآن الكريم منحصر بالنبي الأكرم محمد ﷺ والأئمة المعصومين (عليهم السلام) على نحو الاستقلال الكلي؛ أي تفسيرهم وتدبرهم للقرآن من غير الرجوع لأحد من الأمة، بينما الأمة لها الاستقلال النسبي في تفسير القرآن وتدبره وليس المطلق؛ وذلك بسيرهم على القواعد والأصول والأسس العامة التي وضعت لذلك ، قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : "إنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل فاذا احتاجوا إلى تفسيره فالإهداء بنا وإلينا يا عمرو"^(١) ومن هذه التفسير تفسير علي بن ابراهيم القمي ، والبرهان للسيد هاشم البحراني ، ونور الثقلين للشيخ الحويزي ، وكنز الدقائق وبحر الغرائب للشيخ محمد المشهدي، ومن الكتب الحديثية كتاب الكافي للشيخ الكليني وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ، ومن الكتب الكلامية كتاب النافع ليوم المحشر للعلامة الحلي والفوائد البهية للعلامة محمد جميل العاملي وغيرهم الكثير ، واستفادت الباحثة من موسوعة أهل البيت (عليهم السلام) القرآنية ، كتاب النبوة والإمامة ، إصدار مركز البحوث والدراسات القرآنية ، السيد مرتضى جمال الدين ، واستفادت أيضاً من عدة مقابلات من شخصيات علمية مهمة ، منهم الشيخ فاضل الصفار الذي أمضى على النتائج التي توصلت إليها الباحثة أرفقتها في نهاية الرسالة .

(١) ينظر تفسير فرات الكوفي ، فرات الكوفي : ٢٥٨ .

كما أردفت الرسالة بالكثير من المصادر من المذاهب الإسلامية الأخرى كتفسير جامع البيان لإبن جرير الطبري ، والتفسير الكبير للفخر الرازي، ومعالم التنزيل للبغوي ، و بحر العلوم للسمرقندي ، وتفسير القرآن العظيم لإبن كثير ، وروح المعاني للآلوسي ، و ينابيع المودة للقندوزي ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري .

والقول مني ما قاله محمد وآل محمد

التمهيد

الإطار المفاهيمي لمفردات العنوان

المطلب الاول: معنى الكبريات في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: معنى التوارد في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: معنى النبوة في اللغة والاصطلاح

المطلب الرابع: معنى الإمامة في اللغة والاصطلاح

المطلب الخامس: المعيار في تحديد الكبريات

التمهيد : الإطار المفاهيمي لمفردات العنوان

المطلب الأول : معنى الكبريات في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى الكبريات في اللغة:

الكبريات: وهو اسم تفضيل^(١) مجموع جمع مؤنث سالم مفردة (كبرى) المختومة بألف التأنيث المقصورة^(٢) الزائدة وهي مؤنث (أكبر) ، ولأسم التفضيل أربع حالات^(٣) منها : "أن يكون مُعرِّفاً بالألف واللام ، فحينئذ يكون اسم التفضيل صفة للمفضل ، ولا يذكر المفضل عليه لأن وجود (ال) أغنت عنه " ^(٤)، وفي الحال هذه يجب مطابقته لما قبله في العدد والجنس ، فنقول : المرأة الكبرى ، المرأتان الكبيران ، النسوة الكبريات ..^(٥)

(١) إسم التفضيل : صفة تؤخذ من الفعل لتدل على ان شيئين اشتركا في صفة وزاد احدهما على الآخر فيها ، مثل : خليل اعلم من سعيد وأفضل منه ، وله وزن واحد وهو (أفعل) ومؤنثه (فُعلَى) بضم الفاء وسكون العين كأفضل وفُضلى وأكبر وكُبرى . جامع الدروس العربية ، مصطفى غلاييني : ١ / ١٩٣ .

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار بمساعدة فريق عمل : ١ / ١٢٨ . والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، محمود صافي : ٥ / ٣١٥ .

(٣) وهي : ١- أن يكون مجرداً من أل والاضافة ، ٢- أن يكون معرفاً بآل ، ٣- أن يكون مضافاً إلى نكرة ، ٤- أن يكون مضافاً إلى معرفة . فان (أفعل) له منها ثلاثة استعمالات ، أحدهما :اضن يكون معها (من) ظاهره او مقدرة ، أو مضافاً إلى نكرة ، الثاني :أن تدخل عليه (أل) فيتعرف بها ، الثالث : أن يضاف إلى معرفة . وأما (فعلَى) فلها استعملان : أحدهما بالألف واللام ، والثاني الإضافة إلى معرفة . اللباب في علوم الكتاب ، سراج الدين النعماني : ٢ / ٢٣٨ . وينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل الهمداني : ٢ / ١٦٥ . وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ، ناظر الجيش : ٦ / ٥٧٧ .

(٤) النحو العربي ، إبراهيم بركات : ٣ / ٥٧٣ . وينظر: شرح تسهيل الفوائد ، محمد بن عبدالله جمال الدين : ٣ / ٥٨ .

(٥) ينظر : شرح تسهيل الفوائد ، محمد بن عبدالله جمال الدين : ٣ / ٥٨ . وشرح ألفية ابن مالك ، زين الدين بن الوردي : ٢ / ٤٧٣ .

ولذلك جاءت (الكبريات) في العنوان مجموعة جمع مؤنث سالم ؛ لأنها جاءت معرفه بالألف واللام ، فطابقت المفضل الذي أريد وصفه وتفضيله والمقدّر ب(الصفات المتواردة) فطابقتها في الجمع والتأنيث

وتجمع مؤنثاً بالألف والتاء ، ويمكن أيضاً تكسيروها تكسير الأسماء على (فُعْل) (١) ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ (٢)

ويشيع استعمال (أفعل التفضيل) المعرف ب(أل) للمذكر والمؤنث دون تفريق بينهما ، فيقال : الدولة الأعظم ، والقوة الأكبر ، وجميع ذلك ومثله كثير - خطأ ، والصواب هو : الدولة العظمى لا الأعظم ، والقوة الكبرى لا الأكبر " (٣) ، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ (٤) وعُرفت الكبرى في المعاجم اللغوية بأنها تأنيث (الأكبر) ؛ لذلك كان مدار البحث حول معنى (الأكبر) بالرجوع الى اشتقاقها اللغوي من جذر (ك ب ر) فيلاحظ بالبحث وتتبع المعاني أنّ هناك اتفاقاً في التعاريف اللغوية التي وردت فيها وهي (٥):

- ١ - خلاف الصغر
- ٢ - التجبر ان يرى نفسه أكبر من غيره
- ٣ - كبر قومه إذا كان أكبرهم في النسب
- ٤ - الرفعة في الشرف ، أكابر القوم عظمائهم وشرفائهم
- ٥ - كابر كبير في الشرف

(١) حيث نزلوا ألف التأنيث فيه منزلة التاء التي تُلحق للتأنيث ف(الكبرى) و(الكبر) بمنزلة (الظلمة) و(الظلم) ، ينظر: المقتضب ، أبو العباس المبرد : ٢ / ٢٠٠ .

(٢) سورة المدثر : ٣٥ .

(٣) معجم تصحيح لغة الأعلام العربي ، عبد الهادي أبو طالب : ١ / ٢٩ .

(٤) سورة الاسراء : ١ .

(٥) ينظر :كتاب العين ، الخليل ابن أحمد الفراهيدي : ٥ / ٣٦١ . والصاحح تاج اللغة ، الفارابي : ٢ / ٨٠٢ . والمحيط في اللغة ، ابن عباد : ٦ / ٢٦٥ . ومقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ١٥٤ . وأساس البلاغة ، محمود الزمخشري : ٢ / ١١٩ . ومختار الصحاح ، زين الدين الرازي : ٢٦٥ . ولسان العرب ، ابن منظور : ٥ / ١٢٥-١٣١ . وتاج العروس ، مرتضى الزبيدي : ٤ / ٧-٩ .

٦ - التعظيم ، أكبر شيء أعظم

٧ - أكبر اسم تفضيل للمقارنة أو الاطلاق (١)

٨ - الكبرى المتميزة عن غيرها في الشمول ، والأكبر: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: أكمل الموجودات وأشرفها، وأكبر من كلّ ما سواه(٢)

ثانياً: مصطلح الكبريات في الاصطلاح القرآني :

لم تجد الباحثة تعريفاً اصطلاحياً بحسب اطلاعها ، لذا كان من الواجب أن تُعَرِّج على القرآن الكريم وتفسيره لمعرفة المعاني التي وردت في هذا المفهوم ، وهل أن الخطاب القرآني استعمل أسلوب التفاضل في أمر ما لبيان أهميته وعظمته؟ فكان ذلك ينتبج الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم التفضيل ، فإن صيغة (أفعل) المذكر أي (أكبر) في اثنين وعشرين موضعاً في القرآن الكريم (٣) ، أما صيغة (فُعل) (المؤنث أي (كُبرى) فقد وردت في ست آيات (٤) ، كما وردت بصيغة جمع التكسير على وزن (فُعل) أي (كُبر) في موضع واحد (٥) ، ولم ترد بصيغة جمع المؤنث السالم بإضافة الألف والتاء (الكُبريات) .

وبعد استقراء المواضع التي جاءت فيها (فُعل) التفضيل في القرآن الكريم والاطلاع على الآراء التفسيرية ، تبين أن الخطاب القرآني استعمل مفردة (الكبرى) لتعظيم الشيء الذي أطلق عليه وتفضيله ، ومن هذه الآيات :

١- في قوله تعالى : ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (٦)

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين المناوي القاهري : ٢١٦ .

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار : ٣ / ١٨٩٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢١٧ (وردت مرتين) و ٢١٩ . وسورة آل عمران : ١١٨ . وسورة النساء : ١٥٣ . وسورة الأنعام : ١٩ و ٧٨ . وسورة التوبة : ٣ و ٧٢ . وسورة يونس : ٦١ . وسورة النحل : ٤١ . وسورة الإسراء : ٢١ . وسورة الأنبياء : ١٠٣ . وسورة العنكبوت : ٤٥ . وسورة السجدة : ٢١ . وسورة سبأ : ٣ . وسورة الزمر : ٢٦ . وسورة غافر : ١٠ و ٥٧ . وسورة الزخرف : ٤٨ . وسورة القلم : ٣٣ . وسورة الغاشية : ٢٤ .

(٤) سورة طه : ٢٣ . وسورة الدخان : ١٦ . وسورة النجم : ١٨ . وسورة النازعات : ٢٠ و ٣٤ . وسورة الأعلى : ١٢ . وسورة المدثر : ٣٥ .

(٥) سورة المدثر : ٣٥ .

(٦) سورة الأعلى : ١٢ .

وصفت النار في الآية القرآنية بالكبرى، وبالجمع بين الآراء التفسيرية في السبب من تعظيم نار الآخرة وتفاضلها على غيرها من النيران هو :

أ- "لكبر حجمها نظراً لنار الدنيا ، أو نظراً لغيرها من نيران الآخرة" (١)

ب- "لشدة حرارتها وألمها نظراً لنار الدنيا" (٢)

ت- "لعلوها في المرتبة لأن نار جهنم طبقات" (٣)

٢- وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ (٤)

وصفت الطامة في الآية القرآنية بالكبرى " أي الداهية العظمى" (٥)، وبالجمع بين آراء المفسرين في سبب هذا التعظيم : "لأنها تنسي الانسان سائر المصائب التي مرت به" (٦) " ولدوامها وعدم انقطاعها" (٧) "ولعدم القدرة على دفعها" (٨)

٣- وقوله تعالى : ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ (٩)

وصفت الآية القرآنية المعجزة التي أراها النبي موسى ﷺ لفرعون بالكبرى : "أي المعجزة العظيمة" (١٠) ، والسبب في تعظيم هذه الآية وتفاضلها على غيرها من الآيات التي جاء بها موسى ﷺ هو : "إنها كانت المقدم والأصل ، والآيات الأخرى كالتبع لها" (١١)

(١) ينظر: تفسير بحر العلوم، ابو الليث السمرقندي : ٣ / ٥٥٠ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ١٠ / ٣٣١ .

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن ، محمد الطبري : ٣٠ / ١٠١ .

(٣) ينظر: تفسير مقتنيات الدرر ، مير سيد علي الحائري : ١٢ / ١٣٠ . مناهج البيان في تفسير القرآن ، محمد باقر المياجي : ٣٠ / ٤٠٣ .

(٤) سورة النازعات : ٣٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ١٩ / ٢٠٧ . وتفسير المعين، محمد الكاشاني : ٣ / ١٦٣٢

(٦) مفاهيم القرآن ، الشيخ السبحاني : ٨ / ١٣ .

(٧) تأويلات اهل السنة ، أبو منصور الماتريدي : ١٠ / ٤١٣ .

(٨) التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة : ٥ / ٢٢٤ .

(٩) سورة النازعات : ٢٠ .

(١٠) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ١٠ / ٢٥٨ .

(١١) زبدة التفاسير ، فتح الله الكاشاني : ٧ / ٣٢٣ .

٤- قوله تعالى :﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾^(١) ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾^(٢) وهي الآيات التي رآها رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج ، وآراء المفسرين في سبب تعظيمها على غيرها من الآيات هو :

أ- "إنه ﷺ قد رأى من آيات ربه مما لم يقع لبشر غيره"^(٣)

ب- "لتجليات مخصوصة في تلك الآيات"^(٤)

ت- "إنه ﷺ رأى من الآيات ما لا يحيط به الوصف"^(٥)

أما المواضع التي جاءت فيها (أفعل) التفضيل للتعظيم ، منها قوله تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٦) ، فجاءت أكبر بمعنى أعظم ، وتفسير الآية الكريمة : "هو أن الفتنة في الدين وهي الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام"^(٧) ، "فتفاضلت الفتنة على القتل لأن الشرك بالله أعظم في العقوبة والإثم"^(٨)

يتضح مما تقدم أن الكبريات في الخطاب القرآني صفة يراد بها التفاضل والتمييز في المسألة التي تدور حول موضوع معين ، فيكون الجزء الأشد خطورة أو الأكبر سعة أو الأعظم مرتبة أو الأكثر استخداماً أو الأعلى شأناً هو الذي يطلق عليه (الكبريات).

ثالثاً : مصطلح الكبريات في الدراسات الإسلامية :

في صدد تتبعي القاصر لم ألحظ استخدام متخصصي علم الكلام والفلاسفة لمصطلح الكبريات فيما يرتبط بالنبوة والإمامة ، فيما استخدمه المتخصصون في المجالات والعلوم الأخرى ، سنعرضها في البحث لبيان المراد من دلالات استخداماتها المتنوعة التي تتفق مع مسار البحث في الرسالة ، وقد تبتعد لتحديد في

(١) سورة النجم : ١٨ .

(٢) سورة طه : ٢٣ .

(٣) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب : ١٤ / ٥٩٧ .

(٤) التفسير المظهري ، محمد ثناء الله المظهري : ٩ / ١٢٣ .

(٥) فتح القدير ، محمد الشوكاني : ٥ / ١٠٧ .

(٦) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٧) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ٢ / ٢٠٧ .

(٨) التفسير الكبير ، سليمان الطبراني : ١ / ٣٧١

نهاية المطاف المراد من استخدام مصطلح الكبريات المراد من البحث ، ومن المجالات التي اعتمد فيها المتخصصون مصطلح الكبريات هي ما يلي :

١ - الفقه الإسلامي : استخدم الفقهاء مصطلح (البينونة الكبرى) على الطلاق الذي إكتمل فيه عدد الطلقات في حق الزوجة لاختلافه عن الحالة الطبيعية وهو وجوب الزواج من رجل آخر^(١)

٢ - التشريع الجنائي الإسلامي: تكون عقوبة السرقة إما الحد أو التعزير ، وأما أخذ المال على سبيل المغالبة بعلم المجني عليه لكن بغير رضاه فقد أُطلق عليه (السرقة الكبرى) لعظيم ضررها على المجتمع.^(٢)

٣ - علم الأصول : اطلق الاصوليون مسمى الكبريات على القواعد التي يركز عليها قياس استنباط الفقهاء للأحكام الشرعية الفرعية الكلية أو الوظائف المجعولة من قبل الشارع أو العقل عند اليأس من تحصيلها من حيث الموازنة و التقييم^(٣)

٤ - علم الحديث : حيث اطلقوا على كبار التابعين ب(الطبقة الكبرى) وذلك لأن هذه المجموعة تميزت عن غيرها بالأفضلية كون روايتهم عن كبار الصحابة حصراً ، بينما الطبقات الاخرى قد كثرت روايتهم عن الصحابة والتابعين والكبار منهم ، ولم يلتقوا إلا بالعدد القليل^(٤)

٥ - علوم القرآن : واطلق القراء على أحد انواع الإمامة ب (الإمالة الكبرى) : وهي تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص ، ولا اشباع فيه ، وذلك لأنها لو زادت درجة الإمامة فيها لصارت الألف ياء^(٥)

(١) ينظر: معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعه جي : ١٠١ . والفقه الميسر ، عبد الله الطيار : ١٠٥ / ٥ .

(٢) ينظر: المبسوط ، محمد السرخسي : ٩ / ١٣٣ . والتشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، عبد القادر عودة : ٥١٤ / ٢ .

(٣) ينظر :الأصول العامة للفقه المقارن ، محمد تقي الحكيم : ٤١ .

(٤) ينظر : منهج النقد في علوم الحديث ، عتر نور الدين : ١٤٨ .

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي : ٢٩٩ / ١ .

٦ - علم الكلام : حيث يعتقد بعض المتكلمين ، بأن هناك قيامتين للإنسان، فاطلق (القيامة الكبرى) خروج الناس من قبورهم للحساب فهي أوسع وأعظم من القيامة الصغرى التي تكون بموت الإنسان وحده (١)

٧ - علم النحو : وفرّق النحويون بين الجمل ، فالجملة (الكبرى) هي الجملة الإسمية التي خبرها جملة (٢)

يبدو للباحثة مما تقدم أن مصطلح الكبريات هو مصطلح متداول في مجال الدراسات الإسلامية للشيء الأكثر أثراً وفعالية في مجال العلم لتفاضلها عن جنسها بشيء معين ، ويدل ذلك على أهمية هذا المصطلح في بيان أهمية موضوع معين ، وهو ما يميل إليه البحث ، فلا يكاد المراد من الكبريات في البحث أن ينفك عن هذه الدلالة ، بمعنى أن هناك الكثير من الصفات لكن إختارنا منها صفات وخصوصيات تفاضلت على غيرها من الصفات والخصوصيات ، لأنها وردت في النبوة والإمامة على حد سواء فكانت من المشتركات الكبرى ، كونها تواردت في من هم أفضل خلق الله تعالى ، وهم حملة رسالاته والمبلغين عنه ، وهو ما تدور عليه مباحث الرسالة ومطالبها.

المطلب الثاني : معنى التوارد في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى التوارد لغة : التوارد من وَرَدَ - يَرِدُ - وروداً ، ولها معاني لغوية متعددة منها :-

- ١ - "ورد ورداً : اذا أتى منه ، ومنه وردُ الماء، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ (٣)، وورَدَ الرجل : اذا أصابته الحمى ، فهو مورود" (٤)

(١) ينظر: علم اليقين ، الفيض الكاشاني : ٢ / ١٠٣٣ . وأسرار الحكم ، المحقق السبزواري : ٤٨٢ .

(٢) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، خالد الأزهرى : ٣٣-٣٤ .

(٣) سورة القصص : ٢٣ .

(٤) شمس العلوم ، نشوان الحميري : ١١ / ٧١٣٥ .

٢ - " أورد : فلان الشيء أحضره ، توارد القوم الماء : وردوه معاً ، والشاعران اتفقاً في معنى واحد يرد بلفظ واحد من غير أخذ ولا سماع " (١)

٣ - "ورد: حضر ، وورد عليه : أشرف عليه ، وارده : ورد معه، وتوارد ، يتوارد، توارداً، فهو متوارد، والمفعول متوارد (للمتعدّي) ، توارد الشاعران: عبّرا عن المعنى ذاته بالألفاظ عينها، بدون أن ينتحل أحدهما الآخر، تواردت الأفكار: اتفقت بين شخصين أو أكثر من غير نقل أو سماع ، توارد الأعضاء إلى المجلس: وصلوا إليه الواحد تلو الآخر: تواردوا إلى قاعة الاجتماع" (٢)

٤ - "توارد القوم الماء : وردوه أو أقبلوا عليه معاً" (٣)

٥ - "والموارد هي المفاعلة ، من قولهم : هما يتواردان الحوض ، أي يرد منه هذا ، ويرد منه هذا ، ويتواردان المسألة : أي يسأل أحدهما صاحبه مرة ، ويسأله الآخر مرة أخرى" (٤)

يتضح مما تقدم إنّ معنى التوارد هو ان تجتمع عدة أمور على معنى واحد ، فإن التعبير عن ذات المعنى والإقبال عليه معاً يعطي معنى الإشتراك .

أما في الاصطلاح : هو الشهادة على شيء واحد ، أي الاتفاق بالشهادة (٥)

والمعنى المختار في عنوان الرسالة في معنى التوارد في النبوة والإمامة هو أن تتواجد الكبرى التي أختارها البحث في النبوة والإمامة ، وهذا التوارد بينهما يعطي معنى الاتفاق والإشتراك في الخصوصيات أو الصفات أو الوظائف المتفق على وجوب وجودها في مقام النبوة والإمامة معاً.

(١) المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين : ٢ / ١٠٢٤ .

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار : ٣ / ٢٤٢٣ .

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب : ٤٣١ .

(٤) الطراز ، يحيى بن حمزه العلوي : ٣ / ٩٦ .

(٥) القاموس الفقهي ، حسين عبد الله مرعي : ٥٧ .

المطلب الثالث : معنى النبوة في اللغة والاصطلاح

أولاً : النبوة في اللغة : بعد مراجعة معاني النبوة في المعاجم اللغوية استخلص منها ثلاث معاني وهي :

١- (الخبر) : "مأخوذة من النَّبَأ ، وَنَبَأَهُ: خَبَرَهُ وَاسْتَنْبَأْتُهُ، وَالْجَمِيعُ الْأَنْبَاءُ ، سمي به لإنبائه عن الله تعالى "(١)، والنبا : " هو خَبَرٌ ذو فائدة عظيمة يحصلُ به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأً حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة ، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعري من الكذب" (٢)

فالنبوة هي الإخبار بالشيء قبل وقته حرزاً وتخميناً ، وللنبي على هذا الاشتقاق تأويلان : أحدهما : أن النبي : فَعِيلٌ بمعنى مفعول؛ فهو مخبر ومتحمل عن الله ما أراد الله إيصاله إلى خلقه (٣)، والشاهد في ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٤) ، وَتَنَبَّأَ فَلان : ادَّعى النُّبُوَّةَ (٥) ، ومن الآيات الواردة في هذا المعنى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ (٦)

والآخر أن النبي : فعيل بمعنى فاعل ، أي منبىء عن الله برسالاته والشاهد على ذلك قوله تعالى : ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ﴾ (٧) ﴿قُلْ أَنُنَبِّئُكُمْ﴾ (٨) ، ومن الآيات الواردة في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾ (٩)

-
- (١) ينظر: ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت : ٣٧٣-٣٧٤ مادة (النبي) . والصاحح ، الجوهري : ١ / ١١١ مادة (نبا) . والمحيط في اللغة ، إسماعيل بن عباد : ١٠ / ٤٠٤ .
 - (٢) والمخصص ، علي بن سيده : ٣ / ٤٧٤ . والفائق في غريب الحديث ، الزمخشري : ٣ / ٢٧٤
 - (٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٤٨١ ، مادة (نبا) .
 - (٤) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي : ١ / ٤٠٠ . والتحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١٦ / ٤٤ .
 - (٥) سورة التحريم : ٣ .
 - (٦) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٤٨٢ .
 - (٧) سورة الأعراف : ٢٠٣ .
 - (٨) سورة الحجر : ٤٩ .
 - (٩) سورة آل عمران : ١٥ .
 - (٩) سورة الأنعام : ١٩ .

- ٢- (الارتفاع): ان يكون من النبوة وهو ما ارتفع عن الأرض ، وَنَبَأَ نَبَأً وَنُبُوءاً : ارْتَفَعَ ، وَالنُّبُوءُ : هو الارتفاع لعلو شأنه ، وعلى هذا فهو المفضل على سائر الناس برفع منزلته، فيجعله سفيراً بينه وبين خلقه، فارتفع على الخلق، وعلا قدره فيهم (١)
- ٣- (الطريق) : " مأخوذة من النَّبِيءِ : وهو الطَّرِيقُ الواضِحُ ، لأنه وسيلة الى الله تعالى ، ويقال للرسول عن الله تعالى أنبياء لكونهم طريق الهداية" (٢)

ثانياً : النبوة في الاصطلاح :

- ١- "هي سِفَارَةٌ بين الله وبين ذوي العقول من عبيده لإزاحة عنهم في معاشهم ومعادهم ، والنَّبِيُّ مَنْبِتًا بما تسكن إليه العقول الذَّكِيَّة" (٣)
- ٢- "إنَّها وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله لمن يجتبيه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم ، فيرسلهم الى سائر الناس لغاية إرشادهم الى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة.." (٤)
- ٣- "هو خبر خاص يُكْرِمُ الله عز وجل به أحداً من عباده فيميّزه عن غيره بإلقائه إليه ويوقّفه به على شريعته ، بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعد" (٥)
- يتضح مما تقدم من التعريفات أن النبوة هي وظيفة أو سفارة أو خبر لمن تناط به مسؤولية النبوة ويقوم بأدائها وهو النبي .
- وقد عرّف المتكلمون النبي بعدة تعاريف منها :

(١) ينظر: اصلاح المنطق ، ابن السكيت : ٣٧٤ حرف النون . والمحكم والمحيط الاعظم ، ابن سيده : ١٠ / ٥١٩ . والنهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير : ٥ / ٤ مادة (نبا) . ومعجم مقاييس اللغة ، ابن زكريا : ٥ / ٣٨٥ مادة (بنو) .

(٢) تهذيب اللغة ، محمد الأزهرى : ١٥ / ٣٤٨ . ولسان العرب ، ابن منظور : ١٥ / ٣٠٣ مادة (نبا) . ومعجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٣٨٥ مادة (بنو) .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ، عبد الرؤوف المناوي : ٣٢١ .

(٤) عقائد الامامية ، الشيخ المظفر : ٤٨ .

(٥) الجامع لشعب الإيمان ، ابو بكر البيهقي : ١ / ٢٨٠ .

١- "إنه الإنسان المأمور من السماء بإصلاح أحوال الناس في معاشهم ومعادهم ، العالمُ بكيفية ذلك ، المستغني في علومه وأمره من السماء عن واسطة البشر ، المقترنةُ دعواه للنبوة بأمرٍ خارقة للعادة" (١)

٢- "هو إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه ، وإن امر بذلك فرسول أيضاً" (٢)

٣ - إنسان مبعوث من الله تعالى إلى عبادِهِ ، ليكملهم بأن يعرفهم ما يحتاجون إليه في طاعته وفي الاحتراز عن معصيته" (٣)

يتضح من التعريفات المتقدمة إن منها ما ركّز على الاصطفاء ووحى الشريعة وهذا مختص بأولى العزم من الرسل ، ومنها ما ركز على ما يصدق على كل نبي وهو التعريف بالأعم ، وكلاهما المطلوب هنا .

وقد استطرد استعمال مشتقات مادة النبوة في جلائل المعاني وعظائم الأمور ، ومن شواهد هذا الاستعمال القرآني :

١ - قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ (٤) ، وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ (٥) فهذا الخبر كان دليلاً على نبوة يوسف عليه السلام فعبر عنه بلفظه النبأ ثم تبعه دليل صدقه وهو تعليمه من قبل الله سبحانه وتعالى.

٢ - وقوله تعالى : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٦) ، فقد ورد معنى النبأ واختصاصه بالشيء العظيم كثير.

(١) قواعد المرام في علم الكلام ، كمال الدين البحراني : ٣٠١ .
(٢) اللعة البيضاء، التبريزي الانصاري: ٤٢٦ . الرسل والرسالات، عمر سليمان الاشقر: ١٤
(٣) قواعد العقائد ، نصير الدين الطوسي : ٨٧ / ١ .
(٤) سورة النبأ : ١-٢ .
(٥) سورة يوسف : ٣٧ .
(٦) سورة الكهف : ٧٨ .

المطلب الرابع : معنى الإمامة في اللغة والاصطلاح

أولاً: الإمامة في اللغة :

الإمام بالكسر على وزن (فعال) ، وهي مصدر الفعل (أَمَّ) وهو ظرف لذا يذكر ويؤنث على معنى الجهة (١) ، ولها معاني عدة ، منها:

١ - كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (٢) ، يُقتدى بقوله أو فعله، وإمام القوم : رئيسهم والمتقدم عليهم (٣)

٢ - الطَّرِيقُ الواسِعُ ، والمِثَالُ ، وَخَشَبَةُ البناءِ يُسَوَّى عَلَيْهَا البناءُ ، وَالْخَيْطُ الَّذِي يُمَدُّ عَلَى البناءِ فَيُبْنَى عَلَيْهِ (٤) وجميع المعاني المتقدمة تؤدي معنى واحد شامل وهو : الحاجه إليه والاعتماد عليه من قِبَل غيره ، واستغناؤه عن غيره ، فإن البناء لا يتم إلا بوساطة الخشبة ، والمارة لا تستغني عن الطريق .

ثانياً : الإمامة في الاصطلاح :

إن مصطلح الإمامة من المصطلحات التي لها أثر محدد وواضح في السنة النبوية الشريفة والروايات التي وصلت إلينا عن الأئمة عليهم السلام ، فقد خصصوا مجموعة منها لشرح هذا المصطلح للناس بطريقتهم الخاصة، والتي استطاعوا من خلالها أن يثبتوا في أذهان أتباعهم معنى الإمام الحق الذي كلفوا باتباعه ، وكفينا ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وصفاً دقيقاً للإمامة بالمعنى الشرعي نذكر بعضاً منه ، قال (عليه السلام) : (إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء) أي مقام للأنبياء ومرتبة لهم ، ثم من بعدها ورثها أوصياؤهم (خليفة الله وخليفة الرسول ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وميراث الحسن والحسين عليهم السلام) أي يؤدي

(١) مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي : ١ / ١٠٩ .

(٢) سورة الإسراء : ٧٢ .

(٣) ينظر : مفردات غريب القران ، الراغب الأصفهاني: ٢٤ . ولسان العرب ، ابن منظور : ٢٤-٢٦ / ١٢ .

(٤) ينظر : كتاب العين ، الخليل الفراهيدي : ٨ / ٤٢٩ . والصاح ، الجوهري : ٥ / ١٨٦ . ولسان العرب ، ابن منظور : ١٢ / ٢٥ . وتاج العروس ، مرتضى الزبيدي : ٨ / ١٣٨ .

الإمام ما أراده الله تعالى في كل شيء (زام الدين) أي سبب لضبط أمور الدين ،
ومانع عن الانحراف فيه (ونظام المسلمين) أي تمنع انفراط امورهم ، ليعيش المسلم
حياة كريمة منتظمة (وصلاح الدنيا) أي إن الإمام أفضل قائد يعمل طبقاً لما هو
الصلاح (وعز المؤمنين) لأنها توجب غلبتهم على غيرهم ، ولشعورهم النفسي
بعناية الله تعالى بهم، كما أنهم باعتقادهم بها والتزامهم بأوامره يدخلون الجنة وهي
العزة الكاملة التامة (إن الإمامة أس الاسلام النامي) أي ان الإمامة من اصول الدين
، لا يقبل الدين إلا بها (وفرعه السامي) أي إن النظام الأكمل لا يكون إلا بإمام من
الله (بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد) أي صحة هذه العبادات
بالاعتقاد بالإمام ، كما إن بيانها بالشكل الصحيح هو عن طريقه (وتوفير الفيء
والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام) أي قسمة الغنيمة والزكاة على قانون الشرع
وإصدار القرارات في الحدود (ومنع الثغور والأطراف) أي الحدود بين بلاد الاسلام
والكفر (الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله) أي يبين للقضاة
وللناس الحدود في جانب التشريع (ويذب عن دين الله) أي يدافع عن الدين بدفع
الشبهات (الإمام الأنيس الرفيق) أي ما يأنس به الإنسان من أصدقائه وما يتعامل
معه بلطف ومدارة (والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغير ومفزع
العباد في الداهية الناد) أي رؤوف حريص على الناس والملجأ في الأمر العظيم
الفادح (أمين الله في خلقه) أي يبلغ ما أراده الله بلا تغيير، ويعمل بما يريده بلا تبديل
(وحجته على عبادته) أي يحتج بالإمام على الخلق أجمعين (وخليفته في بلاده) أي
جعله الله لتنفيذ ما يريده تعالى من الناس (والداعي الى الله) أي يدعوا الناس إليه بعد
الرسول ﷺ (والذائب عن حرم الله) أي الحرم التي أمر الله بتعظيمها كأحكامه
وأوليائه وبقاعه المقدسة ونحوها (الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب) أي
معصوماً من الذنوب وخالياً من العيوب في الخلقة والأخلاق لتكتمل الحجة على
الناس (المخصوص بالعلم) أي خصه الله بالعلم اللدني بإلهام منه تعالى (الموسوم
بالحلم) لكثرة ابتلائهم بجهل الجاهلين (واحد دهره لا يدانيه) أي لا يُقترَب الى منزلته
وفضله (أحد ولا يعادله) أي لا يساويه في علمه (عالم ولا يوجد منه بدل) أي في

زمان حياته ، نعم بعد وفاته يخلفه إمام بعده ، وهكذا الى إنقضاء الدهر ، لنلا تخلو الارض من حجة (والإمام عالم لا يجهل) في الجانب العلمي ، فهو يعلم كل ما تحتاج إليه الأمة (وراع لا ينكل) في الجانب الاداري أي يقود الأمة بلا ضعف أو جبن (معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة) أي صفاء النفس وخلوصها وعدم تعلق القلب بالدنيا والرغبة عنها (ومخصوص بدعوة الرسول ﷺ ونسل المطهرة البتول عليها السلام) أي نسبه الى رسول الله ﷺ (لامغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب) أي آباء وأمهات الرسول والأئمة طاهرو المولد من العهر(نامي العلم) أي علمه في زيادة باستمرار(وكامل الحلم) أي عقلهم كامل لا يتصور فوقه شيء (مضطلع بالإمامة) أي يقوى عليها ويقوم بأعبائها بأتم وجه (عالم بالسياسة) أي بقيادة الأمة (مفروض الطاعة) أي له حق الطاعة على الناس (قائم بأمر الله عز وجل) أي المتكفل بتنفيذ إرادة الله تعالى (وناصح لعباد الله) أي يريد هداية الناس من غير غرض مادي بل لهدايتهم وانقاذهم (حافظ لدين الله) عن التحريف والزيادة والنقصان (١)

وقد عرّف المتكلمون مصطلح الإمامة بتعاريف عديدة ، سوف أكتفي بنقل بعض منها :

١ - ما قاله الشيخ المفيد(ت١٣٤هـ) : " الإمام هو الذي له رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ " (٢) واضيف إليه "بالأصالة" (٣) ، واحترز بهذا عن نائب يفوض إليه الإمام عموم الولاية ، فإن رئاسته عامة لكن ليست بالأصالة (٤) .

(١) مصدر الحديث : الكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ٢٠٠ . وكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ٦٧٧ . تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٢٨٣ . ومسند الإمام الرضا عليه السلام ، عزيز الله عطاردي : ١ / ٩٨ . وفي شرح الحديث: ينظر : حديث الإمامة (شرح حديث الامام الرضا عليه السلام حول فضل الامام وصفاته) ، جعفر الحسيني الشيرازي: ٣٤-٥١ و ٧٥-٨١ .

(٢) النكت الاعتقادية : ٤٣ .

(٣) قواعد المرام في علم الكلام ، كمال الدين البحراني : ٤١٩ .

(٤) النافع يوم الحشر في الباب الحادي عشر للعلامة الحلي ، المقداد السيوري: ٩٣ .

٢ - وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : "رئاسة عامة دينية مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدنيوية وزجرهم عما يضرهم بحسبها " (١).

٣ - وقال العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ) : " الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي ﷺ وهي واجبة عقلاً " (٢)

٤ - وقال محمد جميل العاملي: " هي الولاية والسلطنة الإلهية على عامة الخلق " (٣).

يلاحظ مما تقدم من التعريفات أنها وإن اختلفت في بعض الالفاظ والقيود ، ألا أنها تشترك في الكثير منها ، وقد اتفقت الإمامية على إنها أصل عظيم من أصول الدين وأحد أركان الإيمان، لا يكتمل الايمان إلا بالاعتقاد بها ؛ لما يترتب عليها فوائد على أسس التوحيد وبقية الأصول ، ولذا تبحث عندهم في الكتب العقائدية ، وبذلك يتميزون بها عن باقي الفرق الإسلامية ، فيعطون لمنصب الخلافة أو الإمامة دوراً أكثر مما يعطيه غيرهم من المذاهب الاسلامية ، وذلك لأنها تعتبر عندهم الخلافة الإلهية في الأرض (٤).

وذكر محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ) : المراد بالإمامة تولي السلطة التي كانت للنبي ﷺ دون استثناء ، وهي بهذا المعنى منصب إلهي ، تماماً كالنُّبُوَّة .. ولذا تُسمى بخلافة النَّبِيِّ ، وتجب طاعة الإمام على الأمة كافة كما تجب طاعة النَّبِيِّ كذلك " (٥)

وعرّفها المتكلمون من المذاهب الاخرى :

(١) رسالة قواعد العقائد : ٨٣ .

(٢) النافع يوم الحشر في الباب الحادي عشر للعلامة الحلي ، المقداد السيوري : ٦١ .

(٣) الفوائد البهية : ٢ / ١٥ .

(٤) ينظر: منهاج الكرامة ، العلامة الحلي : ٢٧ . ودلائل الصدق لنهج الحق، محمد المظفر: ٢٧

(٥) إمامة علي بين العقل والقرآن ، محمد جواد مغنية : ٢٩ .

١ - أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) : "موضوعه لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدا لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع" (١)

٢ - أبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨ هـ) : "رياسة تامة، وزعامة عامة تتعلّق بالخاصّة والعامة في مهمّات الدّين والدّنيا" (٢)

٣ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : "هي خلافة عن صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا به .. وإذ قد بيّنا حقيقة هذا المنصب وأنّه نيابة عن صاحب الشّريعة في حفظ الدّين وسياسة الدّنيا به تسمّى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماماً فأما تسميته إماماً فتشبيها بإمام الصّلاة في اتّباعه والافتداء به ولهذا يقال الإمامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النّبيّ في أمّته" (٣)

وقد ذهبوا الى ان الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد (كما قالت الإمامية) بل هي من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين، إذ نصب الإمام عندهم واجب على الأمة سمعاً ، وإنما تذكر في علم الكلام تأسيساً بمن قبلهم (٤) وقال أيضاً بذلك الأيجي (٥)، والأمدى (٦)

وقد وردت كلمة الإمام في آيات كثيرة من القرآن الكريم بمعاني عدة ، منها:

١ - كتاباً سماوياً (٧) ، كقوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَزَبِيَّا لِّنَّذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (٨)

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية : ٦ .

(٢) غياث الأمم : ٢٢ .

(٣) تاريخ ابن خلدون : ١ / ٢٣٩ .

(٤) ينظر : شرح المواقف ، القاضي الجرجاني : ٨ / ٣٤٤ .

(٥) المواقف ، عضد الدين الايجي : ٣٩٥ .

(٦) غاية المرام في علم الكلام ، سيف الدين الأمدى : ٣٦٣ .

(٧) "ومن قبله كتاب موسى إماماً لبني اسرائيل يأتمون به " جامع البيان، محمد الطبري: ٢٥/١٢ .

(٨) سورة الأحقاف : ١٢ .

٢ - رجلاً إلهياً^(١) ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)

٣ - قادة الخير^(٣) ، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٤)

٤ - أئمة العناد والظلال^(٥) ، كقوله تعالى : ﴿... فَفَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٦)

٥ - إمام هدى أو إمام ظلال على حد سواء^(٧) كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ...﴾^(٨)

٦ - المقام السامي الذي خوطب به النبي ابراهيم عليه السلام وهي آخر مراحل مسيرته التكاملية^(٩) ، في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١٠)

يتضح مما تقدم ان الاستخدام القرآني لمفردة الإمامة يكون في كل ما يقتدي به الناس ، وظهر هذا المعنى في الجانب اللغوي منه .

ولفظ (الإمامة) المطلقة من دون تقييد بحيثية معينة أو محددة ، يدل على المعنى الخاص المصطلح عليه في كتب الإمامة ، لذا لا يصح إطلاقها على غيره من دون قرينة صارفه عن المعنى الاصطلاحي ، باعتبار دخولها في المعنى العام لمفهوم

(١) " ذكر ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : أنا والله الامام المبين أبين الحق من الباطل " . تفسير القمي ، علي بن ابراهيم : ٢١٢/٢ .

(٢) سورة يس : ١٢ .

(٣) تفسير بحر العلوم ، السمرقندي: ٣٩ / ٣ . وتفسير السمعاني ، ٢٥٣ / ٤ .

(٤) سورة السجدة: ٢٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٣٥٢ / ٢ .

(٦) سورة التوبة : ١٢ .

(٧) تفسير الثوري ، سفيان الثوري: ١٧٤ .

(٨) سورة الإسراء : ٧١ .

(٩) ينظر: مواهب الرحمن ، عبد الأعلى السبزواري: ١١ / ٢ . والأمثل : ناصر مكارم الشيرازي : ٣٧١/١ .

(١٠) سورة البقرة : ١٢٤ .

(الإمام) حتى ترد قرينة من المتكلم تُعين وتحدد الحيثية الخاصة لأحد المصاديق (١)
فالإمامة في الفقه جاءت بمعنى خاص مضاف الى الصلاة ، قريب للمعنى اللغوي الذي قيل : بأنه المقتدى به أو المقدم ، إلا أنه في خصوص الصلاة ، فالإمام هنا : "من يؤم المصلين ، ويصلون خلفه" (٢)، فيكون الإمام إماماً ضمن تلك الحدود وفي تلك الجهة المصرحة بها ، كما في إمام الجماعة أو الجمعة أو بالنسبة إلى إمامة الحجاج أو غير ذلك ، والأول ذو الإمامة الصغرى، والثاني ذو الإمامة الكبرى (٣).

وقال ابن المبرد الحنبلي (ت ٩٠٩ هـ): "الإمام : ما يُؤْتَمُّ به، تارة في الصَّلَاة: وهو إمام الصَّلَاة ، وتارة يَكُونُ في الفَصْل بَيْنَ النَّاسِ: وهو الخَلِيفَةُ، وتارة في العِبَادَات والأحكام: وهو إمامُ الفِقه ، وسُمِّيَ بذلك لتَقَدُّمِهِ على غيره؛ فَإِنَّ إمامَ الصَّلَاة يَتَقَدَّمُهُمْ، وإمامُ الحُكْم يُقَدِّم على غيره في هذا الأمر، وإن لم يَكُنْ التَقَدُّمُ حَقِيقَةً ، وإمامُ الفِقه يُقَدِّمُ قَوْلُهُ على قَوْلِ غَيْرِهِ" (٤)

وهناك من المعاني القربية للإمامة وهي الخلافة ، والخلف في اللغة : ما جاء من بعد، والذي يخلفك ويكون بعدك، يقال : هو خلف سوء من أبيه، وخلف صدق من أبيه ، وما استخلفته من شيء ، وخلفته جئت بعده ، واستخلفه أي جعله خليفته (٥)

يتضح معناه اللغوي لما يجيء من بعد، كما أنها تأتي بمعنى النيابة عن الغير، فقد قال موسى لأخيه ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ (٦)، لذلك نجد أن هناك فرقاً واضحاً بين لفظي الإمامة والخلافة في اللغة، وعليه يمكن القول إنهما ليسا لفظين مترادفين لغوياً ، وذلك أن الإمامة تعني : الاقتداء، بينما تعني الخلافة : الإنابة .

(١) ينظر: الفوائد البهية ، محمد العاملي : ١١ / ٢ .

(٢) معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، أحمد فتح الله : ٦٩ .

(٣) ينظر : حاشية رد المحتار ، ابن عابدين : ١ / ٥٨٩ .

(٤) الدر النقي : ٢ / ٢٠١ .

(٥) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل الجوهري : ٤ / ١٣٥٦ . ومعجم متن

اللغة ، أحمد رضا : ٢ / ٣٢٣ .

(٦) سورة الأعراف : ١٤٢ .

وضمن تتبع التعريفات التي ساقها علماء المذاهب الأخرى للإمامة والخلافة، يتبين أنهم لم يفرقوا بينهما في الاصطلاح ، فيستعملوهما كلفظين مترادفين، وأحياناً يعرفون أحدهما بالآخر.

قال النووي (ت ٦٧٦هـ) : "يجوز أن يُقال للإمام: الخليفة، والإمام، وأمير المؤمنين" (١) ، وقال المحقق السعد التفتازاني (ت ٧٩١هـ) في متن مقاصد الطالبين في الإمامة: وهي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ (٢) وقال محمد رشيد الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) : " الخلافة، والإمامة العظمى، وإمارة المؤمنين، ثلاث كلمات معناها واحد، وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا" (٣)

فالخليفة هو من يُستخلف من جانب الشخص الذي يكون قبله ، فهو كائن بدل غيره ليقوم بالأمر مقامه ويسد مسده ، فهي ترتبط بشؤون الحكم وإدارة الدولة بعد النبي ﷺ ، وهي جزء من الإمامة، فهي إحدى الأدوات التي يستعملها الإمام لتحقيق الغاية، وإنجاح الهداية التي هي مقتضى الإمامة ، وبالتالي فإن الخلافة لا تنفك عند الشيعة بحال من الأحوال عن الإمامة ، لذا أطلق لفظ الخليفة على الإمام ، أيضاً باعتبار كون الخليفة قد خلف النبي الأعظم ﷺ في منصب الإمامة الكبرى، ولهذا تصبح الإمامة الصغرى من المهام ، وأن تبين وتفسير الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة والأحكام الإلهية هي من المسؤوليات التي تقع على عاتق الإمام ، لذا تصبح الإمامة مختلفة عن الخلافة ، وتفوقها رتبةً .

وذكر السيد السبزواري (ت ١٤١٤هـ) (٤) في الفرق بين النبوة والرسالة والإمامة : " فان مجرد إنزال التشريعات السماوية على من يختاره الله تعالى تكون نبوة ، وأمره تعالى ذلك النبي أن يرسل ويبلغ ما انزل عليه إلى الناس يكون رسالة

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين : ١٠ / ٤٩ .

(٢) شرح المقاصد : ٥ / ٢٣٢ .

(٣) الخلافة : ١٧ .

(٤) هو السيد عبد الأعلى بن علي رضا الموسوي السبزواري ، وهو مرجع ومفسر وفقه شيعي إيراني يعد من كبار فقهاء الإمامية وعلمائها المشهورين .

، كما أن أمر الله تعالى ذلك الرسول بإخراجها في الناس وإقامته فيهم يكون إمامة،
ويصح انفكاك الأول عن الآخرين كما في جمع كثير من الأنبياء عليهم السلام -
مثل لوط ويونس وهود وغيرهم - كما يصح انفكاك الأخير عن الأولين ، كخلفاء
رسول الله ﷺ ، ويصح إجتماع الجميع كما في إبراهيم وموسى وعيسى وخاتم
النبيين ﷺ " (١)

يتضح من قوله أن مقام الإمامة مستقل، قد يعطيه الله سبحانه للأنبياء كالنبي
إبراهيم عليه السلام ، وقد يعطيه لغير الأنبياء كخلفاء النبي الهادين عليه السلام ، وذلك لإختلاف
الحيثيات التي توجب إعطاء هذا المقام ، وذاك المقام (٢)

لذلك ذكر الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ذلك بقوله : "قطع قوم من أهل الإمامة بفضل
الأئمة من آل محمد على سائر من تقدم من الأنبياء ، سوى محمد ﷺ " (٣)

إذن مقام الإمامة المرتبط بالنبوة الخاتمة يبقى هو الأعظم فضلاً وشرفاً، وقد
وردت أخبار صريحة في أن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أفضل من الأنبياء ما
عدا نبينا الأكرم ﷺ ، وهذا ما يرجح لوجه:

١ - قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٤)

عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : إن الإمامة خص الله بها إبراهيم
الخليل بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرفه بها ، وأشاد بها ذكره ، فقال
عز وجل : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، فقال الخليل مسروراً بها : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾
قال تبارك وتعالى : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم

(١) مواهب الرحمن : ١٠-٩ / ٢ .

(٢) ينظر: مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة) ، السيد جعفر مرتضى العاملي ،
المجموعة السابعة، المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ص ٥٣ ،
السؤال (٣٦٧ و ٣٦٨) . وينظر : الفوائد البهية ، محمد العاملي : ١٧ / ٢ .

(٣) أوائل المقالات : ٧٠ .

(٤) سورة البقرة : ١٢٤ .

الى يوم القيامة" (١) فتبين من الآية الكريمة ان منزلة الإمامة الممنوحة للنبي إبراهيم عليه السلام قد نالها بعد أن مضت عشرات السنين من نيّله لمقام النبوة والرسولية والخلة ، وبعد كل الامتحانات والمواقف العظيمة وكونه من أولي العزم، وبعد أن بلغ من الكبر عتياً، وبعد حصوله على الذرية ، فيتضح من ذلك أن مقام الإمامة أعلى درجة من النبوة والرسالة ، بل هي أكمل درجة من النبوة والرسالة وأسمى منهما وأرفع (٢) ، قال ناصر مكارم الشيرازي : "ما هو هذا المقام الذي ناله إبراهيم في آخر عمره بعد نيّله مقام النبوة والرسالة وبعد ذلك الجهاد الطويل ؟ من المسلم به أنه كان أسمى وأرفع منهما جميعاً" (٣)

٢ - قوله تعالى في آية المباهلة : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٤)

فقد اتفق جلّ المفسرين وأهل الحديث على أن هذه الآية الكريمة نزلت في وفد نجران ، وتسالموا على أن من حضر في مكان المباهلة هم النبي صلى الله عليه وآله وبنته فاطمة وسبطاه وصهره علي (عليهم الصلاة والسلام) (٥) ، فعن أبي جعفر عليه السلام في تفسير

-
- (١) تفسير البرهان ، هاشم البحراني: ٣٢٢/١ ح ٥. ونور الثقلين ، الحويزي: ١٥٠/١ ح ٣٤٠ . والكافي، الكليني: ١٩٨/١ ح ١ . واكمل الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٦٧٥ ح ٣١ .
- (٢) ينظر: مواهب الرحمن ، عبد الأعلى السبزواري: ١١ / ٢ . والأمثل : ناصر مكارم الشيرازي : ٣٧١/١ . الميزان ، السيد الطباطبائي: ١/ ٢٦٧ . ومصباح الهداية في إثبات الولاية ، علي البهبهاني: ١٣٣-١٣٤ . والإمامة وأهل البيت النظرية والاستدلال، محمد باقر الحكيم : ٢٢-٢٥ .
- (٣) نفحات القرآن : ١٤/٩ .
- (٤) سورة آل عمران : ٦١ .
- (٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم: ٢ / ٦٦٧ ح ٣٦١٩ . وتفسير الكشاف ، محمود الزمخشري: ١ / ٣٦٨ . والوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي الواحدي: ١ / ٤٤٣ . وتفسير البغوي ، حسين البغوي: ١ / ٤٥٠ . والكشف والبيان ، أحمد الثعلبي : ٣ / ٨٥ . وصحيح مسلم ، مسلم النيسابوري: ١٢٠/٧-١٢١ باب فضل علي عليه السلام . والمستدرك ، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٥٠ . وسنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي: ٤ / ٢٩٣ ح ٤٠٨٥ . و نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي: ٩ / ١٨٨ . ينظر : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم: ١ / ١٠٤ . نور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ١ / ٤٢٤ . التفسير الموضوعي الفرقان ، محمد صادقي: ١١ / ٢٠٠ . ومواهب الرحمن ، عبد الأعلى السبزواري: ٦ / ٢٤ .

الآية ، قال : ﴿أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَ ﴿نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ﴾ قَالَ فَاطِمَةُ وَ ﴿أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ﴾ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

وورد في التفسير المأثور للعامّة : "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا ، وَفَاطِمَةَ ، وَالحسن والحسين ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي " (٢) فتكون الآية دالة بوضوح على أن نفس أمير المؤمنين ﷺ هي نفس رسول الله ﷺ ، ومما ثبت بإجماع المسلمين على أن النبي محمداً ﷺ أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين بلا استثناء فيجب أن يكون علي ﷺ مثله في ذلك . ٣ - قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)

"أن جميع الأنبياء والأوصياء والمؤمنين عند حوائجهم وضروراتهم يتوسلون بهم (برسول الله ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام) إلى الله سبحانه فتقضى لأجل من توسلوا بهم إليه سبحانه، فقد روي : أن آدم ﷺ لما نزل إلى الدنيا بكى حتى صار في خديه من الدموع نهران ثجاجان ، فنزل عليه جبرئيل فقال : يا آدم ، تحب أن يتوب الله عليك ؟ فقال : بلى . فقال : قل : اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، والأئمة لما تبت علينا ، فقالها فتاب الله عليهما (٤)، ونوح ﷺ لما أدركه الغرق وهو في السفينة توسل إلى الله بمحمد وآله الطاهرين، فأنجاه ومن معه من الغرق ، وإبراهيم ﷺ لما قذف به في النار ، توسل بمحمد وآله الطاهرين ، فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً وكذلك سائر الأنبياء والأوصياء والحجج كانوا يتوسلون إلى الله سبحانه في مهماتهم وحوائجهم بمحمد

(١) تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم : ٨٦/٦٢.

(٢) تفسير القرآن ، ابن المنذر : ١ / ٢٢٩ .

(٣) سورة البقرة : ٣٧ .

(٤) ينظر: نور الثقلين ، الحويزي: ٣١٠/٤ ح ٢٥٩ . ومعاني الأخبار، الصدوق: ١٢٥ ح ١ ب معنى الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه. ووسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٩٨/٧ ح ٣

وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام ، ولو عرفوا أنّ أحداً أقرب منهم إلى الله لآثروه عليهم" (١)

ولم يرد أن أحد من الأئمة عليهم السلام قد توسل الى الله تعالى بنبي من الأنبياء ، وكان توسلهم الى الله تعالى بنبي الرحمة محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين أنفسهم .

٤ - قوله تعالى في آية الميثاق : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٢)

إن الله تعالى في عالم الذر أخذ ميثاق النبيين بولاية علي ﷺ ، عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن ﷺ : "ولاية علي مكتوب في جميع صحف الأنبياء ، ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة محمد ووصيه علي عليهما السلام" (٣) ، وهذا يثبت أفضليتهم على الأنبياء ، فلا تكتمل نبوتهم إلا بالتسليم والإقرار لهم ، فعن أبي سعيد الخدري قال : "رأيت رسول الله ﷺ وسمعتة يقول: يا علي ، ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه الى ولايتك طائعاً أو كارهاً" (٤)

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : قال رسول الله ﷺ : "ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ، ومثلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم" (٥)

٥ - ما ورد في الحديث المتفق عليه لدى الفريقين أنّه ﷺ قال بشأن علي ﷺ : "من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته وإبراهيم في خلّته وموسى في هيئته

(١) تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة، الحر العاملي : ٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) سورة الاعراف : ١٧٢ .

(٣) تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة، الحر العاملي : ٣٥٠ . والمناقب ، ابن شهر آشوب: ٢٨٧/٢ . وبصائر الدرجات ، محمد الصفار: ٩٢ ح ١ .

(٤) بصائر الدرجات ، الصفار : ٩٢ ح ٢ . وعنه في بحار الأنوار، المجلسي : ٢٦/٢٨٠ ح ٢٥ .

(٥) بصائر الدرجات ، محمد الصفار : ٩٣ ح ٧ . وعنه في بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦/٢٨١ ح ٢٧ .

وعيسى في صفوته فليُنظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام (١) فقد دلّ الحديث على أنّه عليه السلام قد اجتمع فيه ما كان متفرّقاً في الأنبياء جميعاً ، وقد ورث الأئمة المعصومين عليهم السلام كل ذلك .

٦- وقد أجمع أهل الإسلام على خروج رجل من ولد فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله ، وعلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وصلاته خلفه مؤتماً به ، لا يشك أحد منهم في هذا (٢)

وفي ذلك ما روى القندوزي الحنفي عن محمد بن مسلم عن محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (٣) قال: "إنّ عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره إلا آمنوا به قبل موتهم ويصلّي عيسى خلف المهدي عليه السلام " (٤)

وذكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ): "إنّ صلاة عيسى خلف المهديّ ثابتة في عدّة أحاديث صحيحة بإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو الصادق المصدق الذي لا يخلف خبره" (٥)

والإمام أفضل من المؤتم؛ لأنه تابعاً له ومشايعاً، والنبي عيسى عليه السلام أحد أولي العزم والإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) أحد الأئمة الاثني عشر ، إذا ثبت

(١) شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني: ١ / ١٠٠ ح ١١٧ . ومناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، ابن مردويه: ١٤٧ ح ١٧٩ . ولب الباب ، قطب الدين الراوندي: ٢ / ٣٤٠ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٦٧٧ ح ٩١٢٢ . والتفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة: ٨ / ٣١ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ٣٩ / ٣٨ ح ١٠ . والغدير ، العلامة الأميني: ٣ / ٣٥٨ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي : ٢٧ / ٢٢٢ . ومعالم التنزيل ، الحسين البغوي : ٤ / ١٤٤ . والسيرة الحلبية ، برهان الدين الحلبي : ١ / ٣١٤ . وفيض القدير ، محمد المناوي : ٦ / ٢٣ ح ٨٢٦٢ . والجامع الصغير ، السيوطي : ٢ / ٥٤٦ ح ٨٢٦٢ . وكنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ١١ / ٥٣ . تفسير نور الثقلين ، الحويزي : ٤ / ٣٧٤ ح ٩ . وتفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم: ٤٦٤ ح ٦٠٧ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٤ / ٣٤٩ .

(٣) سورة النساء : ١٥٩ .

(٤) ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي: ٣ / ٢٣٧ ح ٦ .

(٥) الحاوي للفتاوي : ٢ / ٢٠٢ .

أن واحداً من أولي العزم متابعاً ومشايحاً لواحد من الأئمة وأنه أفضل منه، ثبت هذا الفضل لسائر الأئمة عليهم السلام .

٧ - عن الحسين بن علوان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: "إن الله خلق أولي العزم من الرُّسل وفضلهم بالعلم وأورثنا علمهم وفضلهم ، وفضلنا عليهم في علمهم ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا ، وعلمنا علم الرسول صلى الله عليه وآله وعلمهم" (١) فإذا علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطي جميع ما أعطي النبيون وزيادة ، يثبت بنحو لا مجال للريب فيه أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم أعلم من جميع الأنبياء والمرسلين ، كما أن عبارة (فضلنا عليهم) واضحة الدلالة على الأفضلية .

يتضح مما تقدم ان مفهوم الإمامة أرفع من مفهوم النبوة، والأئمة الميامين عليهم السلام كانوا نائلين مقام الإمامة ولكنهم لم يكونوا أنبياء إذ لا نبي بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله يقول العلامة المجلسي (ت ١١١٠ هـ) : "ومع قطع النظر عن الأخبار لعل الفرق بين الأئمة عليهم السلام وغير أولي العزم من الأنبياء أن الأئمة عليهم السلام نواب للرسول صلى الله عليه وآله لا يبلغون إلا بالنيابة، وأما الأنبياء وإن كانوا تابعين لشريعة غيرهم لكنهم مبعوثون بالأصالة وإن كانت تلك النيابة أشرف من تلك الأصالة ، وبالجمله لا بد لنا من الازعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء وبأنهم أشرف وأفضل من غير نبينا صلى الله عليه وآله من الأنبياء والأوصياء ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا إلى فرق بين بين النبوة والإمامة، وما دلت عليه الأخبار فقد عرفته، والله تعالى يعلم حقائق أحوالهم صلوات الله عليهم أجمعين" (٢)

والمعنى المختار: وما يهمنا في هذا البحث هو الإمامة المرتبطة بالنبوة الخاتمة (٣)، التي وصفها الإمام الرضا عليه السلام في تعريفه للإمامة ، وهم الذين وجبت معرفتهم

(١) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٣ / ٤٤٤ نقلاً عن بصائر الدرجات ، محمد الصفار :

٢٤٧ ح ٢ . وينظر : الخرائج والجرائح ، الراوندي: ٧٩٦/٢ ب ١٦ ح ٦ ب ٨٩٠ .

(٢) بحار الأنوار: ٢٦ / ٨٢ .

(٣) عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " يا سلمان ، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً" دلالة الإمامة ، محمد الطبري الإمامي: ٤٤٧ ح ٢٨ .

وطاعتهم وخرّم جهلهم وعصيانهم وكانت ميتة الجاهل بهم ميتة جاهلية ، وهم حجج الله على عباده : علي وأولاده الأحد عشر من الحسن إلى ابن الحسن الغائب المنتظر (عليهم الصلاة والسلام) (١) فقد دل عليهم النقل المتواتر لوجود الكمالات فيهم وانتفاؤها عن غيرهم كالعصمة (٢) وقد نص عليهم النبي ﷺ جميعاً حيث أخبره جبرائيل ﷺ بأسمائهم وأسماء آبائهم (٣) وأخبر بما يدل على بعض خصوصياتهم كأخباره أنهم من بني هاشم (٤) ونص المتقدم منهم على من بعده على النحو الآتي :

- ١ - أبو الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ (المرتضى) (ت ٤٠ هـ) (٥)
- ٢ - أبو محمد الحسن بن علي ﷺ (الزكي) (ت ٥٠ هـ) (٦)
- ٣ - أبو عبد الله الحسين بن علي ﷺ (سيد الشهداء) (ت ٦١ هـ) (٧)
- ٤ - أبو محمد علي بن الحسين ﷺ (زين العابدين) (ت ٩٤ هـ) (٨)
- ٥ - أبو جعفر محمد بن علي ﷺ (الباقر) (ت ١١٤ هـ) (٩)
- ٦ - أبو عبد الله جعفر بن محمد ﷺ (الصادق) (ت ١٤٨ هـ) (١٠)
- ٧ - أبو إبراهيم موسى بن جعفر ﷺ (الكاظم) (ت ١٨٣ هـ) (١١)
- ٨ - أبو الحسن علي بن موسى ﷺ (الرضا) (ت ٢٠١ هـ) (١٢)
- ٩ - أبو جعفر محمد بن علي ﷺ (الجواد) (ت ٢٢٠ هـ) (١٣)

-
- (١) ينظر : علم الإمام ، محمد حسين المظفر : ١١ .
 - (٢) ينظر : تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي : ٤٢٢ .
 - (٣) ينظر : إثبات الهداة ، الحر العاملي: ٢ / ٣٥-٣ ، باب إثبات النصوص العامة على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام .
 - (٤) ينظر : ينابيع المودة ، القندوزي : ٣/ ٢٩٠ ح ٤ . وإثبات الهداة ، الحر العاملي : ٢ / ٢٥٤ .
 - (٥) تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم ، ابن الخشاب البغدادي: ١١ .
 - (٦) م.ن: ١٧ .
 - (٧) م.ن: ١٩ .
 - (٨) م.ن: ٢٣ .
 - (٩) م.ن: ٢٥ .
 - (١٠) م.ن: ٢٩ .
 - (١١) م.ن: ٣٢ .
 - (١٢) م.ن: ٣٦ .
 - (١٣) م.ن: ٣٨ .

- ١٠ - أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام ﴿الهادي﴾ (ت ٢٥٤هـ) (١)
- ١١ - أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ﴿العسكري﴾ (ت ٢٦٠هـ) (٢)
- ١٢ - أبو القاسم محمد بن الحسن عليه السلام ﴿المهدي﴾ (حي يظهر آخر الزمان) (٣)

المطلب الخامس : المعيار في تحديد الكبريات

إن المعيار الذي من خلاله تم تحديد هذه الكبريات هو رصد ورودها في النبوة والإمامة على حد سواء ، وهذا يعطي معنى الاتفاق والاشتراك في الصفات التي جعلها الله تعالى بين الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) ، وما من نبي أو إمام إلا حملها أو اتصف بها ، وذلك من خلال تتبع :

أولاً: النص القرآني :

وذلك بالرجوع الى القرآن الكريم والبحث في الآيات الكريمة وآراء المفسرين في الكتب التفسيرية ومنها التفسيرية الروائية ، نجد أن الآيات القرآنية هي المعيار في تحديد هذه الكبريات ، وتوارد ما يخص النبوة والإمامة بشكله العام قد ذكرها القرآن الكريم في الكثير من الآيات ، منها قوله تعالى :

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٤)

اتفق المسلمون أجمعون على أن هذه الآية الكريمة نزلت في وفد نصارى نجران ، وتسالموا على أن خصوص قوله : ﴿أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ﴾ هو علي بن أبي طالب عليه السلام ليس غير، فتكون الآية دالة بوضوح على أنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله (٥)، وذلك مؤيد

١) تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم ، ابن الخشاب البغدادي: ٤١.

٢) م.ن: ٤٣.

٣) م.ن: ٤٥.

٤) سورة آل عمران : ٦١ .

٥) ينظر : تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم : ٨٦/٦٢ . وينظر : تفسير القرآن ، ابن المنذر: ١ / ٢٢٩ . وتفسير الكبير، الفخر الرازي: ٤٧٣/٢ . والدر المنثور ، السيوطي: ٩٣/٢ .

بقول خاتم الأنبياء محمد ﷺ : "علي كنفي" (١) ، وذلك يقتضي تساويهما في جميع الصفات على وجه العموم ليصح التماثل إلا في النبوة ، فهما مثلان بلا امتراء ، ونبينا محمد ﷺ هو سيد الأنبياء والمرسلين وعلي ﷺ هو سيد الأوصياء ، فهما يمثلان النبوة والإمامة ، وهذا التوارد بشكله العام تدرج تحته توارد في الصفات والمقامات والوظائف وغيرها مما جعلها الله تعالى في النبوة فهي صائرة في الإمامة.

وأحد تطبيقاتها التي رصدنا تواردها في النبوة والإمامة معاً في النصوص القرآنية هي الطاعة ، فقد إتفق وجوب طاعة الخلق للأنبياء والأئمة في آيات صريحة ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢) إذا دلّت الآية الكريمة بصريح العبارة ومما لا غبار عليه على وجوب الطاعة لله والرسول وأولي الأمر ، فقد جعل الله تعالى في الآية طاعتين ، طاعة لله وطاعة للرسول ، لكن طاعة الرسول اشتركت مع أولي الأمر ، وهو بأن تطيع أولي الأمر مع طاعة الرسول ، إذ إن طاعتهم هي طاعة الرسول ، كما جعل أن طاعة الرسول من طاعة الله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٣)

وقد ثبت بعد الرجوع الى قول المفسرين في خصوص قوله تعالى ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ أنهم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) (٤) ، وهذا أحد مصاديق التوارد الذي جاء ذكره القرآن الكريم ، وما يؤيد هذا التوارد هو وجوب هذه الطاعة لكليهما في كل أوامره ونواهيهم بلا تمييز أو شرط ، لورود الطاعة في الآية الكريمة على نحو الإطلاق .

(١) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي : ١٢٧ / ٥ .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) سورة النساء : ٨٠ .

(٤) ينظر: مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ١١٤ / ٣ .

إذن يتضح من النص القرآني وجوب إطاعة أوامر هذه النخبة الطاهرة من الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) لأن أوامرهم ونواهيهم هي أوامر ونواهي الله، وطاعتهم هي طاعة الله عز وجل ، وهنا كان محل التوارد .

ثانياً: السنة النبوية الشريفة وروايات أهل بيته المعصومين (عليهم الصلاة والسلام): حين كان كلام الله عز وجل في كتابه الكريم هو معيار في ثبوت التوارد في الكبريات ، فهل بإمكان السنة أن تكون معياراً أيضاً من خلال اقتباس المفاهيم والدلالات في ذلك ؟ حتماً وبقيناً يجب أن تكون كذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) فإن كلام المعصوم عن الله عز وجل ، ويظهر ذلك جلياً في حديث سلسلة الذهب عن مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله : "سمعتُ أبي موسى بنَ جعفر يقول : سمعتُ أبي جعفرَ بن محمد يقول: سمعتُ أبي محمدَ بن عليّ يقول : سمعتُ أبي عليّ بن الحسين يقول : سمعتُ أبي الحسينَ بن عليّ يقول : سمعتُ أبي أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : سمعتُ جبرئيل يقول: سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول : لا إله إلاَّ الله حصني ، فمن دخل حصني أمنَ من عذابي ...بشروطها ، وأنا من شروطها" ^(٢) ، فإن الأحاديث الصحيحة الثابتة عن المعصوم هي كلام الله عز وجل وهي عدل القرآن الكريم بدليل حديث الثقلين^(٣) ، حيث أوصانا فيه رسول الله ﷺ بالتمسك بهم والرجوع إليهم حين قرن الله تعالى كتابه العزيز بالعترة الطاهرة للأمان من الضلال وبيان ما أبهم من تعاليمه ، فكانت السنة الشريفة في ما ورد من الفريقين هو معيار في تحديد هذه الكبريات ، وذلك بذكر التوارد بصريح العبارة في كبرى من

(١) سورة النجم : ٣-٤ .

(٢) التوحيد ، الشيخ الصدوق: ٢٥ ، ح ٢٣ . ومعاني الأخبار ، الشيخ الصدوق: ٣٧٠ ب معنى حصن الله عز وجل ح ١ .

(٣) قال رسول الله ﷺ : " إني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فائهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣ / ٣٧٩ . المستدرک ، الحاكم النيسابوري : ٣ / ١٠٩ .

الكبريات في النبوة والإمامة ، أومن خلال البيان والإيضاح الذي يفضي الى هذا التوارد .

ومن تلك الأحاديث التي نستقي منها التوارد بشكله العام :

١ - ما ورد عن رسول الله ﷺ قوله : " أن الله أخرجني ورجلاً معي من طهر الى طهر من صلب آدم ، حتى خرجنا من صلب أبينا ، فسبقته بفضل هذه على هذه - وضم السبابة والوسطى- وهو النبوة ، فقيل له : ومن هو يا رسول الله ؟ فقال : علي بن أبي طالب عليه السلام" (١)

٢ - حديث المنزلة المتواتر المقطوع في صحة صدوره عن الرسول الأعظم ﷺ ، فصيح اللفظ بين المعنى لا غرابة فيه ولا تعقيد ، الذي حاز فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام ما للنبي من رتبة ومقام وإمارة وسيادة وفضيلة وجميع المنازل التي كانت للنبي هارون في بني إسرائيل عدا ما اخرجه الاستثناء ، لأن لفظ الحديث عام ، والاستثناء دليل العموم بلا شك ، وهو قوله ﷺ : "أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي" (٢) فما ثبت في حق الرسول ثبت في حق وصيه أيضاً لعدم القول بالفصل ولوجود الملاك فيه أيضاً ؛ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، معناه لو كان بعدي نبي فهو أنت لا غيرك فمن صلح للنبوة بعد النبي صلح لجميع فضائل النبي (٣)

(١) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما، ابو الحسن العريضي : ٣٤٠ ح ٦٩٣ .
(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج : ٢٠ / ٧ باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ح ٢٤٠٤ .
والمستدرک علی الصحيحین ، الحاكم النيسابوري : ١٣٣ / ٣ .
(٣) ينظر: ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي قاييني : ١٧ / ٣٨١ .

٣ - روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "كل ما كان لمحمد صلى الله عليه وآله فلنا مثله إلا النبوة والأزواج" ^(١) والاستثناء دليل العموم ، فهم شركاؤه في كل ما روي له من الفضل ، وما لم يصل علمه إلينا .

وهنا أيضاً نقول كما قلنا في الاستدلال القرآني ، أن نبينا محمد صلى الله عليه وآله هو سيد الأنبياء والمرسلين وعلي عليه السلام هو سيد الأوصياء ، فهما يمثلان النبوة والإمامة ، وقول الرسول صلى الله عليه وآله يُظهر التساوي إلا ما استثنى وهو النبوة ، وهذا التوارد بشكله العام تدرج تحته توارد في الصفات والمقامات والوظائف وغيرها مما جعلها الله تعالى في النبوة فهي صائرة في الإمامة .

وفي ما يخص توارد الطاعة فقد رصد تواردهما في الروايات الشريفة أيضاً من خلال تساؤلات القوم عن معنى أولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم ، وقرن طاعته بهم ، فأجاب النبي صلى الله عليه وآله بقوله : "هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، و ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى ابن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها..." ^(٢)

إذن ثبت توارد الطاعة من خلال حديث صريح العبارة وكامل في الوضوح ، كما تبين في غيرها من الروايات الكثيرة أن أولي الأمر هم خصوص الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى أنهم ذكروا بأشخاصهم وأسمائهم .

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ٢٦ / ٣١٧ ح ٨٣ باب تفضيلهم على الأنبياء. نقلاً عن تفضيل الأئمة عليهم السلام على الانبياء والملائكة ، الحر العاملي : ٢٠٤ .
(٢) كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ٢٨١ .

وحين يُذكر توارد كُبريات لأمر المؤمنين عليهم السلام أو أحد الأئمة الأطهار عليهم السلام يثبت هذا الفضل لسائر الأئمة عليهم السلام أيضاً ، وإن لم يُصرَّح بذلك في البحث حذراً من الإسهاب والتطويل ولحصول الغاية المتوخاة منها ، وقد استندت الباحثة في ذلك على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله : "أنا سيّد الأولين والآخرين ، وأنت يا علي سيّد الخلائق بعدي ، أولنا كآخرنا وآخرنا كأولنا " (١) وقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "فضلنا واحد وعلمنا واحد ونحن شيء واحد " (٢)

ثالثاً: الإستدلال العقلي :

أنّ العقل وحسب التعرّف على صفات الله سبحانه وتعالى، من كونه حكيماً غير عابث، يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم توارد هذه الكبريات في النبوة والإمامة ، فحين كانت الإمامة إمرة إلهية واستمرار لوظائف النبوة ، في حفظ الشرع وكونه العالم بجميع أحكام الله المودعة في كتابه التي فيها صلاح العباد ، فكان مقتضى حكمته أن لا يحل في مقام النبي إلا إمام معصوم مسدد، له ما للنبي من الصفات والكمالات ، لا فرق بينهما سوى النبوة.

وفي خصوص موضوع الطاعة وبناءً على ما ورد في إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله كتاباً وسنة يُرشد الى حكم العقل أيضاً ، فإن ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله مرسل من قبل الله عز وجل، وكل ما يقوله مستند إليه تعالى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فالعقل يحكم حينئذ بوجوب إطاعته بنفس الملاك الذي حكم بوجوب إطاعة الله تعالى، ولذلك نشاهد أنه تعالى قرن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله بطاعته، والأمر نفسه بالنسبة الى الإمامة ، وذلك أن ثبت تنصيبهم من قبل الله عز وجل ، وعصمتهم عن الخطأ

(١) مائة منقبة ، ابن شاذان القمي : ١٨ . وغاية المرام : ٤٥٠ ح ١٤ .
(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣١٧/٢٦ ح ٨٢ . نقلاً عن تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة : الحر العاملي : ٢٣٠ .

والسهو والنسيان كالأنبياء عليهم السلام ، يؤدي هذا بحكم العقل بوجوب طاعتهم كما وجب ذلك في حق الأنبياء (١) وهذا هو محل التوارد .

رابعاً: قاعدة اللطف :

اللطف هو أمر يفعله الله تعالى بالمكلف ليقربه إلى الطاعة ويُبْعِدَه عن المعصية، دون أن يكون لهذا اللطف تأثير على قدرة المكلف أو إجباره (٢) ، بحيث يجعله أقرب إلى امتثال أوامر الله تعالى وأبعد عن ارتكاب نواهيه (٣)

لذا يتعين من باب اللطف أن يوجد الله سبحانه فرداً بعد النبي ﷺ تكون فيه صفات الأنبياء حتى يبين للناس أحكام دينهم ويدفع الظلم عنهم ويبسط العدل فيما بينهم.

"وطبقاً لقاعدة اللطف القائلة أنه سبحانه فاعل كل ما يقرب العبد إلى الطاعة وما يبعده عن المعصية بحيث لا يترك عباده بلا مرشد يدلّهم إلى الخير والطاعة ويبعدهم عن الشر والمعصية، وحيث إن الله تعالى ختم بالنبي محمد ﷺ النبوة وشريعته خاتمة الشرائع والأديان وناسخة لما تقدم عليها، فهي أتم الشرائع فلا بد أن تكون شريعته شاملة تعطي لكل حادثة متجددة حلاً لها، وهذا لا يمكن حصره في فترة زمنية قصيرة، فيتعين ومن باب اللطف إيجاد أشخاص وأفراد كاملين بمنزلة النبي يبينون ما خفي على الناس من معرفة دينهم ويشرحون لهم ما عجزوا عن حله، لا سيما في عصر يكون التقدم العلمي في أعلى ذروته فمجيء شخص ليس عنده العلم الإحاطي قبيح عقلاً" (٤)

(١) ينظر : الموسوعة الفقهية الميسرة ، محمد الانصاري: ١٥/٤ .

(٢) مناهج اليقين في اصول الدين ، العلامة الحلي : ٣٨٧/١ . وارشاد الطالبين الى نهج المسترشدين : ٢٧٦ / ١ .

(٣) القواعد الكلامية ، علي رباني الكلبيكاني: ٩٨ / ١ .

(٤) الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ، محمد العاملي : ٢ / ٢٨٦ .

فكما إنّ اللطف واجب على الله تعالى, فتوارد هذه الكبريات في النبوة والإمامة واجب على حد سواء ، وذلك من أجل تحقق الغاية السامية التي من أجلها بعث الله الرسل ، وتمام الحجة على عباده ، فإن الصفات التي جعلها الله في أنبياءه ، كان لابد من تواردها في الخلفاء من بعدهم الذين اصطفاهم الله لإكمال المسيرة التي ساروا عليها لهداية العباد وتكاملهم ، فإذا انتفت صفة من صفات الأنبياء في الإمامة ، وكانت هذه الصفات قد أوجبها الله فيهم لتمام نعمته على عباده ، فسيكون هناك تقصير في حق العباد لقصورهم عن معرفة ما يصلح به حالهم وحاجتهم الى انتظام امورهم في المعاش والدين والدنيا كما كان وظيفة الأنبياء ، وحاشى لله اللطيف الخبير بأحوال عباده من ذلك .

الفصل الأول

الكُبريات المُتَوَارِدَة في طَهارة النبوّة والإمامة

المبحث الأول: الطهارة المعنوية

المبحث الثاني: الطهارة المادية

الكبريات المتواردة في طهارة النبوة والإمامة

توطئة: مفهوم الطهارة

في اللغة : جاء في المعاجم اللغوية في مادة (طهر) :

- ١ - تدل على النقاء والتنزّه عن الدنس وعن كل قبيح .^(١)
 - ٢ - التَّنَزُّه من الأَقْدَار والآثام " ^(٢)
 - ٣ - نقيض الحيض ، والطهارة من النجاسة ومن العيوب .^(٣)
 - ٣ - التطهّر بالماء ونحوه ، غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة وتتنوّع إلى وضوء وغُسل وتيمُّم ونحوها" ^(٤)
- وقال الرّاغب (ت ٥٠٢ هـ): "الطهارة ضربان ..طهارة النَّفس : ترك الذَّنْب والعمل للصَّلاح وتنقية النَّفس من المعاييب، وطهارة الجسم : رفع حدث أو إزالة نجس أو ما في معناهما وعلى صورتها" ^(٥)
- يتضح مما تقدم إن الطهارة هي النقاء والتنزّه عن الأدناس، ومن كل رجس وشيئين في الأمور المادية والمعنوية ، فيكون النجاسة بذلك ضد لها .
- أما اصطلاحاً : فالطَّهارة في الشَّرْع : "عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة" ^(٦)، أو "هي إزالة خَبَثٍ أو حَدَث" ^(٧)
- ويتلخص مما تقدم إن الطهارة وصف وجودي في الأشياء من حيث كونها صفة توجب الرغبة فيها ، وهي ضد صفة النجاسة التي توجب الكراهة والاستقذار، وقد عدت الشريعة الإسلامية عدة أشياء نجسة : كالدّم والبول والغائط والمنى من

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣ / ٤٢٨ .

(٢) كتاب العين ، الخليل الفراهيدي : ٤ / ١٨ .

(٣) الصحاح ، إسماعيل الجوهري : ٢ / ٧٢٧ .

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر : ٢ / ١٤١٨ .

(٥) المفردات في غريب القرآن : ٣٠٨ . وينظر : التوقيف على مهمات التعريف ، عبد الرؤوف ابن المناوي: ٢٢٨ .

(٦) التعريفات، الشريف الجرجاني : ١٢٠ .

(٧) التعريفات الفقهية ، محمد البركتي : ١ / ١٣٨ .

الإنسان وبعض الحيوان والميتة والخنزير أعياناً نجسة ، والطهارة إزالة للنجاسة الحاصلة بملاقاة هذه الأعيان ، أو إزالة الحدث الحاصل بالوضوء والغسل على الطرق المقررة شرعاً المشروحة في كتب الفقه.

وهناك معاني عدة لكلمة (الطهارة) الواردة في آيات القرآن الكريم ، إذ ذكر أهل التفسير أنّ الطهارة في القرآن على أوجه :

١- الطهارة من الذنوب التي خلطوها بأعمالهم الصالحة ^(١): كقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢)

٢- الطهارة من وجود الأوثان وعبادتها ومظاهر الشرك وملاحمه ^(٣): كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ^(٤)

٣- الطهارة من مس الشياطين ^(٥): كقوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ ^(٦)

٤- طهارة القلب من الريبة ^(٧): كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ

(١) ينظر : نفحات الرحمن في تفسير القرآن ، محمد نهاندي : ٣ / ٢٠١ . والنكت والعيون ، علي المارودي : ٢ / ٣٩٨ .

(٢) سورة التوبة : ١٠٣ .

(٣) ينظر : تفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١ / ٣٧٨ . والتفسير الموضوعي للفرقان ، محمد صادقي : ٢٦ / ٢٠٣ . وتفسير القرآن العظيم ، إسماعيل ابن كثير : ١ / ٢٩٥ .

(٤) سورة البقرة : ١٢٥ .

(٥) ينظر : فتح الرحمن في تفسير القرآن ، أبو اليمن عليمي : ٧ / ٢٨٦ . التفسير الواضح الميسر ، محمد علي الصابوني : ١ / ١٥٢٨ .

(٦) سورة عبس : ١٤ .

(٧) ينظر : مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٢ / ٥٨٤ . وتفسير البغوي ، الحسين بن مسعود : ١ / ٣١٢ . وتفسير السمرقندي ، أبو الليث السمرقندي : ١ / ١٥٢ .

بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَزَكَّى لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (١)

٥- الطهارة من كل عيب و دنس، خُلُقاً و خُلُقاً (٢) : كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (٣)

٦- الطهارة الحسية من الحدث والخبث ، سواء كان بالاغتسال والوضوء
والغسل (٤) : كقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا
النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٥)

فيتضح مما تقدم إن الطهارة في القرآن الكريم هي التنزه عن كل ما تنفر منه
النفوس وترفضه الفطرة السليمة سواء كانت طهارة مادية من الحدث والخبث أو
طهارة معنوية من الأعمال السيئة والشرك بالله .

وعلى هذا المنهج القرآني تقرر تقسيم الطهارة على مبحثين لكلا نوعيها المادي
والمعنوي ، لدراسة هذه المعاني القرآنية ومعرفة علاقتها مع مقام النبوة والإمامة
من حيث النقاء والتنزه من كل قبيح مادي او معنوي .

(١) سورة البقرة : ٢٣٢ .

(٢) ينظر: تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٩٠/١ . ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد
الأعلى السيزواري : ٢٨٩ / ٨ .

(٣) سورة النساء : ٥٧ .

(٤) ينظر : تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٢١٢/ .

(٥) سورة التوبة : ١٠٨ .

المبحث الاول : الطهارة المعنوية

توطئة: مفهوم الطهارة المعنوية

علمنا مما تقدم ان الطهارة هي النقاء والتنزّه ، والطهارة المعنوية هي القسم الأول منها ، وهي النقاء والتنزّه من الشرك بالله والمعاصي وكل ما حرّم الله عمله ، فلا تكون في الأمور الحسية الظاهرية كما في الطهارة المادية ، وهذه الطهارة المعنوية في خصوص النبوة والإمامة هي عصمتهم المطلقة عن كل ما حرّم الله صغيراً كان أو كبيراً ، وإن دلالتها في المصادر التفسيرية والكلامية بمسمى (العصمة) لأنها تعصم أي تمنع من ارتكاب المعصية (١)

أولاً: في اللغة والاصطلاح :

العصمة في اللغة : المنع والوقاية (٢) والحفظ (٣) والإمساك والملازمة (٤) وجميع المعاني اللغوية تعطي معنى العصمة .

أما في الاصطلاح : فقد اختلفت تعبيرات الأعلام لتعريف العصمة إلا أن المحتوى واحد منها :

١ - أنها لطف : كما عرفها الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) بقوله : "لطفٌ يفعلُهُ اللهُ تعالى بالمكلف، بحيث تمنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرته عليهما" (٥) وكذلك الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) في رسائله (٦) ، وابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) في شرحه (٧) وأضاف العلامة الحلي بكونها "لطف خفي" (٨) وغيرهم .

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، محمد القرطبي : ١٨٣ / ٩ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور: ٤٠٣ / ١٢ مادة (عصم) . ومقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣٣١ / ٤ مادة (عصم) .

(٣) مجمع البحرين ، الطريحي : ١١٦ / ٦ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣٣١ / ٤ مادة (عصم) .

(٥) النكت الاعتقادية : ٣٧ / ١٠ . وينظر : تصحيح إعتقادات الإمامية ، الشيخ المفيد : ١٢٨ .

(٦) ينظر : رسائل المرتضى : ٢٩٥ / ١ .

(٧) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٨ / ٧ .

(٨) الباب الحادي عشر : ٣٧ .

٢ - أنها مَلَكَة : كما عرّفها الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في تعريفاته : " هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها " (١) وكذلك الخواجه الطوسي (ت ٦٧٢هـ) في قواعده (٢) وأضاف أحمد الاحسائي (ت ١٢٤١هـ) انها مَلَكَة باطنية في كتابه العصمة (٣) أما ابن ميثم البحراني (ت ٦٨٩هـ) فقد أضاف بكونها ملكة نفسانية (٤) .

٣- مَوْهبة إلهية : وقد وصفها بذلك السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) في تفسير آية التطهير (٥) فقال: "إنَّ الله تستمر إرادته أن يخصّكم بموهبة العصمة بإذهاب الاعتقاد الباطل وأثر العمل السيء عنكم أهل البيت وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة" (٦)

يتضح مما تقدم إن العصمة في اصطلاح العلماء وإن اختلفت التعبيرات لكنها تفضي إلى المعنى اللغوي فإن هذه المفردات المختارة هي ميزة لا تزول وهذا مؤدى المنع والوقاية من المعاصي سواء كان كبيرة أو صغيرة ، وسواء كانت ملكة أو لطف أو موهبة فهذا لا يخرج عن الغاية وهي حفظ الله تعالى لأفراد مصطفين مما نهى الله عنه ، والعبد بالإختيار من غير إجبار على الترك أو الفعل .

ثانياً: العصمة في القرآن الكريم : وردت العصمة ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعاني تفسيرية عدة منها: المنع والإمساك والحماية (٧)، كما في قوله تعالى:

١ - قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨)

(١) التعريفات : ١ / ١٥٠ .

(٢) ينظر : قواعد العقائد : ٤٥٥ .

(٣) ينظر : العصمة : ٣٨ .

(٤) النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة : ٥٥ .

(٥) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٦) تفسير الميزان: ١٦ / ٣١٣ .

(٧) ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد الثعالبي: ٢ / ٨٣ . وتفسير البغوي :

الحسين بن مسعود: ٤٧٩/١ . وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري: ٢ / ٥٤٧ .

وفتح الرحمن في تفسير القرآن ، مجير الدين الحنبلي: ٣ / ١٥٠١ . والتفسير الوسيط ،

الواحيدي: ١١ / ٤٢٨ . وتفسير السمرقندي ، أبو الليث السمرقندي : ٣ / ٥٢ .

(٨) سورة آل عمران : ١٠١ .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (١)

٣ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنِ ارَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ ارَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ (٢)

٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ ﴾ (٣)

ثالثاً: في مفهوم العصمة : فقد انقسم على أقوال (٤):

١ - الجبر : أي إن المعصوم مسلوب الاختيار؛ أي لم يمتنعوا باختيارهم بل أُجبروا عليه ، وهو قول منسوب إلى الأشاعرة.

٢ - المعصوم ليس من البشر : أي أن المعصومين عندهم الإرادة والاختيار، ولكنهم ليسوا من سنخ البشر وليس لهم من الطبائع البشرية من الغضب والشهوة وغيرها شيء ، فلما كانت خصائصهم تختلف عن خصائص البشرية فلا يصدر منهم معصية ؛ لعدم وجود دواعيها ، وهو قول بعض الأشاعرة .

٣ - الاختيار: إن المعصوم له كل الإرادة والاختيار ولكن بما عنده من علم يمتنع عن المعصية ، وهو قول مدرسة الإمامية .

والقول الأخير هو الصواب وذلك ان العصمة تَفْضُلٌ من الله تعالى على من عِلْمُ أنه يتمسك بعصمته، والإعتصام فعل المعتصم وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة الى فعل الحسن ، فإن المعصوم له الإرادة والاختيار، فإن كان إمتناعهم بسبب سلب إرادتهم ، أو ليس لهم من الطبائع البشرية من غضب وشهوة ، فكيف يأمرنا الله تعالى بالإقتداء بهم ، والبشر عندهم دواعي المعصية وبهذا يكون التكليف بغير المقدور .

(١) سورة هود : ٤٣ .

(٢) سورة الأحزاب : ١٧ .

(٣) سورة يوسف : ٣٢ .

(٤) ينظر : تفسير القرآن المجيد للشيخ المفيد ، محمد علي آيازي : ٣٥٦ .

ويدل على ذلك الرأي : قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (١)

يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره: "فإن عصمة الأنبياء لا تجعل الذنب على الأنبياء مُحالاً، بل المعصوم له قدرة على ارتكاب الذنب، و لم يسلب منه الاختيار، و مع ذلك لم يتلوث بالذنوب. بعبارة أخرى: إن المعصوم قادر على الذنب، و لكن إيمانه و علمه و تقواه بدرجة لا تجعله يتجه معها إلى ذنب" (٢)

رابعاً: مجالات العصمة: فقد ورد فيها عدة أقوال (٣) :

١ - العصمة في الواجبات وترك المحرمات ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤)، وذلك أن طريق الصراط المستقيم لا ينسجم مع أي نوع من أنواع المعاصي ، فمن كان على الصراط المستقيم كان معصوماً .

٢ - العصمة في تلقي الوحي ، قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (٥) ، وهذا شاهد على العصمة في تلقي الوحي ، لأن الذي ينزل عليه بالوحي هو من الملائكة المكرمين الذين لا يتقدمون بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به الله تعالى ، وهو الملك جبرائيل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ ﴾ (٦).

٣ - العصمة في تطبيق الشريعة في حياة الناس ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٧) .

(١) سورة الرعد : ٣٧ .

(٢) تفسير الأمل : ١ / ٣٦١ .

(٣) الدفاع عن الانبياء والمرسلين في كتاب الله المبين ، الشيخ حسن المياحي : ٢٩ . وينظر : دروس في العقيدة الإسلامية ، محمد تقي اليزدي : ١٩٥ .

(٤) سورة الأنعام : ٨٧

(٥) سورة الشعراء : ١٩٣ .

(٦) سورة الأنبياء : ٢٧ .

(٧) سورة النساء : ١١٣ .

٤ - العصمة في الشؤون الحياتية ، قال تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١) ، أي لابد الذي يكون شاهداً على الخلق يعلم صغيرها وكبيرها ومعصوماً في جميع تشخيصاته .

وثرَّج الباحثة شمول العصمة لجميع ما ذكر ، فلم تقتصر على فعل الطاعات أو ترك المعاصي والمحرمات بل تشمل كل ما ينافي بتبليغ الدعوة وقبولها حتى لو كان المنفر مباحاً بالعنوان الأولي.

وهذا ما أكدت عليه المصادر التفسيرية ، منها : قول ابن عطية الاندلسي(ت ٥٤١ هـ): " اجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ ومن الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة ، واختلف في غير ذلك من الصغائر ، والذي أقول به أنهم معصومون من الجميع " (٢)

إضافة الى المصادر الكلامية بأن العصمة "تنزّه عن الذنوب والمعاصي، صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلاً على النبي ان يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون مُنْزَهاً عمّا ينافي المروءة، كالتبذّل بين الناس من أكلٍ في الطريق، أو ضحك عالٍ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام" (٣)

المطلب الأول : توارد الطهارة المعنوية في النبوة والإمامة

هناك آيات قرآنية ذكرت توارد العصمة في النبوة والإمامة منها :

الآية الأولى : قال تعالى : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤)

صرّح القرآن الكريم بأن عبادة الله مُخْلِصِينَ لا يقعون تحت غواية الشيطان فقد وصف به الأنبياء عليهم السلام في مواضع أخرى:

(١) سورة النساء : ٤١ .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز : ١ / ٢١٢ .

(٣) عقائد الإمامية ، الشيخ المظفر : ٥٤. الفوائد البهية ، محمد العاملي: ١ / ٥٧٢

(٤) سورة ص : ٨٢-٨٣ .

كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (١)

والذين استثناهم من ذلك الإغواء "إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ بِتَوْفِيقِكَ وَعَصَمْتَهُمْ مِنْ فِتْنَتِي" (٢) هم المعصومين الذين أخلصوا عبادتهم لله تعالى .

وقد خصَّ محمد تقي النقوي (ت ١٤٤٤ هـ) (المُخْلِصِينَ) في الأنبياء والأوصياء : "أي لأضلنهم إلا عبادك منهم المُخْلِصِينَ ، استثنى إبليس من العباد وذلك لعدم قدرته على إغوائهم كالأنبياء والأوصياء لمكان عصمتهم، وأمَّا غيرهم من النَّاس فهو قادر على إغوائهم بلا شكَّ وريب فمن ادَّعى غير المعصوم أنَّه آمن من شرِّه فهو كاذب في قوله .." (٣) وهذا صريح بتوارد العصمة في النبوة والإمامة.

وعن الأعمش ، عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال: "ولا يفرض الله على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم ولا يختار لرسالته ولا يصطفي من عباده من يعلم أنه يكفر ويعبد الشيطان دونه ، ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوماً ، والأنبياء و الأوصياء لا ذنوب لهم، لأنهم معصومون مطهرون" (٤)

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٥)

إنَّ الآية عطفَت أُولي الأمر على الرسول وإطاعتهما على إطاعة الله ، وهذا يقتضي عصمتهم، فالأمر بإطاعة الأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٦) وأولو الأمر بصورة مطلقة يعني تضمين عصمتهم ، فإن اقتران طاعتهم بطاعة الله عز وجل بلا قيد أو شرط لا يتناسب مع معصيتهم .

(١) سورة مريم : ٥١ .

(٢) التيسير في التفسير ، عمر النسفي : ٩ / ١٩٤ .

(٣) ضياء الفرقان في تفسير القرآن : ١٤ / ٤٨٦ .

(٤) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ٥ / ٥٧ ح ١٩ . وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب،

محمد المشهدي: ١٢ / ٢٧١ نقلا عن الخصال ، الشيخ الصدوق : ٦٠٨ .

(٥) سورة النساء : ٥٩ .

(٦) سورة النساء : ٦٤ .

فقد ورد عن سليم بن قيس ، قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : "إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته" (١)

الآية الثالثة : قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢)

"إن الآية إحدى الأدلة على عصمة النبي الأكرم عليه السلام ، لأن الأمر بالتسليم المطلق أمام جميع أحكامه وأوامره قولاً وعملاً، بل والتسليم القلبي والخضوع الباطني له أيضاً دليل واضح على أنه عليه السلام لا يخطئ في أحكامه وأقضيته وتعليماته، ولا يتعمد قول ما يخالف الحق فهو معصوم عن الخطأ، كما هو معصوم عن الذنب أيضاً" (٣)

الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٤) "إسناد الهداية إلى هذه الأمة لا يخلو عن الدلالة على مصونيتهم من الضلال ، واعتصامهم بالله من الزيغ إما بكون جميع هؤلاء المشار إليهم بقوله : ﴿ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ متصفين بهذه العصمة والصيانة كالأنبياء والأوصياء ، وإما تكون بعض هذه الأمة كذلك ، وتوصيف الكل بوصف البعض نظير قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَكُمْ مَثَلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ مُّثَلًا ﴾ (٥) ، وإنما المتصف بهذه المزايا بعضهم دون الجميع " (٦)

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٧)

(١) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ٤٦٤ / ١ . وتفسير البيان الصافي لكلام الله الوافي، محمد حسن العاملي: ٣٣٣/٢ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٥ / ٢٠٠ ح ١١ .
ووسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٢٧ / ١٢٩ ح ١٧ .

(٢) سورة النساء : ٦٥ .

(٣) تفسير الأمل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣ / ٣١١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٨١ .

(٥) سورة المائدة : ٢٠ .

(٦) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي: ٨ / ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٧) سورة البقرة : ١٢٤ .

"وبعد أن اجتاز هذه الاختبارات بنجاح (يقصد إبراهيم عليه السلام) إستحق أن يمنحه الله الوسام الكبير قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وهنا تمنى إبراهيم عليه السلام أن يستمر خط الإمامة من بعده، و أن لا يبقى محصوراً بشخصه، قال ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ لكن الله أجابه: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وقد استجيب طلب إبراهيم عليه السلام في استمرار خط الإمامة في ذريته، لكن هذا المقام لا يناله إلا الطاهرون المعصومون من ذريته لا غيرهم" (١)

فالمناصب الإلهية كالنبوة والإمامة لا ينالها الظالم ،والظالم بالمصطلح القرآني هو كلّ عاصٍ ومذنب.

وفي معنى الظلم والظالمين نجد في القرآن الكريم إضافة إلى هذه الآية موارد كثيرة ، قال تعالى : ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢) إذ نفى الله سبحانه وتعالى منح المناصب الإلهية لأولئك الملوئين بالذنوب ، فيجب ألا يراد التعدي لحدود الله مطلقاً ، سواء كان التعدي عن عمدٍ أم سهو، فإن تعدي سهواً ، فهو متعدي ظالم لنفسه ، قال تعالى : ﴿..وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (٣) ، فيجب ان يكون معصوماً مطلقاً "فإن لحظة من الذنب و المعصية خلال العمر تسبب سلب لياقة هذه المنزلة عن الشخص" (٤).

وأخبرت مولاتنا سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) عن رسول الله ﷺ أنه قال : "أخبرني جبرائيل عن كاتبي علي عليه السلام : أنهما لم يكتبتا على علي ذنباً مذ صحباه" (٥)

(١) تفسير الأمل : ناصر مكارم الشيرازي : ١ / ٣٦٧ .

(٢) سورة آل عمران : ٩٤ .

(٣) سورة الطلاق : ١ .

(٤) تفسير الأمل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١ / ٣٧٢ .

(٥) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، ٢٥ / ١٩٣ ح ٣ . وهذه فاطمة (صلوات الله عليها) ، نبيل الحسيني : ٦ / ١٣١ .

ويستدل أيضاً بحديث الثقلين^(١) : قال رسول الله ﷺ : " إني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض " ^(٢) فحين قرن رسول الله ﷺ القرآن الكريم مع العترة الطاهرة عليهم السلام ، وأكد عدم افتراقهم أبداً ، هذا دليل واضح على عصمتهم وأنهم بمنزلة الكتاب ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ^(٣) فعن سليم بن قيس الهلالي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : " إنّ الله طهرنا ، وعصمنا ، وجعلنا شهداء على خلقه ، وحجّته في أرضه ، وجعلنا مع القرآن ، وجعل القرآن معنا ، لا نفارقه ولا يفارقنا " ^(٤) ، فإن ارتكاب المعصية حتى لو كانت صغيرة ، وان صدرت سهواً يعني الإفتراق العملي عن القرآن.

المطلب الثاني : توارد مدة العصمة في النبوة والإمامة

أختلف في أمد العصمة على قولين :

١- العصمة مدة التبليغ وأداء الرسالة فقط ، وهو قول أهل السنة ، وقالوا بعصمة الأنبياء عن الذنوب وتأولوا ما روي عنهم من زلاتهم على أنها كانت قبل النبوة ^(٥)

٢- العصمة من الولادة حتى آخر العمر ، وهو قول الإمامية ، يقول العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ) : " إنه معصوم من أول عمره إلى آخره ، لعدم انقياد القلوب إلى طاعة

(١) "وحديث الثقلين من المتواترات التي أجمع على روايتها الفريقان ، وقد انتهى بعض علماء الحديث رواته من الصحابة إلى خمس وثلاثين راوياً من الرجال والنساء ، وقد رواه عنهم جم غفير من الرواة وأهل الحديث" تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣ / ٣٧٩ .

(٢) المستدرک ، الحاكم النيسابوري : ٣ / ١٠٩ .

(٣) ينظر : تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ١ / ٣٦٥ . ومعاني الأخبار ، الشيخ الصدوق :

١٣٢ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٥ / ١٩٤ .

(٤) بحار الأنوار ، المجلسي : ٢٣ / ٣٤٣ . ووسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٢٧ / ١٧٨ ح ٤ .

(٥) ينظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر البغدادي : ١ / ٣٣٣ .

من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي : الكبائر والصغائر وما تنفر النفس منه " (١)

ويقول الشيخ المظفر (ت ١٣٨٣ هـ): "ونعتقد أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولية إلى الموت، عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان" (٢)

بعد أن اطلع الباحثة على حياة المعصوم وجدت أن عصمته قد وجدت من قبل ولادته في عالم الدنيا ، فقد أثبت المعصوم عصمته في عالم النور والأشباح ، وقبل مرحلة عالم الذر وأخذ الميثاق ، وقبل أن يخلق الله النبي آدم ﷺ وبدأ عالم الأرحام والأصلاب .

وذلك أن النبي ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام قد وُجِدُوا على صفة الطهر، فقد خلق الله نور نبيه ﷺ من نوره وعظمته عز وجل قبل خلق المخلوقات كلها، وخلق منه الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام (٣)، فأمرهم الله بالتسبيح فلبّوا وسبّحوا ، وعلموا الملائكة التسبيح، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (٤)

قال أمير المؤمنين علي ﷺ في بعض خطبه: "إنا آل محمد كنا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ثم أهبطنا إلى

(١) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي ، المقداد السيوري: ٨٥ .

(٢) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، محسن الخرازي: ٣٩ / ٢ .

(٣) بإسناده مرفوعاً إلى جابر بن يزيد الجعفي قال: "قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ: يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً " صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، نسيح الله تعالى ونقدسه ونحمده ونعبده حق عبادته.." بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٧ / ٢٥ .

(٤) سورة الصافات : ١٦٥-١٦٦ .

الأرض فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت أهل الأرض بتسبيحنا، فإننا لنحن الصّافون وإننا لنحن المسبحون " (١)

فأدركوا حقيقة الألوهية ولوازمها من الخضوع والتسليم والتعظيم والتسبيح والعبادة والخلوص لله من ذلك العالم ، أي طهروا من الشرك والجحود والإنكار من أول ما وُجِدُوا في عالم الملكوت الذي لا يقع تحت الحس والإدراك (٢) ولا نعرف عن عالم الملكوت إلا ما أخبرنا به الله عن عالم الأنوار حيث حضور تلك الحقائق الغير مضافة الى الزمان ، إذ إن الزمان إنما يقاس بالنسبة إلينا في خارج دائرة ذلك العالم ، وذلك بسبب محدوديتنا به .

ثم أهبط أنوارهم من ذروة عرشه الى الأرض فسبّحوه وقَدّسوه في أرضه كما سبّحوه وقَدّسوه في سماواته ، وحين خلق الله آدم ﷺ وأراد الله إخراج ذريته لأخذ الميثاق سَلَّكَ ذلك النور فيه (٣) ، ثم أخرج ذريته من صلبه يلبون فسبّحوا لتسبيحهم ﷺ ولولا ذلك لم يدروا كيف يُسبّحون الله عز وجل ، وخرجوا كالذّرّ في تلك العوالم الذرية والنورانية ، فأشهدهم على أنفسهم وعرّفهم نفسه، وأخذ منهم الميثاق على ربوبيّته وبالنبوة لرسول الله محمّد ﷺ والولاية لأمر المؤمنين وأهل بيته الطّاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) ، فتمّت بذلك الحجّة عليهم يوم القيامة ، وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقة ، وهي أن الله أخذ في عالم الذر ميثاق الخلائق في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٤ / ٨٨ . نقلا عن كنز الفوائد ، ابو الفتح الكراجكي : ٢١٦ .

(٢) " أن العالم ينقسم قسمين: أحدهما: ظاهر محسوس كعالم الملك. والثاني: باطن معقول كعالم الملكوت ، والإنسان كذلك انقسم إلى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم و سائر أنواع الجواهر المحسوسة، وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة ، وأشبه ذلك " . نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، عبد الرحمن السيوطي : ١ / ١٨٢ .

(٣) ينظر: تفسير الإمام العسكري، الإمام الحسن العسكري ﷺ : ١ / ٢٢٠ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٣٢٧/٢٦ ..

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾

وأقروا في عالم الميثاق بطهارتهم من الشرك واخلاص العبودية والخضوع والطاعة لله ، فكان نبينا محمد ﷺ أول من سبق من الأنبياء بالإقرار بالله عز وجل وأول من قال (بلى) في عالم الذر وأتبعه أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام (٢) .

يقول الملاء علي القاري (٣) (ت ١٠١٤ هـ): "وقد ورد أنه ﷺ أول من قال بلى و ذلك لظهور نوره أولاً بل ولا كان وجود موجود لولا أوان هذا في عالم الأرواح قبل ظهور الأشباح كما يشير إليه قوله ﷺ كنت نبياً و آدم بين الروح و الجسد فهو نبي الأنبياء في عالم الإبتداء كما صار إمام الأنبياء في ليلة الإسراء " (٤) ولما أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء بربوبيته، عرض الله عليهم نبوة محمد ﷺ فأول من آمن به علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٥)

ثم أودع الله النور صلب آدم (عليه السلام) يتناقل بين أصلاب النبيين وأرحام نسائهم - وهذا ما سنتطرق الى بيانه في مبحث الطهارة المادية - ليبارك النبي والعتره (عليه السلام) مسيرة الأنبياء في كل العصور، فلا يخلو من أهل البيت (عليه السلام) زمنٌ ، وشرف الذي استقر فيه حتى صار في صلب عبد المطلب فوقع بأمر عبد الله فاطمة عليها السلام فافترق النور جزأين : جزء في عبد الله (عليه السلام) وجزء في أبي طالب (عليه السلام) (٦) ، حتى

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) روى أبو جعفر الكليني بإسناده عن داود الرقي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: "لما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة (عليه السلام) فقالوا: أنت ربنا فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون..." نور الثقلين، عبد علي الحويزي: ٨١ / ٢ نقلا عن اصول الكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ١٣٣ باب الكرسي والعرش . نفحات الرحمن في تفسير القرآن ، النهاوندي : ٣ / ٢٩ . ينظر : تفسير العياشي ، محمد العياشي : ٢ / ٣٩ .

(٣) الملاء علي القاري الهروي هو فقيه حنفي ماتريدي صوفي ، من علماء أهل السنة والجماعة (٤) انوار القرآن وأسرار الفرقان : ١ / ٣٠٤ .

(٥) ينظر: تفسير العياشي ،محمد بن مسعود: ٢ / ٤١ . وبحار الانوار ،المجلسي : ١٧ / ١٥٥ .

(٦) ينظر: تفسير جابر الجعفي صاحب الإمام الباقر (عليه السلام) ، عبد السادة : ١١٣ .

ولدوا مسلمين موحدين عابدين لله تعالى حتى آخرهم الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)، فإن طهارتهم المعنوية (عصمتهم) بدت للوجود بمجرد أن شعرت هذا الأنوار بوجودها ، فظهرت من تسييحهم وتقديسهم وعبادتهم لله تعالى ، وشعورها بوجود خالقها ، فلبت نداء ربّها وأطاعت ، وخشعت له ، فسبقوا الخلق في الخلق وتقدموا على من سواهم بالوجود ، فهم السابقون الى كل مكرمة والفائزون بكل فضيلة ، وسبقوا الخليقة الى توحيد الله وتقديسه وتمجيده (١) ، وطهارتهم في الولادة ومدة حياتهم حتى الممات وبعد الممات سنتطرق اليها في باقي المباحث .

(١) ينظر : تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة، الحر العاملي : ١٩٥ .

المبحث الثاني : الطهارة المادية

المطلب الاول : توارد طهارة الأَصْلَاب والأَرْحَام في النبوة والإمامة

توطئة: مفهوم الأَصْلَاب والأَرْحَام :

أولاً: الصُّلْب: في اللغة : " الشَّدِيدُ، وباعتبار الصَّلَابَةِ و الشَّدَّةِ سَمِيَ الظَّهْر صُلْباً ، تنبيه أن الولد جزء من الأب" (١) ، "جَمْعُ صُلْبٍ وَهُوَ الظَّهْر" (٢)

أما اصطلاحاً : قد نستخلص معناها من تفسير الآيات التي وردت فيها ، ومنها:

١ - قوله تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٣)

"ورد في تفسيره قولان: أحدهما: من بين صلب الرجل و ترائبه، قاله الحسن و قتادة ، الثاني: بمعنى أصلاب الرجال و ترائب النساء" (٤)

فهذه الآيات تُبَيِّنُ أن الماء الدافق - وهو المنى - يخرج من بين صلب والترائب، أي أن المكان الذي ينشأ ويتكون فيه هو في منطقة معينة بين صلب الرجل؛ أي ظهره، وبين ترائبه؛ أي عظام صدره.

٢ - قوله تعالى : ﴿وَحَلَالٌ لِّأَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (٥)

"أي حرم عليكم أزواج أبنائكم الذين وجدوا من ظهوركم" (٦) "والمراد بالابن من انتسب إليك بالولادة فيشمل ابن الإبن و إن نزل" (٧)

أي أن التحريم لأبناءكم الذين أنجبتموهم من ماءهم الذي خرج من أصلابهم، فمن المعروف أن المنى أو ماء الرجل يخرج من مكان معين في صلبه ؛ فإذا قيل: فلان من صلب فلان: أي أنه من ذريته .

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني: ٤٨٤ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور : ١ / ٥٢٧ .

(٣) سورة الطارق : ٥-٧ .

(٤) النكت والعيون ، علي الماوردي : ٦ / ٢٤٦ .

(٥) سورة النساء : ٢٣ .

(٦) عيون التفسير للفضلاء السماشير، شهاب الدين السيواسي: ١ / ٢٠٥ .

(٧) التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ٢ / ٧٨٩ .

ثانياً: الرحم : في اللغة : "مَوْضِعُ تَكْوِينِ الْوَلَدِ، وَمِنْ الْمَجَازِ: الرَّحِمُ: الْقَرَابَةُ تَجْمَعُ بني أبٍ، وبينهما رَحِمٌ أي: قَرَابَةٌ قَرِيبَةٌ، فَذَوُو الرَّحِمِ هم الْأَقْرَبُ، وَيَقَعُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ نَسَبٌ " (١)

أما في الإصطلاح : "جمع رحم، وهو مستودع النطفة في بطن المرأة، و مكان تربية الجنين ونموه و تكوينه بالطريقة التي يشاؤها الله، حتى يبرزه إلى الوجود بشراً سوياً" (٢) فالرحم هو موضع تكوين الجنين ووعاؤه في البطن .

وقد جاء ذكر الرحم في القرآن الكريم في كثير من المواضع ، منها:
١ - قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣)

جاء في تفسير الآية : "هو الذي يصوركم في أرحام أمهاتكم كيف يشاء، بأن جعل بعضكم طويلاً و بعضكم قصيراً، و هذا أبيض و ذاك أسود، و هذا ذكر و تلك أنثى، فهو وحده القادر على تصوير خلقه بتلك الصور المختلفة المتفاوتة، و من كان شأنه كذلك" (٤)

٢ - وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٥)

جاء في التفسير: " ان الله يعلم ما في الأرحام من البويضات، و ما يصلح منها لأن تصير جنيناً، و كيف يكون الجنين و الولد ذكراً أو أنثى أو خنثى، منفرداً أو توأمًا، أحمر أو أبيض أو أسود أو أسمر إلى آخر لون يكون عليه الإنسان.." (٦)

(١) تهذيب اللغة ، الأزهرى : ٣٤/٥ . ولسان العرب ، ابن منظور: ١٢ / ٢٣٣ . وتاج العروس ، الزبيدي : ٢٢٩ / ٣٢ .

(٢) التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ٢٥ / ٢ .

(٣) سورة آل عمران : ٦ .

(٤) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي : ٢٥ / ٢ .

(٥) سورة لقمان : ٣٤ .

(٦) حسن البيان في تفسير القران، محمد طه الباليساني: ٤ / ١٨٨٢ .

يتضح مما تقدم إن المراد من الأصلاب هو الأب الذي يحمل النطفة والأرحام هو رحم الأم التي تحمل كالوعاء الذي تستقر فيه ويتكون فيه الجنين ، فهناك تلازم بينهما وهو انتقال من عالم الأصلاب إلى عالم الأرحام لتكوين النفس البشرية .

أولاً : توارد الخلق في النبوة والإمامة

إن حياة الانسان وما يتخللها من منعطفات وتقلبات تتلخص في سبع مراحل : عالم الذر ، وعالم الطين ، وعالم الأصلاب ، وعالم الأرحام ، وعالم الدنيا ، وعالم البرزخ ، وعالم المعاد ، وبعد كلامنا عن عالم الذر في المبحث السابق وبيان طهارتهم المعنوية التي ابتدأت من عالم الذر وما سبق هذا العالم حيث كانوا أنواراً تسبح الله وتقديسه ، تأتي النوبة الى عالم الطين ومن بعده الى عالم الأصلاب والأرحام حيث تُبين فيه ابتداء طهارتهم المادية من أول خلقهم (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين) .

فإن أول ما خلق الله تعالى أبينا آدم عليه السلام ، خلقه من تراب الأرض وهو قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١)، ثم مزج التراب بالماء فصار طيناً، قال تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(٢) ، وبعد تصويره، ترك حتى جف، فكان صلصالاً (أي طيناً يابساً) في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٣) ، وبعدها نفخ فيه من روحه، فوهبه الحياة، فكان أبونا آدم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(٤). فصارت مراحل خلقه على الشكل التالي: خلاصة تراب الأرض، طين لازب متماسك، حمأ مسنون مصور، صلصال يابس، نفخ الروح.

(١) سورة غافر : ٦٧ .

(٢) سورة السجدة : ٧ .

(٣) سورة الرحمن : ١٤ .

(٤) سورة الحجر : ٢٨ .

وبعد خلق أبينا آدم ﷺ كان خلق أمنا حواء ﷺ ، فكان اللقاء بينهما في الجنة ، حيث خطبها من خالقها (١) ، وبزواجهم المبارك كانت بداية عالمي الأصلاب والأرحام ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٢)

إن مرحلة الانتقال من عالم الأصلاب الى عالم الأرحام ، والثبات في القرار المكين ، هي مرحلة أساسية في تكوين شخصية الإنسان ، لذلك أكد على إختيار الأم الأفضل نسباً والتي تورث أبناءها الخصال الحميدة (٣) .

إذاً من الأولى أن يكون أنبياء الله تعالى وأوصياؤه طاهري الولادة ، بمعنى أن لا يكونوا أولاد زنا وإلا لنفر ذلك من قبول الدعوة وهو خلاف الغرض من بعثتهم ، مضافاً إلى ما يحمله كل وليد من صفات وراثية لها تأثير في تكوين الشخصية الإنسانية وما تحمله من خصال ومزايا ، كما إن قدرة الله المتعال تمنع من تسلسل نطفة أنبيائه وأوصيائه في أصلاب وأرحام الكافرين والكافرات أو في أرحام محرمة كالأخت (٤) ، فهو -عز وجل- غير عاجز بأن يجعل نطفة نبيه الكريم ﷺ في أصلاب النبيين وأرحام الصديقات ، تشريفاً وتنزيهاً لهم عن ملامسة دنس الجاهلين ، مضافاً إلى ذلك فإن مشيئة الله -عز وجل- أرادت لهم أن لا يتلوثوا بثياب الجاهلية وهو ما أشار إليه الرب المتعال بقوله في آية التطهير : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٥) حتى لو كانت محتملة وبعيدة لئلا يكون لغيرهم مغمز عليهم ، قد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيب .

(١) ينظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ٢٢١ / ١١ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٢-١٤ .

(٣) قال ﷺ : " اختاروا لنطفكم ، فإن الخال أحد الضجيعين " . مستدرک الوسائل ، الميرزا النوري : ١٤ / ١٧٤ .

(٤) فقد انزل الله حوراء من الجنة اسمها نزلة ، وزوجها لأبن آدم ﷺ شيث ، وهو أول وصي أوصي إليه من بني آدم في الارض ، ومعاذ الله ما قالوا من أمر تزويج الاخوة والاخوات . ينظر : تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ١ / ٤١٦ .

(٥) سورة الأحزاب : ٣٣ .

فكان لابد ان تمتزج الطهارة المعنوية والمادية في من جعله الله تعالى وعاء لحمل النبوة والإمامة ، بأن يكون مطهراً من دنس الخطايا والذنوب والكفر والجهل وعبادة الأصنام والزنا والفاحشة وما شاكل ذلك، ولو حملناها على دنس الزنا فقط لما صحح لأباء النبي وأجداده ﷺ أن يكونوا مؤمنين، وهذا ما ثبت بالدليل القطعي من الكتاب والسنة والعقل سيذكر في محله .

ثانياً : توارد طهارة الأصلاب والأرحام

وردت كثير من النصوص التي تشير إلى طهارة أصلاب وأرحام آباء وأمهات الأنبياء من القرآن الكريم ، اختارت الباحثة أربعة من الآيات، وهي :

الآية الاولى : قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ ^(١)

فقد ورد في تفسير ﴿وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ معنيين :

الأول: إنَّ المراد من الآية رؤية النبي ﷺ ونظره إلى المصلين والساجدين خلفه، لأنه كما يرى من أمامه يرى من خلفه، كما ورد في الحديث: "لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي، فإنِّي أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي" ثم تلا النبي ﷺ الآية آنفة الذكر ^(٢)

وتبنى ذلك الرأي الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره بقوله : " وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه " ^(٣)

ومال محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ) الى هذا الرأي في تفسيره: "إن جميع آباء النبي موحدون ، ومن أدلتهم هذه الآية ، حيث فسروها بأن النبي ﷺ تقلب في أصلاب الموحدين ، واللفظ يتحمل هذا المعنى ، ويتحمل أيضاً تفسير من قال : ان الله يراك يا محمد مع المصلين ، وظاهر السياق يدل على هذا التفسير دون ذاك

(١) سورة الشعراء : ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣٣٦-٣٣٧ / ١٥ .

(٣) جامع البيان : ٤١١ / ١٩ - ٤١٣ .

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يسمع الأقوال ، ويعلم السرائر والأفعال ، ويجزي عليها ان خيراً فخير ، وإن شراً فشر " (١)

الثاني: إنَّ المراد منه أنَّ إنتقالك في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً ، من لدن آدم ﷺ حتى أبيه عبد الله ﷺ، كَلَّه تحت نظر الله سبحانه، أي حين تنتقل نطفتك المباركة من نبيٍّ موحد ساجد إلى ساجد آخر فإن الله عليم بذلك (٢)

قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : "وقال قوم من اصحابنا: إنه أراد ت قلبه من آدم إلى أبيه عبد الله في ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله " (٣)
وقال السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) في تفسيره : " وتقلبك في الساجدين يعني تقلبك في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات من آدم إلى نوح وإلى إبراهيم وإلى من بعده صلوات الله عليهم قوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يعني: بأبائهم وبأعمالهم " (٤)

وبالنظر الى المعنى الثاني فالآية تقرر أن الله سبحانه وتعالى كان يرى نطفة النبي الأكرم محمد ﷺ النورانية عندما كانت تتقلب في أصلاب أجداده الطاهرين عليهم السلام ، وهذا ما تذهب إليه الباحثة لورود التفسير والروايات التي تؤيد ذلك ، كما ان التفسير الوارد بأن الله تعالى يرى نبيه ﷺ مع المصلين ، لا يقدر بطهارة أصلاب أجداده الأنبياء الطاهرين عليهم السلام (٥).

(١) تفسير الكاشف : ٥ / ٥٢١-٥٢٢ .

(٢) ينظر : النكت والعيون ، علي الماوردي: ٤٥٠ . تفسير السمعاني ، أبو مظفر السمعاني: ٤/

٧١ . الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ٣٣٢/٦ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن : ٨ / ٦٨ .

(٤) بحر العلوم : ٣٧٥ .

(٥) قال الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) : "قال أصحابنا: إن أزر كان جد إبراهيم ﷺ لأمه، أو كان عمه من حيث صح عندهم أن آباء النبي ﷺ إلى آدم كلهم كانوا موحدين، وأجمعت الطائفة على ذلك .. ولو كان في آباءه ﷺ كافر لم يصف جميعهم بالطهارة، مع قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ سورة التوبة : ٢٨" . مجمع البيان : ٤ / ٣٢٢ .

قال الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ): "والذي عول عليه الجمع الغفير من أهل السنة أن أزر لم يكن والد إبراهيم ﷺ ، وإدّعوا أنه ليس في آباء النبي ﷺ كافر أصلاً" روح المعاني : ٧ / ١٤٩ .

فقد وروى السيّد شرف الدين الاسترآبادي (ت ٩٤٠ هـ) عن محمّد بن العبّاس مسنداً عن أبي الجارود قال: سألت الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هذه الآية، فقال: "يرى تقلّبه في أصلاب النّبیین من نبیّ إلى نبیّ، حتّى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السّلام" (١)

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)

جاء في كتب التفسير في تفسير الآية ما يدل على طهارة ولادته ، منها :

- ١ - "أخرج ابن مردويه عن أنس قال : قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فقال علي بن أبي طالب : يا رسول الله ما معنى : "أَنْفُسِكُمْ" فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أنا أنفُسُكم نسباً وصهراً وحسباً ليس فيّ ولا في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح " (٣) وهذه القراءة (أنفُسِكُمْ) بفتح الفاء من النَّفَاسَةِ : أي جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم من قولك : شيء نفيس ، وقد رويت هذه القراءة عن النبي صلّى الله عليه وآله وابنته السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) وابن عباس وغيرهم (٤)
- ٢ - "حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ، قال: لم يصبه شيء من شرك في ولادته" (٥) وقال النبي صلّى الله عليه وآله : "ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء وما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام" (٦)

أما بعض الآيات وشواذ الأخبار المتضمنة نسبة الخطايا والمعاصي إلى الأنبياء أو إلى نبينا عليه وعليهم السلام فقد أجاب عنها الشريف المرتضى في كتاب (تنزيه الأنبياء) فراجع .

(١) تأويل الآيات : ١ / ٣٩٦ ح ٢٥ . ينظر : مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٧ / ٢٠٧ .
وينظر: تفسير القمي ، علي بن إبراهيم: ٣ / ٢٥ . وبحار الأنوار، المجلسي : ١٥ / ٣ ح ٢ .
(٢) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٣) الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ٤ / ٣٢٧ . والشفاء ، القاضي عياض: ١ / ٢٢ .

(٤) ينظر :الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٨ / ٣٠١ .

(٥) جامع البيان ، محمد بن جرير الطبري : ١٢ / ٩٧ .

(٦) الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ٦ / ٣٣١ . وروى أبو نعيم بسند حسن بالشواهد عن

علي بن أبي طالب عليه السلام باختلاف يسير: دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني : ١ / ٥٧ .

كما إن الأحاديث المتواترة من طرق الخاصة و العامة تدل على طهارة نسب النبي الأكرم ﷺ ، ويستفاد منها أن أجداده عليهم السلام كانوا كلهم من الصديقين إما أنبياء مرسلين أو أوصياء معصومين، إذ اقتضت حكمة البارئ أن يكون الأنبياء من نوي الأنساب الأصيلة والأقوام العريقة الشريفة .

وهذا ما ورد على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وهو يصف الأنبياء ثم يُبين فضل الرسول ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام : " فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف، قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد ﷺ ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها امناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر..." (١)

وفي موضع آخر وهو يذكر رسول الله ﷺ: " مستقره خير مستقر ، ومنبته أشرف منبت ، في معادن الكرامة ، ومماهد السلامة (٢) " (٣) وقوله ﷺ: " نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية" (٤)

وبإشارات نصوص نهج البلاغة ، نقف على أهم ما انمازت به السلالة الطاهرة للآباء والأمهات التي احتضنت النور المحمدي وهي الطهارة ، وهذه الطهارة تشمل جانبين :

الأول : الطهارة من دنس الرجس والزنا والسفاح ، وكل فواحش ومتعلقات الجاهلية.
الثاني : الطهارة من الكفر والشرك بالله ، وهي الطهارة المعنوية وما يعبر عنها

(١) نهج البلاغة ، ما جمعه الشريف الرضي ، شرح محمد عبده : ١٦١-١٦٢ ، الخطبة : ٩٤ .

(٢) مماهد : جمع ممهد كمقعد ما يمهّد أي يبسط فيه الفراش ونحوه ، والسلامة: أي بمعنى البراءة من العيوب أي في نسب طاهر غير مأفون ولا معيب . شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد : ٥٥ / ٧ .

(٣) نهج البلاغة ، ما جمعه الشريف الرضي ، شرح محمد عبده : ١٦٣ ، الخطبة : ٩٦ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي حديد : ٦٣ / ٧ .

بالعصمة ، وقد تطرقت الباحثة الى الطهارة المعنوية في المبحث السابق بالأدلة والشواهد .

فإن الأحاديث الواردة في طهارة مولد جميع آباء وأمّهات النبي ﷺ كثيرة لا يسع المقام لذكرها ، وقد ذكر الباجوري (ت ١٢٧٦هـ) في حاشيته على جوهرة التوحيد أنها بالغة مبلغ التواتر يعني المعنوي (١) ، وجميعها تنص على طهارتهم فلم يدخلهم كفر ولا عيب ولا رجس ، لم يمس نسبه الشريف شيء من سفاح وأدران الجاهلية ، فإن الكفر والزنا من أبرز مصاديق الدنس الجاهلي، وقد نفاه ﷺ عن نفسه الطاهرة بشكل مطلق، فهو لم يتدنس بدنس مادي أو معنوي وهو يتقلب من صلب إلى رحم، بل إنَّ كلّ الأصلاب والأرحام التي إنتقل إليها واستقرّ فيها كانت طاهرة مطهّرة متسلسلة بالطهارة (٢)، قد انتخبها الله سبحانه لتلك النطف النورانية ، تنزيهاً لها عن وصمة العار، وإرهاصاً وكرامةً لذاك الوعاء الذي يستقر فيه مَنْ لأجله خُلِقَ هذا الكون صلوات الله عليه وعلى آباءه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (٣)

إنَّ كل ما ثبت لرسول الله ﷺ هو بعينه لابن عمه الإمام علي عليه السلام (٤) والأئمة من ذريته عليه السلام (٥) فكلاهما من نفس الذرية التي اصطفاها الله وطهرها

(١) نظم المتنائر في الحديث المتواتر كتاب المناقب ، محمد الكتاني : ١٩٠ .

(٢) في قوله ﷺ: "لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات حتّى أخرجني في عالمكم هذا" . مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ٤ / ٤٩٧ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي : ١١٧/١٥ ح ٥ .

(٣) سورة آل عمران: ٣٣ .

(٤) " ابن عباس عن علي عليه السلام قوله: " .. والله إني لأخوه ووليه ووارثه وابن عمه فمن أحق به مني؟" . حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه ، محمد محمدیان : ١ / ١٢٣ نقلاً عن خصائص

أمير المؤمنين عليه السلام، النسائي : ٨٦ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٩ / ٤٦٢ ح ٥٠ .

(٥) "قتلا الحسين عليه السلام هذه الآية وقال: والله إنَّ محمّداً لمن آل إبراهيم وإن العترة الهادية لمن آل محمّد.." الأمالي ، الصدوق : ٢٢١ . وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي :

٦٧ / ٣ .

، لأنهم نفسٌ واحدة^(١) ، ونورٌ واحدٌ وطينة^(٢) رسول الله ﷺ ولحمه ودمه^(٣) ، قد تناقلوا الأصباب الطاهرة والأرحام المطهرة الزكية^(٤) حتى انتهوا الى جدهم عبد المطلب ﷺ ، فحمل أبو طالب ﷺ نصف النور الذي كان في صلب عبد المطلب ﷺ وهو نور الإمامة ، والنصف الآخر كان عند أخيه عبد الله ﷺ وهو نور النبوة وبالإسناد عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد، نسبح الله تعالى عند العرش، قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عز وجل من أصباب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى إلى عبد المطلب، فقسمنا نصفين، فجعلني في صلب عبد الله وجعل علياً في صلب أبي طالب" (٥)

ورد في زيارة الإمام الحسين بن علي ﷺ عن صفوان بن مهران الجمال عن مولانا الصادق ﷺ : "أشهد أنك كنت نوراً في الأصباب الشامخة ، والأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها" (٦) وهذه الزيارة مؤيدة بما ورد عن جده

(١) ينظر: تفسير القرآن ، ابن المنذر: ١ / ٢٢٩ . وتفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم : ٨٦/٦٢ . في تفسير آية المباهلة في سورة آل عمران : ٦١ .

(٢) لما ورد عن أبي عبد الله ﷺ : " .. فقال: نحن من شجرة طيبة برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله وعلمنا من عند الله " بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٥ / ٣٦ .

(٣) روت أم سليم أنّ رسول الله ﷺ قال لها : "إنّ علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي، و هو منّي بمنزلة هارون من موسى" . كنز العمال، المتقي الهندي: ١١ / ٦٠٧ .

(٤) عن جابر بن عبد الله الانصاري عن رسول الله ﷺ : " .. فما نقلت من صلب إلا وعلي معي ، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة ، واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد " إيمان أبي طالب ، الشيخ الاميني : ٢٥ . ينظر : بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٥ / ١٠٠ .

(٥) معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق : ٤ / ٥٦ ح ٦ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ١٩١ تفسير سورة الشعراء، ح ٣ .

(٦) تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي : ٦ / ١١٤ . والمزار ، محمد بن المشهدي : ٤٢٢ . وإقبال الاعمال ، السيد ابن طاووس : ٣ / ١٠٣ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩٨ / ٣٣٢ .

رسول الله ﷺ فيما تقدم .

وقد صرح علماء الإسلام من الفريقين بهذا الأمر بوجوب ذلك ، منهم الشيخ عبدالله البسنوي (ت ١٠٥٤ هـ) : "وخلق جسمه الطيب الطاهر من أظهر الأعراف البشرية، وأطيب الأنساب الاصطفائية الإنسانية، وأنفس جواهر النطف الناشئة بين الأمهات والآباء من خيار القرون، وكرام القبائل والأحياء" (١)

وأما في ما قيل من تكفير عبد الله ﷺ وأبي طالب ﷺ (٢)، الذي استند إلى أحاديث أشارت إلى أن النبي ﷺ قال بأن أمه وأباه في النار (٣) والعياذ بالله ، وأن أبا طالب في ضحاح من نار (٤)، هو مما تم رفضه سنداً وممتناً (٥) ، وماهي إلا افتراءات نسبت إليهم فالمختار هو الله تعالى ، ولا يليق بشرف جلاله أن يختار لحمل نوره كافراً .

وما يدل على طهارة أصلاب وأرحام الانبياء والأئمة من الكفر والشرك :

الآية الأولى: قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦)

جاء في التفسير عن أمير المؤمنين ﷺ قوله : " كان رسول الله ﷺ عقب إبراهيم ، ونحن أهل بيت عقب إبراهيم وعقب محمد ﷺ " (٧)

وقوله ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ : ذَرِيَّتُهُ، فيكون فيهم أبداً من يوحد الله و يدعو إلى توحيده" (٨) ، وقوله: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ : "أي جعل الله كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾

(١) مطالع النور السني المبني على طهارة نسب النبي العربي : ١٠ .

(٢) لم نتطرق إلى إيمان أجداد النبي ﷺ خشية الإطالة والخروج عن صلب الموضوع ، من أراد الاطلاع ينظر : عبد المطلب بن هاشم ، دراسة في رئاسته على قريش ، والمنافرة وعقيدته ، د. علي صالح رسن المحمداوي .

(٣) والرواية هي : " قال رجل للنبي ﷺ يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار فلما قفا دعاه فقال: ان ابي واباك بالنار" مسند ابن حنبل : ٣ / ٢٦٨ . وصحيح مسلم بن الحجاج : ١ / ١٣٢-١٣٣ . وسنن ابي داود ، سليمان بن الأشعث : ٢ / ٤١٧ . مع اختلاف الرواة والمتن من حيث اللفظ .

(٤) ينظر: صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل : ٦٢٠٨ كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب . وصحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج : ٢٠٩ .

(٥) ينظر : الإفتراءات على النبي محمد ﷺ ، رياض رحيم الصفراني : ١٠٠-١٠٩ .

(٦) سورة الزخرف : ٢٨ .

(٧) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ١٢ / ٥٠ .

في ذرية فيكون فيهم أبداً من يوحد الله و يدعوا إلى ملته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي من أشرك منهم حين ظهور حجته" (١)

الآية الثانية: قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢)

جاء في تفسير محمد العياشي (ت ٣٢٠ هـ) : "عن الزهري قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن شيء فلم يجبه، فقال له الرجل: فإن كنت ابن أبيك فإنك من أبناء عبدة الأصنام ، فقال له: كذبت إن الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكة ففعل، فقال إبراهيم: رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ، فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قط، ولكن العرب عبدة الأصنام، وقالت بنو إسماعيل: هؤلاء شفعأونا عند الله فكفرت ولم تعبد الأصنام" (٣)

وعن ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) : "وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ فانتهدت الدعوة إلي والى علي، وفي خبر: "أنا دعوة إبراهيم" ، وإنما عني بذلك الطاهرين لقوله: نقلت من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات لم يمسنني سفاح الجاهلية وأهل الجاهلية كانوا يسافحون وأنسابهم غير صحيحة وأمورهم مشهورة عند أهل المعرفة" (٤)

وقال عبد الرحمن الثعالبي (ت ٨٧٤ هـ) في تفسيره للآية : "وَأَجْنُبْنِي : أي بعدني و اجعلني منها على جانب بعيد انتهى. وهذه الألفاظ كلها متقاربة المعاني، وأراد إبراهيم عليه السلام بني صلبه، و أما باقي نسله، فمنهم من عبد الأصنام" (٥)

فكان أجداده عليه السلام حجاب بيت الله الحرام و سدنته و مرجعاً لعامة الخلق في الشدائد، وهم المحافظون على ملة إبراهيم عليه السلام وشرعيته إلى أن وصل الأمر إلى

(٨) تفسير المعين، محمد الكاشاني : ٣ / ١٣١٧.

(١) انوار القرآن وأسرار الفرقان ، ملا علي القاري : ٤ / ٤٤٩ .

(٢) سورة إبراهيم : ٣٥ .

(٣) تفسير العياشي : ٢ / ٢٣٠ . نقلا عن البرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني : ٣ / ٣١١ .

. وتفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ٣ / ٨٩ .

(٤) مناقب آل أبي طالب عليه السلام : ٢ / ٢٤ .

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٣ / ٣٨٥ .

عبد المطلب عليه السلام فجعل أبا طالب عليه السلام وصيه وسلّم الودائع وآثار الأنبياء إليه وهو سلّمها إلى النبي صلى الله عليه وآله (١) ، فقد روي : " أن عبد المطلب كان حجة ، وأبو طالب كان وصيه " (٢)

وقال العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ) تعقيباً على هذا الحديث : " إتفقت الإمامية رضوان الله عليهم على أن والدي الرسول ، وكل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين بل كانوا من الصديقين : إما أنبياء مرسلين ، أو أوصياء معصومين ، ولعلّ بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية " (٣)

وأعقب العلامة محمد العاملي بقوله : " ما قاله المجلسي هو الصواب ؛ لأن مصطلح الحجة في الأخبار لا يُطلق إلا على المعصوم عليه السلام ، فبقريئة أن سيدنا أبي طالب كان وصيه ، يفهم منه أن سيدنا عبد المطلب كان نبياً ، وقد فصلنا ذلك في كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) فليراجع " (٤)

روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : " يا رسول الله الناس يقولون ان أبا طالب مات كافراً ، قال صلى الله عليه وآله : يا جابر الله أعلم بالغيب انه لما كانت ليلة اسري بي إلى السماء انتهيت الى العرش فرأيت أربعة أنوار ، فقلت : إلهي ما هذه الأنوار ؟ فقال : يا محمد هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب ، وهذا عبد الله ، وهذا أخوك طالب فقلت : إلهي وسيدي ، فيما نالوا هذه الدرجة ؟ قال : بكتمانهم الإيمان وإظهارهم الكفر وصبرهم على ذلك حتى ماتوا عليه " (٥)

(١) ينظر : نبوة أبي طالب عليه السلام ، مزمل الميثمي : ٨٨ و ٩٢ .

(٢) الإعتقادات في دين الامامة ، الشيخ الصدوق : ١١٠ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١١٧ / ١٥ .

(٣) بحار الأنوار : ١١٧ / ١٥ .

(٤) الفوائد البهية : ٦٢٦ / ١ .

(٥) روضة الواعظين ، الفتال النيسابوري : ٨١ . ظلامة أبي طالب عليه السلام ، جعفر مرتضى

العاملي : ٤٥ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٥ / ٣٥ .

قال الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) : "اعتقادنا في آباء النبي أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله ، وأنّ أبا طالب كان مسلماً ، وأمه أمنة بنت وهب كانت مسلمة" (١)

ويقول الحاج إبراهيم المنيني (٢) (ت ١٤٣٧ هـ) في كتابه : "وكان عبد المطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحدانية الله تعالى و لم تكن شريعة مشروعة في زمانه فلهذا كانت عبادته التفكير في آلاء الله ومصنوعاته، وكان يختلي كثيراً بغار حراء ليجتمع فكره وقلبه في الاستغراق في التفكير في صفات الله وأفعاله الدالة عليه، وورد عنه سنن أقرها الإسلام، منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم وان لا يطوف بالبيت عريان وقطع يد السارق والنهي عن قتل المؤودة وتحريم الخمر والزنا، وهو أول من جعل الدية مائة من الابل، وكانت تفوح منه رائحة المسك الأزفر وكان نور النبوة يضيء في غرته" (٣)

وقال محمد أبو شهبه (٤) (ت ١٤٠٣ هـ) : "وإذا كان الله سبحانه وتعالى جرت سنته ألا يبعث نبياً إلا في وسط من قومه شرفاً، ونسباً، فقد كان في الذروة من هذه نبينا محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم، فما من آبائه إلا كان غنياً بالفضائل والمكارم، وما من أم من أمهاته إلا وهي أفضل نساء قومها نسباً وموضعاً، ولم تزل هذه الفضائل، والكمالات البشرية تنحدر من الأصول الى الفروع حتى تجمعت كلها في سلالة ولد آدم ومصاصة (٥) بني إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، سيدنا محمد ﷺ " (٦)

(١) الإعتقادات في دين الإمامية : ١١٠ .

(٢) ابو علي ابراهيم بن مصطفى المنيني ، أديب وباحث ومؤلف ولد في بعلبك ودفن في النجف الأشرف ، من مؤلفاته المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) والمعمرون من البشر .

(٣) أبو طالب عليه السلام حامل نور الإمامة : ١٦٥ .

(٤) الدكتور أبو السادات محمد بن محمد أبو شهبه ، هو عالم فقيه اسلامي ومفسر مصري ، عمل أستاذاً للتفسير والحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، وبكلية الشريعة بمكة، وبكلية الشريعة في جامعة بغداد، وفي جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

(٥) يقال : فلان مصاصة قومه أي أخلصهم نسباً ، ينظر : لسان العرب ، ابن منظور: ١٣ / ١٢٣ .

(٦) ينظر : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : ١ / ١٥٨ .

يقول الدكتور رياض الصفرائي (١): "ونعتقد بأن سبب إيراد تلك الروايات لم يكن من باب البحث عن الحقائق وإنما بدأ سياسياً وانتهى بخلاف عقائدي، إذ كان الأمويون يبحثون عن خلق الموازنة لهم مع العلويين لأن أجدادهم كانوا من طلقاء الإسلام وتأخر إسلامهم، فكان لزاماً عليهم البحث عن وسائل ترفع من مكانتهم في هذا الجانب ولم يكن ذلك إلا عن طريق الطعن في إيمان أبوي النبي ﷺ وأجداده، وليس ذلك بغريب إذ افترضوا أن معاوية كان أحد كتاب الوحي.. مع أنه تأخر إسلامه أصلاً، فمن البديهي أن معاوية وآبائه أسلموا عام ثمانية للهجرة في فتح مكة وهم من الطلقاء فهل يعقل أن الوحي انتظر تلك المدة حتى أسلم معاوية فكتب له؟! " (٢)

المطلب الثاني : الطهارة الجسدية

بما أن النبوة والإمامة هم وساطة في الفيض و مظهرية للقدرة الإلهية ، فإن حقيقتهم تمتاز على سائر الخلق بالاصطفاء الروحي والبدني، ولأبدانهم الأولية في الخلق ، والأكمالية على سائر الأبدان في الصفات والخصائص ، فأبدانهم خلقت قبل الأبدان كما ذكرنا، فأصبحت مجمع الفضائل والكمالات البدنية باعتبار شرفية التراب الذي تكونت منه، والذي استخلص وخزن تحت العرش، وعجن بنور جلال الله، وغمس بجميع الأنوار، وأنهار الجنة ، فأرواحهم من نور وأبدانهم من أشرف تراب الجنة ، فهم ملكوتيو النشأة والتكوين، ولكنهم يشتركون مع سائر الخلق في الصورة الإنسانية ، ومن هنا ترى أن لأبدانهم الشريفة آثاراً وكرامات عظيمة ليست لغيرها كطهارتهم الجسدية (٣).

(١) أ.م.د. رياض رحيم حسين الصفرائي أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية التربية الأساسية ، جامعة المثنى.

(٢) الافتراءات على النبي محمد ﷺ : ١١٧ .

(٣) ينظر : الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية ، فاضل الصفار : ١٣٨-١٣٩ .

وقد جاءت الطهارة الجسدية في معانٍ مختلفة في القرآن الكريم ، منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١)

أولاً : في معنى الرجس

الرجس - في اللغة - هو الشئ القذر (٢)، وكلمة (الرجس) في القرآن الكريم قد استخدمت في كلا معنييه المادي والمعنوي (٣):

١ - الرجس المادي هو الذي قد يتعلّق بالجسد ونحوه من الأشياء الماديّة ويدرك بالحاسة ، كما عبّر الله تعالى عن الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير بأنّه رجسٌ كقوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤)

٢ - وقد يتعلّق بالجانب المعنوي من الشخصية والذي يدرك بالبصيرة ، كما عبّر عن الشّرك والكفر وأثر العمل السيّئ ، كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥)

وبالرجوع إلى كتب التفسير نجدهم بأنهم قد فسّروا الرجس في القرآن الكريم بمعانٍ عدة متقاربة تفضي إلى المعنى اللغوي : وهو كل شيء يستقذر .
فقل إن الرجس هو:

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور : ٦ / ١٠٧ .

(٣) ينظر : المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته ، محمد واعظ خراساني : ٢٣ / ٢٥٩ .

(٤) سورة الانعام : ١٤٥ .

(٥) سورة الأنعام : ١٢٥ .

"القذر الذي يلوث البدن" (١) ، "اسم لكل شيء مستقذر منفور منه" (٢) ، "ما استقذر من العمل" (٣) ، "الفعل القبيح" (٤) ، " النجاسات والنقائص " (٥) ، "يعني نجساً حراماً" (٦) ، "أي قبيح مستقذر" (٧) " خبيث مستقذر" (٨) ، " النتن " (٩) ، "العذرة، والأقذار، ويقال للأميرين) يقصد العذاب والعذرة (" (١٠) "ونقيض الطَّيِّب النتن الرائحة الكريهة، و الرّجس و النّجس بمعنى واحد، قاله بعض أهل الكوفة، وقال مجاهد : الرّجس كل ما لا خير فيه " (١١)

وقال محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في آية التطهير : "والرجس في الأصل الشيء القذر وأريد به هنا عند كثير الذنب مجازاً، وقال السدي: الإثم. وقال الزجاج: الفسق وقال ابن زيد: الشيطان، وقال الحسن: الشرك، وقيل: الشك، وقيل: البخل والطمع، وقيل: الأهواء والبدع، وقيل: إن الرجس يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص، والمراد به هنا ما يعم كل ذلك" (١٢)

وقال السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) : "والرّجس - بالكسر فالسكون - صفة من الرجاسة وهي القذارة ، والقذارة هيئة في الشيء توجب التجنب والتنفّر منها، وتكون بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير.. وبحسب باطنه وهو الرجاسة والقذارة المعنوية كالشرك والكفر وأثر العمل السيئ" (١٣)

(١) التحرير والتنوير ،محمد بن عاشور: ٢١ / ٢٤٦ .

(٢) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٤ / ١٨٣ .

(٣) محاسن التأويل ، جمال الدين القاسمي: ٦ / ٢٤٩٧ .

(٤) النهاية في غريب الحديث ، ابن الاثير : ٢ / ٢٠٠ .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، ابن عطية الاندلسي : ٤ / ٣٨٤ .

(٦) النكت والعيون ، ابو الحسن الماورديّ : ٢ / ١٨٢ .

(٧) التفسير الوسيط ، علي الواحدي : ٢ / ٢٢٦ .

(٨) تفسير النَّسْفِيّ ،ابي البركات النسفي : ١ / ٣٠٠ .ومعالم التنزيل ، الحسين البغوي : ٢ / ٦٢ .

(٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أبو العباس الفيومي : ١ / ٢١٩ .

(١٠) المحرر الوجيز ، ابن عطية الأندلسي: ٢/٢٣٣ . والجامع لأحكام القرآن ،القرطبي:

٢٨٨/٦ .

(١١) تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي : ٤ / ٢٢٠ .

(١٢) تفسير روح المعاني : ١١ / ١٩٣ .

(١٣) تفسير الميزان : ١٦ / ٣١٢ .

"ومعنى الطهارة في آية التطهير عام مطلق غير مقيد ومخصص بالطهارة المادية دون المعنوية أو بالطهارة المعنوية دون المادية . بل كلا التفسيرين وارد وغير مستحيل ، ولا قرينة على التخصيص والتقييد، فقله سبحانه ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً﴾ أي أنه عز وجل طهركم بالطهارتين المادية والمعنوية" (١)

لذلك قد تعددت المعاني التفسيرية للرجس، فإن هذا الإطلاق يشير إلى نفي مراتب الرجس عنهم ، فالرجس المراد منه عائد على جميع ما ذكر، فإن الله طهرهم تطهيراً من كل ما قد يصدق عليه أنه رجس ، لعدم وجود دليل أو قرينة صارفه للمعنى المادي أو المعنوي من معاني الطهارة ، إذ الآية الكريمة قد صرفت الرجس بكل معانيه التي تقدمت عن من وصفهم القرآن بأنهم أهل البيت ، فمن هم أهل البيت الذين قد طهرهم الله بهذه الطهارة المطلقة ؟

ثانياً : في معنى أهل البيت

إن عبارة (أهل البيت) قد وردت في السنة الشريفة كحديث الثقلين المتواتر المقطوع على صحة صدوره وإن اختلفت ألفاظه (٢)، فإن الاختلاف الذي جاء فيه لا يغير مفاده ومعناه ، منه ما أخرج جلال الدين السيوطي عن زيد بن ثابت أنه عليه السلام قال: "إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض" (٣) ففي هذا الحديث أرشدنا عليه السلام إلى خليفتيه الباقيتين مدى التكليف ، هداًنا إلى القرآن كتاب ربه وعترته أهل بيته وأمرنا بالتمسك بهما معاً مصطحبين، والأخذ بهما متفقين ، فوجب أهل يكونوا معصومين كقرينهم القرآن مأمونين من الخطأ والعصيان ، فمن هم أهل بيته المعصومين الذين أمرنا الله تعالى بالتمسك بهم والذين طهرهم الله تعالى وأبعد عنهم الرجس في آية التطهير ؟

(١) أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد ، مقاتل بن عطية ، تح: محمد جميل العاملي : ١ / ٦٢٩ .

(٢) ينظر : خلفاء الرسول عليه السلام الاثنا عشر : محمد البحراني : ٢١٣-٢١٦ .

(٣) الجامع الصغير ، جلال الدين السيوطي: ١ / ٤٠٢ ح ٢٦٣١ .

فإن الناس عمداً أو خطأ اختلفوا في ذلك فبين ذاهب إلى أن (أهل البيت) نساؤه والهاشميون عامة، وبين من يزعم أنهم بنو هاشم خاصة، دون نسائه ، وهناك من يرى أنهم رهط خاص من بني هاشم، وهم الذين جللهم النبي ﷺ بكسائه، وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وهم : علي وفاطمة، وبنوهما عليهم السلام (١)

قال ابن الأثير في لغة (عتر) : " خلفت فيكم كتاب الله وعترتي . عترة الرجل أخص أقاربه وعترة النبي بنو هاشم عبد المطلب ، وقيل : أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده .. إلى أن قال والمشهور المعروف أن عترته الذين حرمت عليهم الزكاة " (٢)

وقد وردت كثير من الأخبار من الفريقين من المحدثين والمفسرين مما لا يسع المقام لذكرها ، إن المطهرين في الآية الكريمة هم بالخصوص رسول الله ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام ، منه :

١ - ما ورد عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: "لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ﷺ وإياه في كساء لام سلمة خيبري ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي" (٣)

٢ - "وعن أحمد بن حنبل بإسناده إلى أنس بن مالك قال : إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" (٤)

٣ - "وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جَلَّ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ، ثم قال : اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي

(١) خلفاء الرسول الاثنا عشر، محمد البحراني : ٢٣٦ . وينظر : المحرر الوجيز في تفسير

كتاب الله العزيز ، ابن عطية الأندلسي : ٤ / ٣٨٤ .

(٢) النهاية ، ابن الأثير : ٧٢/٣ .

(٣) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ١٠ / ٣٨٣ .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٣ / ٤١٣ .

وخاصّتي أذهب عنهم الرّجس وطهّرهـم تطهيرا ، فقالت أمّ سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : إنّك إلى خير " (١)

٤ - " وقد نقل الصدوق عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : إنّ رسول الله ﷺ قال : يا علي هذه الآية نزلت فيك وفي سبطي والأئمة من ولدك، قلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم ابنك الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى علي ابنه وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه وبعد الحسن ابنه الحجة، من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله عز وجل عن ذلك فقال: يا محمد هم الأئمة بعدك، مطهرون معصومون وأعداؤهم ملعونون " (٢)

٥ - "وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدنا رسول الله ﷺ صلى الله عليه و سلم تسعة أشهر يأتي كل يوم باب عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كلّ صلاة، فيقول: السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته أهل البيت إنّما يُريدُ الله ليذهب عنكم الرّجسَ أهلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً الصّلاة رحمكم الله، كلّ يوم خمس مرّات " (٣)

٦ - ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان : "أيّها النّاس أتعلّمون أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجمعني وفاطمة وابنيّ حسناً وحسيناً (عليه السلام)، وألقى علينا كساءه، وقال: اللّهم إنّ هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم ويخرجني ما يخرجهم فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهـم تطهيرا ، فقالت أمّ سلمة: وأنا يا رسول الله ، فقال: أنت - أو إنّك - على خير، إنّما أنزلت فيّ وفي أخي وفي ابنتي وفي ابني وفي تسعة من ولد ابني

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى: ٣٨٧١ . وقال : هذا حديث حسن . ورواه أيضا مسند ابن

حنبل: أحمد بن حنبل: ٦ / ٢٩٢ و ٣٠٤ . وينظر: الدر المنثور، جلال الدين السوطي : ١٩٨/٥ . والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣٣٩/٨ . والميزان، السيد الطباطبائي: ٣١٦/١٦ .

(٢) غاية المرام ، هاشم البحراني : ٣ / ١٩٥ .

(٣) الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ٥ / ١٩٩ .

الحسين عليه السلام، خاصة ليس معنا أحد غيرنا. فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة رضي الله عنها حدّثتنا بذلك، فسألنا رسول الله فحدّثنا كما حدّثتنا أم سلمة رضي الله عنها" (١)

وذكر القمي (ت ٣٢٩ هـ) في تفسيره: "عن زيد بن علي عليه السلام: إن جهّالاً من الناس يزعمون أنه إنما أراد الله بهذه الآية أزواج النبي عليه السلام وقد كذبوا وأثموا، وأيمن الله ولو عنى أزواج النبي عليه السلام لقال ليذهب عنك الرجس ويطهرك تطهيراً، وكان الكلام مؤثماً، كما قال: ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى﴾ (٢) ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ (٣) ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (٤)" (٥)

إذن وبالإسناد عن ما ورد من مصادر الفريقين إن المراد من (أَهْلَ الْبَيْتِ) هو رسول الله عليه السلام وأهل بيته الطيبين عليهم السلام فالأحاديث في جعلها فيهم دون غيرهم كثيرة ومتواترة ، فقوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾ يختص بإثبات كل طهارة، فالسلب مطلق كما الإيجاب، والإيجاب مطلق كما السلب (٦) ، وهذا الإطلاق والعموم دل على طهارة كل ما يتعلق بالنبي محمد عليه السلام وعترته الطاهرة عليهم السلام في كل المعاني التي تقدمت وليس في المقام أي مخصص أو مقيد لهذا الإطلاق ، فإن آية التطهير تدل على الطهارة المطلقة بقسميها المادي والمعنوي من موقعين:

قوله تعالى : ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ ، وقوله تعالى ﴿وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾ (٧) أن كلمة «إنما» في الآية تدل على حصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وكلمة «أهل البيت» سواءً كان لمجرد الاختصاص، أو مدحاً، أو نداء يدل على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين بقوله: «عنكم»، ففي الآية في

(١) تفسير القمي : ١٩٣/٢ .

(٢) سورة الأحزاب: ٣٤ .

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣ .

(٤) سورة الأحزاب: ٣٢ .

(٥) تفسير القمي : ١٩٣/٢ .

(٦) التفسير الموضوعي الفرقان ، محمد صادقي طهراني: ٢٤٣ .

(٧) سورة الأحزاب : ٣٣ .

الحقيقة قصران : قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وقصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت (١)

فكما حكم على طهارتهم من كل رجس معنوي - كما ثبت في المبحث السابق - يكون كذلك في الرجس المادي ، فإن تقييد الرجس بالمعنوي دون المادي يعتبر خروجاً عن التقسيم القرآني للرجس الشامل للمادي أيضاً، بل يعتبر تقييداً أو تخصيصاً من دون دليل معتبر ، وعليه يكون بمثابة الإجهاد في مقابل النص وهو محرّم قطعاً .

يقول محمد المغراوي (٢) في تفسيره لآية التطهير : "وإذهاب ذلك إذهاب لكّله، و نحن نعلم أن الله أذهب عن أولئك السادة الشرك و الخبائث، ولفظ: الرّجس عام يقتضي أن الله يريد أن يذهب جميع الرجس، فإن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلّم دعا بذلك" (٣)

وكذلك الأحاديث الشريفة من الفريقين التي أظهرت أن للنبي ﷺ والمعصوم طهارة تميزه عن غيره من المخلوقين ، فقد بيّنا في موضع سابق أنهم خلّقوا من نور الله عز وجل ، ومن يخلق من نور الله لا يمكن أن تقرّبه النجاسة بشكل من الأشكال.

ثالثاً : طهارة مدفوعات النبي والإمام

كما علمنا مما سبق ان الرّجس ذو مراتب متعددة متفاوتة مادية ظاهرية ومعنوية باطنية، ولا يخفى أن نجاسة الدم والبول والغائط والمنّي كلها داخلية ومندرجة في (الرجس المادي) ، وقد نفيت عنهم (صلوات الله عليهم) النجاسة المادية (٤)، " فكما أن المسلمين تطهر ظواهرهم ورطوبتهم بالإسلام ويغفر لهم

(١) ينظر : تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي: ٣٠٩/١٦ .

(٢) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، عالم مغربي من أهل السنة والجماعة السلفية .

(٣) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن : ٢٧ / ١٧٩ .

(٤) ومن الزيارة الجامعة التي رواها ابن طاووس : "إن الله طهركم من الفواحش ما ظهر منها

وما بطن ، ومن كل ريبة ورجاسة ودنية ونجاسة" بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩٩ /

١٦٤ . نقلاً عن مصباح الزائر، ابن طاووس : ١ / ٤٦٢ .

كفرهم بالتوبة عنه وكذا معاصيهم ، فكذا المعصوم يطهر ظاهره وباطنه وسائر رطوبته ، من غير فرق بين البول والغائط والمني وغيرها ، وكذا اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وعصمهم من السوء والخطأ والنسيان ، فليس في بول المعصومين ودمائهم وأبوالهم وغائطهم استخبثات وقذارة يوجب الاجتناب في الصلاة ونحوها ، كما هو معنى النجاسة ، ولا نتن في بولهم وغائطهم بل هما كالمسك الأذفر^(١) " (٢) ، وهذا ما تميل إليه الباحثة لورود الأدلة التي تثبت ذلك، منها:

١ - عموم إذهاب الرجس عنهم في قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣) حيث لا تقييد له ولا تخصيص ، ولا يخفى أن نجاسة هذه الأمور هي مخالفة للطهارة المادية المرادة بالإرادة التكوينية من قبل الله عز وجلّ بدليل آية التطهير المباركة .

٢ - ورود الأحاديث الشريفة ومن كلا الفريقين تؤكد هذا الإطلاق ، ومنها ما يؤكد على اختلاف خواص بولهم ونجواهم عن الخواص التي توجد في غيرهم من الناس منها :

أ - الرائحة الزكية :

فقد ورد في كثير من الأخبار كون بولهم ونجواهم فيها رائحة المسك الأذفر ، منها ما ورد عن عائشة قالت : " قلت يا رسول الله إنك تدخل الخلاء فإذا خرجت دخلت على أترك ، فما أرى شيئاً إلا أني أجد رائحة المسك ، فقال : إنّنا معاشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح الجنة ، فما يخرج منه شيء إلا ابتلعتة الأرض " (٤)

(١) الأذفر: ما اشتدت رائحته طيبة كانت أو خبيثة . لسان العرب ، ابن منظور : ٣٠٦/٤ .

(٢) أنوار الولاية، ملا زين العابدين الكلبابكاني : ٤٤٠ .

(٣) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٦ / ١٧٧ . سنن النبي ﷺ ، السيد الطباطبائي : ١ /

١٠٦ . "وروي أن رجلاً قال رأيت النبي ﷺ أبعد في المذهب فلما خرج نظرت فلم أر شيئاً

ب - حجبها عن النظر :

كما يستفاد من الخبر السابق الحجب عن الرؤية ، وذلك أن الله تعالى أمر الأرض بابتلاعهما مطلقاً ، فلا يُرى له بول ولا غائط ، لأن ذلك من خواص المعصوم (١) .

ج - المنفعة :

ورد عن ابن شهر آشوب عن أم أيمن عليها السلام (٢) ، قالت : أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا أم أيمن قومي واهرقي ما في الفخارة - يعني البول - قلت : والله شربت ما فيها وكنت عطشى ، قالت : فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بدت نواجذه (٣) ، ثم قال : أما أنك لا يجع بطنك ، وفي خبر آخر بعد هذا : فلا تعودى (٤) " (٥) .

إن إختلاف طبيعة هذه المادة ، يمكن أن يختلف في الحكم بنجاستها لإختلافها في الخواص المعروفة ، فإن باقي مدفوعات الناس تكون مضرّة ومنتنة ومنفرة للنفوس ، وقول النبي صلى الله عليه وآله بأن هناك منفعة حصلت لأم أيمن إضافة الى ظهور رائحة المسك فلا يمكن أن يكون إلا طاهراً ، ولا غرابة مطلقاً في القول بهذا الإختلاف فهي كالقول أن رائحة عرق النبي صلى الله عليه وآله كريخ المسك والعنبر ، حتّى كان يجمع الناس عرقه في قناني ويعطر به العرسان وغيرهم ، وهذا بخلاف سائر البشر

ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار اللاتي استنجى بهن فأخذتهن فإذا بهن يفوح منهن روائح المسك فكنت إذا جئت يوم الجمعة المسجد أخذتهن في كمي فتغلب رائحتهن روائح من تطيب وتعطر" شرح الشفاء، الملا علي القاري : ١ / ١٧٠ .

(١) ينظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق : ٤ / ٤١٨ ح ٥٩١٤ . وتفسير الإمام العسكري عليه السلام ، الإمام الحسن العسكري عليه السلام : ٦٨٢ . وحق اليقين ، عبد الله شبر : ١ / ١٦٢ .
(٢) وهي كانت جارية ورثها النبي صلى الله عليه وآله من أبيه ، فأعتقها وجعلها حاضنة أولاده ، وقد أقسم صلى الله عليه وآله بأنها من أهل الجنة.

(٣) نواجذه: أقصى الأضراس . لسان العرب ، ابن منظور : ٥١٣/٣ .

(٤) "وإنكار النبي صلى الله عليه وآله لأم أيمن بقوله : (ولا تعودى) ونحو ذلك غير معلوم المأخذ، ولو سلم فيمكن أن يحمل على المنع من التكرار ، كما يشعر به الأخبار" اللعة البيضاء ، التبريزي الأنصاري : ٩٤ .

(٥) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ١ / ١٢٥ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي : ١٦ / ١٧٨ ح ١٩ .

العاديين التي تكون رائحة عرقهم تنتنة في العادة (١) ، كما إن الناس قد آمنت وصدقت ما ذكرت الأخبار من إتصاف النبي ﷺ بالميزات التي إفترق بها عن سائر الناس ، كأن تنام عينه ولا ينام قلبه ، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ، وإذا مشى على الأرض السهلة لا يبين لقدميه أثر ، وإذا مشى على الصلبة بان أثرها (٢) مع أن هذه الأمور خلاف الطبيعة البشرية .

٣ - إن العقل له مدخل في تمييز الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن غيرهم ، فلا يقاس بهم أحد من سائر الناس، فكل شيء منهم نور فأجسامهم البشرية المرئية مظاهر الصفات اللاهوتية (٣).

٤ - قول جمع من علماء الفريقين بالطهارة الجسدية للنبي ﷺ وكل ما يتعلق به، فمن الذين قالوا بذلك من المذاهب الإسلامية الأخرى :

- أ - النووي الشافعي (ت ٦٧٦هـ): " أن شعره طاهر على المذهب وإن نجسنا شعر غيره وأن بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على أحد الوجهين كما سبق " (٤)
- ب - الحافظ ابن حجر الشافعي (ت ٧٧٧هـ): "وقد تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته وعد الأئمة ذلك في خصائصه فلا يلتفت إلى ما وقع في كتب كثير من الشافعية مما يخالف ذلك فقد استقر الأمر بين أئمتهم على القول بالطهارة" (٥)
- ت - محمد الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) : "هذه الفضلات من النبي ﷺ طاهرة كما جزم به البغوي وغيره، وصححه القاضي وغيره وهو المعتمد خلافاً لما في

(١) "وقال علي بن أبي طالب: كان عرق رسول الله ﷺ في وجهه اللؤلؤ ، ولريح عرق رسول الله ﷺ أطيب من ريح المسك الأنذر" رواه ابن سعد وابن عساكر. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحى : ٨٧ ب ١٩ .

(٢) ينظر : مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : ١ / ١٠٩ باختصار وتصرف .

(٣) عن جابر الجعفي، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: " إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله وهو نور لاهوتية .. وظاهرهما بشرية، وباطنهما لاهوتية، ظهورا للخلق على هياكل الناسوتية، حتى يطبقوا رؤيتهما" غاية

المرام، السيد البحراني: ٣٧ / ١

(٤) روضة الطالبين : ٣٦٠ / ٥ .

(٥) فتح الباري : ٢٣٧ / ١ .

الشرح الصغير، والتحقيق أنها ليست من النجاسة لأن بركة الحبشية شربت بوله ﷺ فقال: لن تلج النار بطنك صححه الدارقطني" (١)

ث - منصور البهوتي الحنبلي(ت ١٠٥١هـ) عند ذكره تغسيل النبي ﷺ بعد موته: "ولأن فضلاته كلها طاهرة، فلم يخش تنجيس قميصه" (٢)

ج - ابن عابدين الحنفي (ت ١٢٥٢هـ): " مطلب في طهارة بوله ﷺ (تنبيه): صح بعض أئمة الشافعية طهارة بوله ﷺ وسائر فضلاته، وبه قال أبو حنيفة كما نقله في المواهب اللدنية على شرح البخاري للعيني، وصرح به البيري في شرح الأشباه" (٣)

رابعاً : طهارة دم النبي والإمام

تذكر لنا الروايات أن جمعاً من الصحابة كان قد شرب الدم بعد احتجام الرسول ﷺ ، إذ حكموا بطهارة دمه ﷺ تخصيصاً له عن نجاسة دم الإنسان وحرمة شربه .

الرواية الأولى: " وقال أبو ظبية : حجت رسول الله ﷺ وأعطاني ديناراً وشربت دمه ، فقال رسول الله ﷺ : أشربت ؟ قلت : نعم ، قال : وما حملك على ذلك ؟ قلت : أتبرك به ، قال : أخذت أماناً من الأوجاع والأسقام والفقر والفاقة ، والله ما تمسك النار أبداً" (٤)

يستخلص من هذه الرواية أمور:

١ - ان عدم التصريح بحرمة هذا الفعل وذكر منافع شربه يعني الرضا بفعله وهذا تقريره ﷺ ، وتقديره وفعله وقوله حجة كما هو معلوم ، وهذه قرينة تصرف الذهن إلى طهارة ما قد تناوله .

(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع : ٨٠ / ١ .

(٢) كشف القناع : ١٠٧ / ٢ .

(٣) حاشية رد المحتار : ٣٤٤ / ١ .

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ١٧ / ٣٣ ، نقلاً عن طب الأئمة ، ابن سabor الزيات: ٦٩ . وقد ورد في المتن أبو ظبية وهو خطأ ، والأصح «أبو ظبية» بالطاء بحسب ما ورد في الكنى والألقاب ، عباس القمي: ١١٤ / ١ .

٢ - ثم إن وصف دم النبي ﷺ بمنافع لا يتصف بها دم الإنسان العادي ، لا يمكن أن يكون من سنخ دم الإنسان الذي يحكم بنجاسته (١).

الرواية الثانية: "روى الشيخ الصدوق بإسناده عن عمرو بن شمر عن جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : احتجم رسول الله ﷺ ، حجه مولى لبني بياضة وأعطاه الأجر ، ولو كان حراماً ما أعطاه ، فلما فرغ قال له رسول الله ﷺ : أين الدم ؟ قال : شربته يا رسول الله ، فقال : ما كان ينبغي لك أن تفعل وقد جعله الله عز وجل حجاباً لك من النار فلا تعد " (٢)

يستخلص من هذه الرواية أمور:

١ - إن قول النبي ﷺ في ذيل الخبر : " أنه أمان من الأوجاع والأسقام والفقر والفاقة" يدل بالدلالة الإلزامية على أنه طاهر وجائز الشرب للتشافي أو التبرك وقرينة على عدم حرمة شربه لكونه دواء بشهادته ﷺ ، وهذا يعني طهارته بلا شك فلا دواء فيما حرم الله عز وجل تناوله (٣).

٢ - وإن هذه التعابير تصرف النهي عن قول النبي ﷺ : " ما كان ينبغي أن تفعله" عن الحرمة المولوية الى النهي الإرشادي لمصلحة لا نحيط بكنهها علماً ، كدفع فتنة المنافقين المنكرين لطهارة رسول الله ﷺ أو استهزائهم به كما ذكر في خبر آخر (٤)

(١) وقد علل حرمة الدم في الأخبار بكثرة مضاره : انه يمرض البدن ، ويغير اللون ، ويورث البخر ، والصفراء ، والجنون ، وسوء الخلق ، والقسوة ونحو ذلك ، وإذ ليس في دم المعصوم عليه السلام هذه المفسدات ، بل صرح باشتماله على المصالح المقابلة لها.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٤٣ / ٢٢ . تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي : ٣٥٥ / ٦ . الكافي ، الشيخ الكليني : ١١٦ / ٥ . الاستبصار ، الشيخ الطوسي : ٥٩ / ٣ .

(٣) ومنها ما ورد عن معاوية بن عمار قال : سألت رجلاً أبا عبد الله عليه السلام عن دواء عجن بالخمير نكتحل منها ؟ فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام : ما جعل الله عز وجل فيما حرم شفاءً فروع الكافي ، الشيخ الكليني : ٤١٤ / ٦ ح ٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩٠ / ٥٩ .

(٤) وما رواه ابن شهر آشوب قال : " واحتجم النبي ﷺ مرة فدفع الدم الخارج منه إلى أبي سعيد الخدري وقال : غيِّبه ، فذهب فشربه ، فقال : ماذا صنعت به ؟ قال : شربته ، قال : أو لم أقل لك غيِّبه ؟ فقال : قد غيَّبه في وعاء حريز ، فقال : إياك وأن تعود لمثل هذا ، ثم اعلم أن الله قد حرم على النار لحملك ودمك لما اختلط بدمي ولحمي ، فجعل أربعون من المنافقين يهزأون

أو ورود النهي عنه انتظاماً للأمر ولعموم الحكمة في تشريع الأحكام الظاهرية (١) وفي ذلك قال العلامة محمد العاملي : "حرمة شرب الدم من الواضحات في الفقه التشريعي الإسلامي بحيث لا يخفى على أمثال أبي سعيد الخدري وأبي طيبة (٢) الحجاج ، هذا مضافاً إلى وجود قرائن في هذه الأخبار تفيد طهارة دمه وحلية شربه لكن النهي فيها يحمل على التنزيه دفعاً لمحذور الغلو وما شابه ذلك ، وإلا لو كان الشرب حراماً لما كان أماناً من الأوجاع والأسقام والنار كما هو مفاد هذه الأخبار" (٣)

ويقول التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ) معلقاً على الرواية : "وأما النهي فيه عن العود إليه، فهذا تحذير محمول على جعله عادة، فيكون مرة واحدة للاستشفاء جائزاً والزائد حراماً لا للنجاسة، لعدم الملازمة بين الحرمة أو وجوب الغسل أيضاً وبين النجاسة، كما صرح به في الرياض، وفي بحث الاجماع من القوانين، لما مر ولجواز التعبدية ، كما ورد النهي عن أكل التربة الحسينية زائداً على قدر الاستشفاء، وورد ان من أكل أزيد من قدر الحمصة فكأنما أكل لحومنا ودماءنا ، مع أنها طاهرة البتة بلا شبهة" (٤)

أما طهارة الأئمة المعصومين عليهم السلام فهي ملازمة لطهارة النبي صلى الله عليه وآله ، كونهم ذريته ولحمه ودمه ، دلت على ذلك كثير من الأخبار ، اختارت الباحثة ما ورد عن طهارة أبي عبد الله الإمام الحسين بن علي عليه السلام :

برسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون " زعم أنه قد أعتق " الخدري " من النار لاختلاط دمه بدمه، وما هو إلا كذاب مفتر! أما نحن فنستقذر دمه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما إن الله يعذبهم بالدم ويميتهم به، وإن كان لم يمت القبط. فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى لحقهم الرعاف الدائم، وسيلان دماء من أضر أسهم فكان طعامهم وشرابهم يختلط بالدم فيأكلونه، فبقوا كذلك أربعين صباحاً معذبين ثم هلكوا " تفسير الإمام العسكري ، الإمام الحسن العسكري عليه السلام : ٤١٩ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٧٠ / ١٧ .

(١) ينظر: أنوار الولاية ، ملا زين العابدين الكلبايكاني: ٤٤٠ .
(٢) المشهور عن أبي طيبة أن مهنته كانت الحجامة ، فمن البعيد جداً دعوى جهله بحرمة شرب الدم.

(٣) أبهى المداد في شرح مؤتمر بغداد : ٦٣٥-٦٣٦ .

(٤) اللعة البيضاء : ٣٩ .

١ - ما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام : "وأشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلة العرش" (١) وذلك أن دم الحسين عليه السلام صعد إلى العرش حين ملأ كفه منه وألقاه إلى السماء فلم تسقط منه قطرة ، وقد لطح به وجهه ولحيته الشريفة ، وهذا الفعل يدل على طهارة دمه ، فلا يمكن أن تقرب من بدنهم الطاهر النجاسة ، بأي شكل من الأشكال (٢) ، وورد في الأخبار: إن فاطمة (عليها الصلاة والسلام) تحمل قميص فيه دم ولدها الحسين عليه السلام لتحج به يوم القيامة (٣)

٢ - وقد قيل إن دم الشهيد طاهر ما دام عليه (٤) ، واستدلوا بالحديث المروي عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله : "ادفنوهم في دِمَائِهِمْ. يعني: يوم أُحُد، ولم يُعَسِّلْهُمْ" (٥) ووجه الدلالة: ان دم الشهيد لو كان نجساً ، لأمر بإزالته عن بدن الميت قبل الدفن .

وما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "والذي نفسي بيده لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدِّمِّ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ" (٦) ووجه الدلالة: أنه شبه رائحة الدم برائحة المسك ، والمسك طاهر ، فدمه طاهر لذلك .

(١) كامل الزيارات، ابن قولويه القمي: ٣٦٤ . ونحوه في الكافي، الشيخ الكليني : ٤ / ٥٧٦ .
من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق : ٢ / ٥٩٥ . والوسائل ، الحر العاملي : ١٤ / ٤٩١ .
(٢) عن الإمام الحسين عليه السلام : " إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره، ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح فلما امتلأت رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء، ثم وضع يده ثانياً فلما امتلأت لطح بها رأسه ولحيته، وقال: هكذا أكون حتى ألقى جدي رسول الله وأنا مخضوب بدمي وأقول: يا رسول الله قتلني فلان وفلان" بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤٥ / ٥٣ .

(٣) " عن رسول الله صلى الله عليه وآله : تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول: يا حكم احكم بيني وبين قاتلي ولدي" ، بحار الأنوار ، المجلسي : ٤٣ / ٢٢٠ ح ٣ . مناقب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، ابن الغزالي : ١١٧ ح ٩١ .
(٤) وهو مذهب الحنفية ، والحنابلة. ينظر : البحر الرائق ، أبن نجيم المصري : ١ / ٢٤١ .
وكشاف القناع ، منصور البهوتي : ١ / ١٩١ . والإنصاف ، علاء الدين المرداوي : ١ / ٣٢٨ .
(٥) كنز العمال ، المتقي الهندي : ٤ / ٤٢٩ .
(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أبن حجر العسقلاني: ٢٥ / ٦ .

وقال الفاضل الدربندي (ت ١٢٨٥هـ) بسريان حكم الطهارة إلى دماء المستشهدين بين يدي سيد الشهداء عليه السلام أيضاً ، ولكن دماؤهم التي سفكت في كربلاء ، ثم حول بسط المسألة إلى كتابه شرح المنظومة في فقه الإمامية (١).

فيكون من الأولى أن يكون دم الإمام الحسين عليه السلام في حياته وبعد شهادته وحين تحمله السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) يوم المحشر ، بل كل دماء المعصومين عليهم السلام هو أطهر وأشرف وأزكى من كل دماء الشهداء ، فإن دماءهم عليهم الصلاة والسلام أطهر وألطف من كل لطيف ونظيف بمراتب كثيرة.

٣ - قد ورد في الخبر إن المكان الذي جرى عليه دم نبي أو إمام يكتسب قدسية ويتقرب الى الله تعالى فيه بالصلاة والعبادة (٢) ، والى هذا الخبر أشير في المنظومة في بيان فضل المشاهد المشرفة :

والسر في فضل صلاة المسجد قبر لمعصوم به مستشهد

برشة من دمه مطهرة طهره الله لعبد ذكره (٣)

٤ - روى ابن قولويه القمي (ت ٣٦٨ هـ) عن أبي حمزة الثمالي ، قال : قال الإمام الصادق عليه السلام في زيارة قبر الحسين عليه السلام : "أشهد أنك طهر طاهرٌ مُطَهَّرٌ ، من طهر طاهر مطهّر ، طهرت وطهرت أرض أنت بها ، وطهر حرمك" (٤) ، وطهر صيغة مبالغة للطهارة على وزن (فعل) يعني ذلك أنه مصدر الطهارة ومُتَلَبَّس بالطهارة ، طاهر في نفسه بل هو مُطَهَّر لغيره ، فإن ولاية المعصوم مطهره لمن يتولاهم "ونحن نسألك اللهم إذ كنا مصدقين لهم أن نُلْحِقَنا بتصدقنا بالدرجة العالية لنُبَشِّرَ أنفسنا بأنّا قد طهرنا بولايتهم عليهم السلام" (٥) .

(١) ينظر : إكسير العبادات في أسرار الشهادات : ١٤٧ .

(٢) عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني لأكره الصلاة في مساجدهم فقال : لا تكره فما من مسجد بني إلا على قبر نبي أو وصي نبي قتل فأصاب تلك البقعة رشة من دمه فأحب الله أن يذكر فيها.. "الكافي، الشيخ الكليني : ٣ / ٣٧٠ ح ١٤ . بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ١٤ / ٤٦٣ . وتهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي : ٣ / ٢٨٥ ح ٤٣ .

(٣) الدرة النجفية (منظومة في الفقه)، السيد بحر العلوم : ١ / ١٠٣ في (المشاهد) .

(٤) كامل الزيارات : ٤١٠ .

(٥) مقطع من زيارة السيدة الزهراء عليها الصلاة والسلام . جمال الاسبوع ، ابن طاووس : ٣٩ .

خامساً: الطهارة من الحدث

تتدرج الأحداث التي توجب الغسل والتطهير تحت الطهارة المطلقة التي أرادها الله في آية التطهير ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١) .

فالطهارة المطلقة للنبي ﷺ والأئمة المعصومين (عليه السلام) لا يمكن أن يزيلها شيء من الأحداث التي تطرأ على الإنسان العادي من جنابة أو موت أو مس للميت بل كل ما ينقض الوضوء ويحتاج بسببها إلى غسل أو وضوء .

١ - النوم : لا يطرأ على المعصوم حدث النوم ، فقد روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان ينام ثم يُصلي ، فلا يتوضأ ، فسئل عن ذلك فقال : "إني لست كأحدكم ، إنه لتنام عينا ، ولا ينام قلبي ، ولو أحدثت لعلمت" (٢) يعني : "لا ينتقض وضوءه عليه الصلاة والسلام" (٣) ، وقوله ﷺ : "إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا" (٤) فكان يسمع في منامه كما يسمع في انتباهه (٥) .

٢ - الجنابة : ولا يطرأ عليهم حدث الجنابة ، فحين نزلت آية التطهير "دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وسد أبواب المسجد غير باب علي ، قال : فقال : فیدخل المسجد جنبا وهو طريقه ليس له طريق غيره" (٦) وقد روى الحديث نحو ثلاثين رجلاً من الصحابة (٧) بأن الرسول الأكرم محمد ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال : " لا

(١) سورة الاحزاب : ٣٣ .

(٢) التيسير في التفسير ، النسفي : ٣١١/٥ .

(٣) شرح صحيح ابن خزيمة ، عبد العزيز الراجحي : ٥ / ٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب : ٤ / ١٩١ ح ٣٥٧٠ .

(٥) ينظر : بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٢ / ٤١١ ح ٢٩ .

(٦) مسند أحمد ، أحمد بن حنبل : ٣٣١/١ . والمستدرک ، الحاكم النيسابوري : ٣ / ١٣٤ . وذخائر

العقبى ، أحمد الطبري : ٨٧ . ورواه ابن حجر في فتح الباري : ٧ / ١٢ وقال : رجاله ثقات .

(٧) منهم : زيد بن أرقم وسعد بن أبي وقاص وأبو سعيد الخدري وأم سلمة وأبو رافع وأبو الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري وأبو حازم عن ابن عباس والعلاء عن ابن عمر وشعبة بن زيد بن علي عن أخيه الإمام الباقر عن جابر والإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام .

يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعليّ وفاطمة (١) والحسن والحسين ومن كان من أهلي فإنهم مني " (٢)

وقال الشيخ الأميني (ت ١٣٩٠ هـ) : "إنَّ سدَّ الأبواب الشارعة في المسجد كان لتطهيره عن الأدناس الظاهرية والمعنوية، فلا يمر به أحد جنباً، ولا يجنب فيه أحد. وأما ترك بابيه وباب أمير المؤمنين عليه السلام فلطهارتهما عن كل رجس ودنس بنص آية التطهير، حتى إنَّ الجنب لا تحدث فيهما من الخبث المعنوي ما تحدث في غيرهما .." (٣)

ومحل الشاهد في هذه الأخبار المرتبطة بتلك الحادثة التاريخية المشهورة :

١ - هو حرمة الجنب في مسجد النبيّ ومسجد الحرام في مكة ، بل حرمة المرور بهما إلا لمن استثناهم الرسول صلى الله عليه وآله وهم عترته الطاهرة عليهم السلام حيث أجاز لنفسه ولهم بأمر من ربّ العزة المرور والجنب في هذين المسجدين .

٢ - الترخيص من الله تعالى هو لإظهار عظمة أهل البيت عليهم السلام وكونهم مطهّرين من النجاسة والخبائث الماديّتين .

٣ - إن طهارة المعصوم من حدث الجنبه تعضدها أمور تطهيرية أخرى، منها:

أ - عدم طرؤ الاحتلام عليه: فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله " ولد مسروراً (٤) مختوناً وما احتلم قط، لان ذلك من الشيطان " (٥)

(١) أحد أبرز مصاديق طهارتها عليها السلام من كل رجس " أنها سميت بتولاً لتبتلها عن الحيض والنفاس " شرح إحقاق الحق ، السيد المرعشي : ١٠ / ٢٥ . وذخائر العقبى ، أحمد الطبري : ٢٦ . وكنز العمال ، المتقي الهندي : ١٠٩ .

(٢) الأمالي ، الشيخ الصدوق : ٤١٣ ح ٥٣٨ . وعيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق : ٢٢١ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٩ / ٢٠ .

(٣) الغدير : ٣ / ٢١١ .

(٤) "أي مقطوع السر وهو ما تقطعه القابلة من السرة" نور الأبصار ، محمد حسن شراب : ٢٨ / ١

(٥) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ، ابن شهر آشوب : ١ / ١٠٨ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٦ / ١٧٧ . وينظر : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، جلال الدين السيوطي : ١ / ٥٥ . وفيض القدير ، المناوي : ٣ / ٢٧٩ . وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، محمد الأزهرى : ١ / ٢١١ .

ب - وطهارة نطفته^(١): لأنها جزء من حقيقة الحمل لها ، ومسانخة له في الطهارات المادية والمعنوية ، فإن مجاورة جسم المعصوم عليه السلام ومخالطته ومصاحبته تكتسب اللطافة الكاملة بالتبعية ، ولذا كان اللباس والعباء على جسم النبي صلى الله عليه وآله لا يقع منهما أيضاً ظل تبعاً له^(٢)

ت - ولادته مختوناً مطهراً^(٣): فإن الأنبياء والأوصياء يولدون طاهرين مختونين ، كما ورد عن ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في رواية طويلة ، ذكرنا موضع الشاهد منها : "قال أبو طالب : فقلت : لو طهرناه كان أخفّ عليه ، وذلك أنّ العرب كانت تطهر أولادها، فقلن : يا أبا طالب فإنّه ولد طاهر مطهر" ^(٤).

وما جاء عن ولادة الإمام الرضا عليه السلام ، قول الإمام الكاظم عليه السلام: "إنّ ابني هذا وُلد مختوناً طاهراً مطهراً ، وليس من الأئمة أحد يولد إلّا مختوناً طاهراً مطهراً ، ولكن سنمّر موسى عليه ؛ لإصابة السنة ، واتباع الحنيفة" ^(٥) ، وكذلك الإمام الحسن العسكري عليه السلام حول ولادة الإمام المهدي عليه السلام مختوناً مسروراً طاهراً طاهراً^(٦) وتوارد ذلك في الأنبياء^(٧)

(١) قال ابن حجر : "أن مني النبي صلى الله عليه وآله طاهر دون غيره كسائر فضلاته" فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني : ٢٨٧ / ١ .

(٢) ينظر : اللعة البيضاء ، التبريزي الأنصاري: ٨٩ .

(٣) ورد عن خصائص الإمام : "إن للإمام عشر علامات: يولد مطهراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنم عينه ولا ينم قلبه، ولا يتئاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ، ونحوه كرائحة المسك والأرض موكلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عليه وقفا وإذا لبسه غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدث، إلى أن تنقضي أيامه " الكافي ، الشيخ الكليني : ٣٨٨ / ١ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٦٨ / ٢٥ .

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٠٥ / ٣٥ .

(٥) كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ٤٦٢ . وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٢١ / ٤٣٨ . واعلام الوري ، الشيخ الطبرسي : ٢ / ٢٢٠ . وينظر: الكافي ، الكليني: ٣٨٧/١ ح٥ .

(٦) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق: ٤٢٦ . بحار الأنوار ، المجلسي: ١٣/٥١ .

(٧) "وفي (الوشاح) لابن دريد: قال ابن الكلبي: بلغني أن آدم خلق مختوناً، واثنى عشر نبياً من بعده خلقوا مختونين، آخرهم محمد صلى الله عليه وآله ، وهم شِيث، وإدريس، ونوح، وسام، ولوط، ويوسف، وموسى، وسليمان، وشعيب، ويحيى، وهود، وصالح صلوات الله عليهم أجمعين" . امتاع الاسماع ، أحمد المقرئزي : ٤ / ٥٧ . الهامش . "وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من

٣ - الموت : ولا يطرأ حدث الموت عليهم ، فإن اطلاق آية التطهير المباركة يفضي الى ان جسد الانبياء ﷺ وجسد الأئمة ﷺ طاهرٌ في حياتهم وبعد موتهم ، وما يؤيد ذلك من الحديث ما روى الطوسي بسنده عن القاسم بن الصيقل قال : " كتبت إليه أي (الصادق) ﷺ : جعلت فداك هل اغتسل أمير المؤمنين ﷺ حين غسل رسول الله ﷺ عند موته (١) ؟ فأجابه : النبي ﷺ طاهر مطهر ولكن أمير المؤمنين ﷺ فعل وجرت به السنة " (٢) إذا لم يكن غسل المس واجباً على أمير المؤمنين ﷺ حين غسل جسد الرسول ﷺ الشريف ولم يكن محتاجاً له ، فلا ينجس بالموت ولا يجب تغسيله .

ولا يطرأ حدث مس الميت على من يلامس أجسادهم الطاهرة عند الموت لطهارتهم ، فمن غسل أو اغتسل من مسه إنما كان من أجل تركيز الأحكام الشرعية في أذهان العامة ، وإجراءً للقانون الذي سنّه المعصوم كما ظهر من الرواية ، لأنه المشرع والمقتن لتغسيل الميت فيجري هذا الأمر لتثبيت هذا التشريع.

يقول محمد حسن الجواهري (ت ١٢٦٦هـ) : "وكيف كان فينبغي استثناء المعصوم ﷺ والشهيد - أي استثناءهما من وجوب غسلهما ومن مسهما - للأصل المقرر بوجوه ، ولما ورد في النبي ﷺ أنه طاهر مطهر ، كالزهراء البتول ﷺ ، ويتم في غيرهما من المعصومين بعدم القول بالفصل ، وبالقطع بالاشتراك في علة ذلك" (٣)

كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سواتي" دلائل النبوة ، ابو نعيم الاصبهاني : ١ / ١٥٤ ح ٩١ .

(١) إن مسألة طهارة كل ما يتعلق بالمعصوم ﷺ ليست جديدة على الساحة الدينية بل كانت مثارة في عصر أئمتنا عليهم السلام وكان جوابهم إيجابياً وهو الطهارة المطلقة .

(٢) تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي : ١ / ١٠٧ ح ٢٨١ . ووسائل الشيعة، الحر العاملي : ٣ / ٢٩١ ح ٣٦٧٧ .

(٣) جواهر الكلام : ٥ / ٣٠٧ . والغريب العجيب أن الشيخ المحقق الجواهري يرى نجاسة بول النبي ﷺ ولم يذكر دليلاً على مدعاه ، مع أنه أفتى بطهارة جثته عند الموت ، ينظر : جواهر الكلام : ٥ / ٢٧٣ .

وقال العلامة الحلي (ت ١١٠٤هـ) عن كل ما تقدم : "لا يصدق الغلو على شيء من هذه المعاني المدعاة ، فكيف بمن نسب إليهم أنهم لا يحدثون بالأكبر أو الأصغر لو سلمنا بوجود نصوص تدل على ذلك وإن كان ظاهر بعض النصوص أنهم كانوا يدخلون الكنيف ويغتسلون من الجنابة لكن لا دلالة فيها على صدور الحدث بكلا قسميه، إذ قد يكون دخولهم الكنيف لدفع شبهة الغلو عنهم، وكذا اغتسالهم من الجنابة لكونهم مشرعين للأحكام فلا ملازمة بين الاغتسال وبين الحدث الأكبر الشائع بين الناس، فجنابتهم تختلف عن جنابة غيرهم، فلا ملازمة بين القول بطهارتهم من الأرجاس المادية وبين مفهوم الغلو، وإلا حكمنا على أهل الجنة الذين لا يبولون ولا يغوطون وإنما تخرج الفضلات من مسام الجلود كرائحة المسك " (١)

يتضح مما تقدم حصول التوارد في طهارة جسد الأنبياء والأوصياء بكلّ أجزائه المتصلة والمنفصلة ، طاهرة ذاتاً وحقيقةً وتكويناً ، فلا يتصور أن تنتج أبدانهم الجنّية العلوية النورية ، بولاً نتناً ، أو غائطاً قذراً ، أو دماً خبيثاً أو نطفة نجسة .

فإن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام في حال طهر دائم ، فمتى احتاج المعصوم الى التطهير يعني طروء النجاسة عليه ، وهذا خلاف الآية الكريمة التي نصت على إذهاب الرجس عليهم مطلقاً وعدم طروءه عليهم بحال من الاحوال.

وقد أكد الشيخ فاضل الصفار هذه الحقيقة الجلية بأن من آثار وكرامات خلقة بدن المعصوم الاستثنائية هي الطهارة التامة لهذه الأبدان ، فقال : " الطهارة التامة في نفسها وفيما يخرج منها ، وعملهم ببعض الأحكام الشرعية كالتطهير والاغتسال من الجنابة فهو لإجراء السنة وتطبيق القانون لكي لا يخترق، وأما هم ﷺ فلا ينالهم رجس ولا نجس، فدم المعصوم وكل ما يخرج من مدفوعات جسده الشريف طاهر، وقد ضرب الباري عز وجل مثلاً لذلك في مثل النحل والأنعام الذي يخرج من بطونها شراب طيب طاهر فيه شفاء للناس؛ إذ قال تعالى في النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ

بُطُونِهَا شَرَابٌ تُخْتَلَفُ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» (١) وقال في الأنعام: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ (٢) وفي الأحكام الشرعية ما يعضد هذه الحقيقة في مخلفات الأنعام وبعض الطيور (٣) ، وقد ورد في المصطفى ﷺ أنه لم ير أحد بوله ولا غائطه، وإن رائحتهما كالمسك" (٤) .

(١) سورة النحل : ٦٩ .

(٢) سورة النحل : ٦٦ .

(٣) فإن مدفوعات الحيوانات حلال اللحم طاهرة، بل وربما تكون علاجاً للأمراض، كما تستخدم في الأغراض اليومية، ومثلها يقال في مخلفات الطيور الدواجن.

(٤) الدقائق والحقائق في المعارف الإلهية : ٢ / ١٤٠-١٤١ .

الفصل الثاني

الكُبريات المُتواردة في ولاية النُبوة والإمامة

المبحث الأول : الولاية التكوينية

المبحث الثاني : الولاية التشريعية

الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة

توطئة : مفهوم الولاية

الولاية في اللغة : بعد مراجعة معجمات اللغة تبين وجود معانٍ عدة تنطوي عليها كلمة (الولي) وهي بشكل مجمل تدلنا على المعاني التالية^(١):

- ١- الوالي: مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها
 - ٢- الولي: من يلي أمر الشيء ويقوم على كفايته
 - ٣- المتولي لأمر العالم والخلائق القائم بها
 - ٤- القرابة^(٢)
 - ٥- السلطان^(٣)
 - ٦- الدنو والقرب^(٤)
 - ٧- التدبير والقدرة والفعل^(٥)
 - ٨- اسم يقع على جماعة كثيرة فهو: الرَّبُّ و المَالِك و السَّيِّدُ و الْمُنْعِمُ و الْمُعْتَقُ و النَّاصِرُ و الْمُجِبُّ و التَّابِعُ و الجَارُ و ابن العم و الحَلِيفُ و العَقِيدُ و الصِّهْرُ و العَبْدُ و الْمُعْتَقُ و الْمُنْعَمُ عليه^(٦)
 - ٩- الولاية بالفتح في النسب و النُّصرة و العِثْقُ و الولاية بالكسر في الإمارة^(٧)
- يظهر مما تقدم من التعريفات اللغوية المتقدمة أن معنى "الولاية" مفهوم عام يشمل : السلطة والهيمنة على الشيء، أو القرب والدنو منه .

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٤٠٠ - ٤٠٥. والصاح، الجوهري: ٢٥٢٨ - ٢٥٣١.

(٢) المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين : ٢ / ١٠٥٨ .

(٣) الإفصاح في فقه اللغة ، الصعيدي وحسين يوسف : ٣١٦ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٦ / ١٤١ .

(٥) النهاية في غريب الحديث ، ابن الاثير : ٥ / ٢٢٧ .

(٦) لسان العرب ، ابن منظور : ١٥ / ٤٠٩ .

(٧) تهذيب اللغة ، الأزهرى : ١٤ / ٤٤٩ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقد ذكر العلامة الأميني (ت ١٣٩٠ هـ) في كتابه "الغدير" سبعة وعشرين معنى^(١) ثم قال : " أن الذي نرتأيه في خصوص المقام بعد الخوض في غمار اللغة، ومجاميع الأدب، وجوامع العربية، إن الحقيقة من معاني المولى ليس إلا الأولى بالشيء، وهو الجامع لهاتيك المعاني جمعاء، ومأخوذ في كل منها بنوع من العناية، ولم يطلق لفظ المولى على شيء منها إلا بمناسبة هذا المعنى" (٢)

أما في الاصطلاح : فقد عرفت (الولاية) بعدة تعريفات عنيت بجوانب معينة من وظائف الولاية، وأغفلت جوانب أخرى لم تذكرها، الأمر الذي يصيرها - في الحقيقة - تعريفات غير جامعة لكل معاني الولاية:

فالولاية في اصطلاح الفقهاء: "وإنها تنفيذ القول على الغير سواء شاء أم أبى"^(٣) أي أن للولي القدرة على التصرف المباشر من دون إجازة أحد .

وفي هذه التعريف بيّن أثر الولاية لا حقيقتها ، كما أن الولاية لا تشمل الاقوال فقط ، فهي شاملة للأفعال أيضا .

وعُرِّفت بأنها: "سلطة تجعل لمن تثبت له القدرة على إنشاء العقود والتصرفات وتنفيذها بحيث تترتب آثارها الشرعية عليها بمجرد صدورها"^(٤) يلاحظ حصر سلطة الولي في إنشاء التصرفات والعقود مع أن مدلول الولاية أوسع من ذلك .

فإن هناك ولاية عامة بين المؤمنين بالنسبة لبعضهم البعض ، التي هي ولاية المحبة والمناصرة ومن لوازمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وولاية الخاصة و هي الشرعية المطلقة فهي محصورة في الرسول ﷺ بعد الله ، ثم الذين يحملون رسالة العصمة بعد رسول الله ﷺ و هم الخلفاء المعصومون عليهم السلام.

(١) وهي: ١ - الرب ٢ - العم ٣ - ابن العم ٤ - الإبن ٥ - ابن الأخت ٦ - المعتق ٧ - المعتق ٨ - العبد ٩ - المالك ١٠ - التابع ١١ - المنعم عليه ١٢ - الشريك ١٣ - الحليف ١٤ - الصاحب ١٥ - الجار ١٦ - النزيل ١٧ - الصهر ١٨ - القريب ١٩ - المنعم ٢٠ - الفقيد ٢١ - الولي ٢٢ - الأولى بالشيء ٢٣ - السيد غير المالك والمعتق ٢٤ - المحب ٢٥ - الناصر ٢٦ - المتصرف في الأمر ٢٧ - المتولي في الأمر "الغدير" ، الشيخ الاميني : ١ / ٣٦٢ .

(٢) الغدير : ١ / ٣٦٨ .

(٣) التعريفات ، الشريف الجرجاني : ٣١٠ .

(٤) أحكام الاسرة في الإسلام ، محمد مصطفى شلبي: ٢٧١ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

يقول محمد صادقي (ت ١٤٣٢ هـ) : "هناك ولايات خاصة وأخرى عامة على المؤمنين كلها تنحو منحى مصالحهم معنوية ومادية جماعية وفردية، كالولاية على الايتام، والسفهاء، والمجانين، والزوجات، والاولاد، والمتخلفين، وعلى كل الأمة من الفقهاء، وأئمة الدين، والرسول، وولاية الله، كل هذه ولايات على من لا يحيط علماً أو طاقة على مصالحه، فالولاية المعصومة من بينها مطلقة كما تدل عليها آية الولاية وآية الطاعة ، والولايات الاخرى محدودة بحدود المصالح، وللمولى عليهم الاعتراض والإستيضاح إن اشتبه عليهم أمرها أو تأكدوا من خلاف المصلحة فيها. ثم تشترك هذه العشر في الولاية الشرعية على اختلاف درجاتها وضيقها وسعتها، وتختص ولاية المعصومين الشرعية بانها مطلقة محكمة دونما استثناء لأنها تمثل ولاية النبي الممثلة لولاية الله " (١)

والأقرب لهذه المعاني الحدّ الذي يقول بأنها : الرئاسة على الناس في أمور دينهم و دنياهم و معاشهم و معادهم ، وهي الإمرة و الإمامة، و تعني الأولوية في التصرف في الأمور ، وإن كانت هذه الأوامر شخصية عرفية (٢) ويلاحظ أن هناك ترابطاً وانسجاماً ظاهراً بين معنى الولاية في اللغة والاصطلاح، إذ ان الولي الذي يقوم على إدارة شؤون المولى عليه يكون بالعادة قريب منه ، فيحقق معاني القدرة والرعاية وجلب المصالح ودفع المفساد . ويقابل الولاية العداوة، وهي دائرة على البغضاء والكره، فأعداء الله هم من أبغضهم سبحانه وتعالى وأبعدهم، فالعداوة مبنية على الإبعاد والكره والبغض، والولاية مبنية على المحبة والنصرة (٣)

إن كلمة «ولي» و «أولياء» جاءت في سبعين مورداً من موارد القرآن الكريم (٤) وقد أوردتها المفسرون بمعانٍ مختلفة منها :

(١) التفسير الموضوعي للفرقان: ٢٤ / ١١٨ .

(٢) ينظر : إمامة الاثني عشر في القرآن من كتب السنة، محمد الطائي: ٦ / ٣٢٠.

(٣) ينظر : التفسير الكبير، فخر الدين الرازي : ١٦ / ١٠٠ .

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد : ٧٧١-٧٧٢ .

١ - القريب والصديق^(١)

قال تعالى : «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ»^(٢)

٢ - المُعين والناصر^(٣)

قال تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ»^(٤)

٣ - الهادي و المرشد^(٥)

قال تعالى : «وَمَنْ يُضِلِّ فَلَئِنْ تَجَدَّ لَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا»^(٦)

٤ - القَيِّم و صاحب الاختيار^(٧)

قال تعالى: «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ»^(٨)

٥ - التصرف و الزعامة^(٩)

قال تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(١٠)

٦ - النصرة والمحبة^(١١)

قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(١٢)

(١) تفسير البغوي، الحسين بن مسعود: ١ / ١٥٤. وتفسير روح البيان، إسماعيل حقي: ١ / ٢٠٢

(٢) سورة البقرة: ١٠٧ .

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ، ابو الليث السمرقندي: ١ / ١٧٠ . وتفسير الوسيط ، سيد طنطاوي: ١ / ٥٩١ .

(٤) سورة البقرة: ٢٥٧ .

(٥) إرشاد الأذهان في تفسير القرآن ، محمد السبزواري: ١ / ٣٠٣ .

(٦) سورة الكهف: ١٧ .

(٧) "أي من يلي أمره كالأب و الجد و الوصي و الحاكم و الوكيل" الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، عبد الله شبر: ١ / ٢٨٥ .

(٨) سورة البقرة: ٢٨٢ .

(٩) الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٤ / ٥٧ .

(١٠) سورة المائدة: ٥٦ .

(١١) التفسير الكبير ، الطبراني: ٣ / ٣٣٥ . والتفسير الوسيط الطنطاوي: ٦ / ٣٤٩ .

(١٢) سورة التوبة: ٧١ .

٧ - السلطان والحكم (١)

قال تعالى : ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٢)

٨ - ولي الدم (٣)

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٤)

٩ - الإتياع والإنتماء ، كولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام (٥)

قال تعالى : ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٦)

ان هذه المعاني القرآنية المذكورة إضافة الى المعاني اللغوية الاصطلاحية هي تدخل تحت الولاية التي تكون للمعصوم ، وذلك لعموم ولاية المعصوم على نحو الاطلاق في الصلاحيات التشريعية والتكوينية وإمارتهم على الناس في جميع أمورهم الدينية والدينية منها ، فكل شيء يذكر تحت مسمى الولاية من الهيمنة أو السلطنة أو الحاكمية أو الإتياع أو الأحق بالتصرف من الغير ، فهي صائرة في النبوة والامامة، وسيتم التعرض الى الولاية بقسميها من خلال المباحث الآتية .

(١) بحر العلوم ، ابو الليث السمرقندي : ٣٤٨ / ٢ .

(٢) سورة الكهف : ٤٤ .

(٣) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي: ٩٠ / ١٣ . والتفسير الموضوعي الفرقان ، محمد صادقي: ٢٣٩ / ٢٩ .

(٤) سورة الإسراء : ٣٣ .

(٥) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٥ / ٥٦٥ ح ١١٣١٦ . وتفسير أبي حمزة الثمالي ، أبو حمزة الثمالي : ٢٣٩ . وتأويل الآيات ، شرف الدين الحسيني : ١ / ٢٩٦ ح ٦ . شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : ١ / ٤٦١ ح ٤٨٧ .

(٦) سورة الكهف : ٤٤ .

المبحث الأول: الولاية التكوينية

توطئة : مفهوم الولاية التكوينية

إنَّ الولاية التكوينية : "هي سلطان الله المطلق على هذا الكون في الخلق والتدبير" (١) ، وهذا الاطلاق يعني ان الله عزَّ وجل محيط بخلقه وله الهيمنة الكاملة عليهم، لا يعزب عن علمه شيء من شؤون خلقه وأعمالهم، ولا يفلت عن قبضة قدرته شيء في السماوات والأرضين ، وهذا الوجود يحتاج في استمراره وبقائه الى الإمداد الإلهي التكويني وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

ذكر السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) في تفسيره: "وقد ذكر الله سبحانه لنفسه من الولاية، الولاية التكوينية التي تصح له التصرف في كل شيء وتدبير أمر الخلق بما شاء وكيف شاء" (٣).

وإنَّ مفهوم الولاية التكوينية يلتقي عند الحقيقة المشتركة في مفهومي الإعجاز والكرامة التي تحصل لمن يريده الله من عباده ، فإن حصول الأمر الخارق للعادة يكشف عن تفويض من الله تعالى لبعض الأولياء كالأنبياء للتصرف بعلم الموجودات ، وإحداث تغيير في نظامها المعتاد عند الناس ، فهل يمنح الله تعالى لعباده الخاصين من الأئمة عليهم السلام القدرة والقوة للتصرف في عالم التكوين بإذنه تعالى ؟ وهل تواردت معاجز تكوينية بين عباده الكاملين (الأنبياء والأئمة) ، كإحياء الموتى وشفاء المرضى وإجراء المعجزات؟

(١) في رحاب القرآن ، محمد مهدي الآصفي : ٣ / ٣٤٩.

(٢) سورة آل عمران: ٦٨

(٣) تفسير الميزان : ٦ / ١٢ .

المطلب الأول : توارد الولاية التكوينية في النبوة والإمامة

إن لفظ الولاية التكوينية وإن لم يرد في القرآن الكريم بلفظه الخاص ، إلا أنه مستنبط من آيات قرآنية عدة تشير إلى المفهوم العام للولاية ، والاستدلال به في مقامنا هذا لعموم الولاية لله ورسوله والذين آمنوا ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١)

"وقد اشتملت من السياق على ما يدل على وحدة ما في معنى الولاية المذكورة فيه حيث تضمن العد في قوله: ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأسند الجميع إلى قوله: ﴿وَلِيُّكُمْ﴾ وظاهره كون الولاية في الجميع بمعنى واحد، ويؤيد ذلك أيضاً قوله في الآية التالية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٢) حيث يشعر أو يدل على كون المتولين جميعاً حزباً لله لكونهم تحت ولايته، فولاية الرسول والذين آمنوا إنما هو من سنخ ولاية الله" (٣)

وثبت قول النبي ﷺ: "فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" (٤) فهذه الولاية تشمل كل ما جعله الله لرسوله ﷺ عدا النبوة ، فيكفي قول النبي ﷺ ان يكون توارد في كل ما يخص الولاية .

وقد جرى هذا النوع من الولاية في الأنبياء وغير الأنبياء ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٥)

جاء في تفسير الآية أن النبي سليمان عليه السلام طلب احضار عرش بلقيس قبل يأتوه مسلمين ، فقال وزيره آصف بن برخيا وهو الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به

(١) سورة المائدة : ٥٥ .

(٢) سورة المائدة : ٥٦ .

(٣) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٢٦/٦ .

(٤) موسوعة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري : ٢٨٨/١ . نقلا عن تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : ٢٠٩ / ٤٢ . مسند ابن حنبل ، احمد بن حنبل : ١٩٩/١ . عيون اخبار الرضا عليه السلام ، الصدوق : ١ / ٦٤ ح ٢٢٧ .

(٥) سورة النمل : ٤٠ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

قبل ان يرجع اليك بصرك، وتمكن من إحضار عرش الملكة بلقيس بشكل سريع و خاطف، و كان عرشها في سبأ باليمن فأحضره إلى بيت المقدس في أقل من طرفة عين، ولم يكن نبياً ولا رسولاً لكنه صديقاً وحجة من الحجج الالهية (١)، فيكون من باب الاولوية ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (عليهم السلام) ، كونهم خلفاء رسول الله ﷺ والقائمين مقامه في التشريع والتبليغ والهداية .

وما يدل على ثبوت الولاية التكوينية للإمامة:

قوله تعالى : ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٢)

اتفقت الإمامية في تفسير الآية على أن الذي عنده علم الكتاب هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة المعصومين عليهم السلام ، ومما نقلوا في ذلك الكثير منه :
١ - ما روى أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله جلّ شأنه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ﷺ : "ذاك وصي أخي سليمان بن داود، فقلت له: يا رسول الله، فقول الله عزّ و جلّ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال ﷺ: ذاك أخي علي بن أبي طالب" (٣) "والالتفات إلى الفرق بين (علم من الكتاب) الذي يعني (العلم الجزئي) و (علم الكتاب) الذي يعني (العلم الكلي)، يكشف البون الشاسع بين آصف و علي (عليه السلام)" (٤)

٢ - عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "سألته عن قوله ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فقال: نزلت في علي (عليه السلام) بعد رسول الله

(١) ينظر : تفسير أبو علي الجبائي ، محمد الجبائي : ٤٠٨ . والكشاف ، محمود الزمخشري :

٣ / ٣٦٧ . والدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ١٠٩ / ٥ .

(٢) سورة الرعد : ٤٣ .

(٣) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٢ / ٥٢٣ . وتفسير القرآن الكريم ، عطية العوفي :

٢ / ١٤٤ . وضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي قايي : ٩ / ٦١٥ . وأخرج الحاكم

الحسكاني القسم الثاني من الحديث في شواهد التنزيل: ١ / ٤٠٠ ح ٤٢٢ .

(٤) تفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٣ / ٤٧٣ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي الأئمة بعده وعلي عنده علم الكتاب" (١)، وغيرها الكثير من الروايات التفسيرية التي تؤكد ذلك (٢).

٣- ومن طرق العامة ما أخرجه الثعلبي في ذيل الآية من تفسيره بطريقتين: "عن عبد الله بن عطاء، قال: كنت جالساً مع أبي جعفر (محمد بن علي الباقر) في المسجد، فرأيت ابن عبد الله بن سلام جالساً في ناحية، فقلت لأبي جعفر: زعموا أن الذي عنده علم الكتاب، عبد الله بن سلام (٣) فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب، و أخرج الثعلبي: عن ابن الحنفية «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»، قال: هو علي بن أبي طالب" (٤)

وبناء على ما تقدم إذا كان لأصف بن برخيا - الذي كان له علم من الكتاب - أن ينال شيئاً من الولاية على العوالم التكوينية ، فقد أتى بعرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام في طرفه عين بالولاية التكوينية التي منحها الله إياه ، فإذا جاز لمن هو دون الأئمة عليهم السلام أن يتصرف بالكون من خلال معرفة الاسم الأعظم أو شيء من علم الكتاب ، فكيف بمن هو سر الله الأكبر واسمه الأعظم ومن عندهم علم الكتاب ، فالولاية الكونية مستمدة من الولي الأكبر وليست مشاركة له فالذي عنده علم الكتاب كله أمير المؤمنين عليه السلام أولى بأن يكون له هذه الولاية ، بل ولايته أوسع وأعظم منه بنص آية الولاية كما ذكرنا (٥)

(١) نور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ٢٣/٣ ح ٢١٣ . وينظر: بصائر الدرجات ، الصفار: ١٣٥.

(٢) ينظر: تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ١ / ٣٦٧ . تفسير العياشي ، محمد مسعود: ٢ / ٢٢٠ ح ٧٦ . والتفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ٣ / ٧٧ . ومجمع البيان ، الطبرسي : ٦ / ٥٤ . ونفحات القرآن ، محمد نهاوندي : ٣ / ٤٩٨ . والكافي ، الكليني : ١ / ٢٢٩ .

(٣) وأيضاً أجيب بأن السورة مكية، فلا يجوز أن يراد منها ابن سلام وأصحابه، لأنهم آمنوا في المدينة. ينظر: تفسير ابن كثير، إسماعيل الدمشقي: ٤ / ٤٧٤ . والدر المنثور، السيوطي: ٤ / ٦٩.

(٤) تفسير الكشف والبيان ، أبو إسحاق الثعلبي : ٥ / ٣٠٣ .

(٥) روي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : " إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه عين، وعندنا نحن من الاسم

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقد جرت هذه الولاية لجميع الأئمة المعصومين عليهم السلام وستظهر على يد الامام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) (١).

وذلك أن المعاجز التي جرت للأنبياء كان من أسبابها إثبات صدق دواعهم بالنبوة وبأنهم مبعوثون من قبل الله عز وجل ، وكذلك صدر عن الأئمة عليهم السلام معاجز تكوينية لإثبات صدق دعواهم بالإمامة وأنهم مبعوثين ومنصبين من قبل الله عز وجل بالجعل الإلهي ، وإظهار التحدي إن استلزم ذلك ، فكما إن النبوة سفارة إلهية ، يظهر لها المدعون في كل زمان ومكان، حتى في زمن الرسول صلى الله عليه وآله ظهر أناس كذابون يدعون أنهم أنبياء وأنهم مرسلون من الله، كذلك الإمامة هي من السفارة الإلهية والمناصب العظيمة التي يكثر لها المدعون، ويرغب في الحصول عليها الراغبون، وهذا ما ذكر عبر التاريخ من إدعاءات عديدة لمناصب النبوة أو الإمامة ، كما حدث للإمام الكاظم عليه السلام حين ادعى عبد الله الأفطح الإمامة بعد أبيه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، وقد تحداه الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، لإثبات صدق دعواه بأن يأتي بنفس معجزته التي قام بها ، وهي جلوسه في وسط النار بثيابه دون أن يصيبه أي مكروه ، فعجز الأفطح عن ذلك (٢)

وقد أكد ناصر مكارم الشيرازي بتوارد التحدي والإدعاء في النبوة والإمامة بقوله : "إن المعجزة هي عمل يقترن بالتحدي ، وتكون مقترنة بإدعاء النبوة والإمامة" (٣) ، فقرن المعجزة بالتحدي والإدعاء لكلاهما في إثبات صدق دعواهم بأنهم منصبون

اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده.. بصائر الدرجات ، محمد الصفار : ٢٢٨ ح ١ ب ١١ .

(١) "عن أبي عبد الله عليه السلام قال العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين فإذا قام القائم (عجل الله فرجه الشريف) أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً" مختصر بصائر الدرجات ، الحسن بن سليمان الحلبي : ١١٧ .

(٢) ينظر: كشف الغمّة ، ابن أبي الفتح الإربلي : ٤٠ / ٣ . وبحار الانوار ، العلامة المجلسي :

٦٨ / ٤٨ . والخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي : ٣٠٩ / ١ .

(٣) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : ٤٣٢ / ٩ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

من قَبْلَ الله عز وجل ، وذلك أن الإمامة "منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ..فكذلك يختار للإمامة من يشاء" (١)

يقول محمد بن جرير الطبري الإمامي (ت ٤١١ هـ) : "فالمعجزة التي كانت تظهر على أيدي الأنبياء تصديقاً لهم ، هي ضرورة أيضاً لتصديق دعوى الإمام ، كيف لا وقد أظهر الله المعجزات لمن هو أدنى من الإمام تصديقاً لدعواه المرضية عند الله ؟ ومثال ذلك ما ظهر لمريم العذراء عليها السلام تبرئة لساحتها " (٢)

وذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : "إذا كان فائدة المعجز تصديق من ظهر على يده، فيجب جواز ظهوره على يد بعض الأئمة والصالحين إذا ادّعوا الإمامة والصلاح وكانوا صادقين؛ فإنه إذا كان مقتضاه تصديق من ظهر على يده، فإن كان ذلك مدّعياً للإمامة علمنا بها صدقه، وإن ادّعى صلاحاً فمثل ذلك؛ لأنه لا بدّ من دعوى يقتدرن به" (٣).

فيظهر مما تقدم توارد وجوب إجراء المعاجز في النبوة والإمامة ، فيقيم كل منهم شاهداً واضحاً يدل على صدقه في الدعوى، وأمانته في التبليغ، ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التي يمكن غيره أن يأتي بنظيرها، فينحصر الطريق بما يخرق النواميس الطبيعية ، كما إن ضرورة وجود الإمام عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وحاجتهم إليه لا تقل عن ضرورة وجود النبي صلى الله عليه وآله نفسه ، فكلاهما تكون لهما المعجزة لإثبات صدق دعواهم في توليهم هذا المنصب الإلهي ، ودل على هذا التوارد نص الروايات الشريفة منها :

(١) أصل الشيعة وأصولها ، كاشف الغطاء : ٢١١ .

(٢) دلائل الإمامة : ٢٥ - ٢٦ .

(٣) الاقتصاد الهادي الى سبيل الرشاد : ١٥٨ - ١٥٩ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

١ - عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: " ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء إلا يُظهر الله تبارك وتعالى مثلها على يد قائمنا لإتمام الحجة على الأعداء" (١)

٢ - وما ورد عن أبي بصير قال: " قلت لأبي عبد الله عليه السلام لأي علة اعطى الله عز وجل أنبيائه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: ليكون دليلاً على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبيائه ورسله وحُججه ليُعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب" (٢)

ومن المفسرين من صرّح بهذا التوارد بصريح العبارة ، كما ورد في تفسير الأمل : "وما الولاية التكوينية إلا القول بأن الأنبياء والأئمة يستطيعون - إذا لزم الأمر- أن يتصرفوا في عالم الخلق بإذن الله. وهذا مقام أرفع من مقام الولاية التشريعية، أي إدارة الناس وحكمهم ونشر قوانين الشريعة بينهم ودعوتهم إلى الله وهدايتهم إلى الصراط المستقيم" (٣)

وهذا ما أكدّه الشيخ نجاح الطائي^(٤) في كتابه : "إن الولاية التكوينية تعني أنّ الانبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام يستطيعون (إذا احتاج الأمر) أن يتصرفوا في عالم الدنيا بإذن الله سبحانه، وللولي السلطنة التامة على جميع الأمور بالتصرف و لهم قيادة أمر العالم يتصرفون كيف يشاءون في طول قدرة الله تعالى و اختياره و سلطته فهو الحاكم الأول للكون لا ينازعه أحد " (٥)

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ، علي الكوراني : ٣ / ٣٧٣ . وإثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ، الحر العاملي : ٥ / ٣٢٨ . والنجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب عليه السلام ، حسين النوري : ٨ / ٢ .
(٢) علل الشرائع ، الشيخ الصدوق : ١٢٢/١ . بحار الانوار ، العلامة المجلسي : ١١ / ٧١ .
(٣) تفسير الأمل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٥٠٨ / ٢ .
(٤) الدكتور نجاح عطا عبد محمد الطائي مفكر إسلامي ومحقق عراقي له مؤلفات كثيرة منها : (الإمام علي عليه السلام في القرآن من كتب السنة) .
(٥) إمامة الاثنا عشر في القرآن من كتب السنة : ٨ / ٣١٠

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

"وإنّ ظهور الآيات على الأئمة عليهم السلام لا يوجب لهم الحكم بالنبوة لأنّها ليست بأدلة تختصّ بدعوة الأنبياء من حيث دعوا إلى نبوتهم ، لكنّها أدلة على صدق الداعي إلى ما دعا إلى تصديقه فيه على الجملة دون التفصيل، فإن دعا إلى اعتقاد نبوتهم ، كانت دليلاً على صدقه في دعوته ، وإن دعا الإمام إلى اعتقاد إمامته ، كانت برهاناً له في صدقه في ذلك...فما الذي ينكر من إظهار علم يدلّ على عين الإمام لتمييز به عمّن سواه ، لولا أنّ مخالفينا يعتمدون في حجاجهم لخصومهم الشبهات المضمحلّات" (١)

إذن قد يمنح فيها الله تعالى لأحد عباده الخاصين القدرة و القوة للنفوذ في عالم الخلق و الطبيعة، فيحصل لذلك العبد نوعٌ من الولاية التكوينية ، فيكون عنده القدرة على التصرف في عالم الخلق و التكوين بأمر الله مستمد من ولايته عز وجل ، فولايته لا ليست مستقلة عن ولاية الله تعالى ولا في عرضها ، بل هي مستندة إلى إذنه تعالى ومستمدة من ولاية الله ومدده وقوته وبإذنه ، فإذا اكتسب أوليائه صفاته وتخلّقوا بأخلاقه، أعطاهم الله سبحانه من صفاته وكمالاته، فجعلهم سمعه وبصره وقلبه ومظاهر مشيئته، لكونهم مظاهر أسمائه وصفاته تعالى فيكون فعلهم فعله ، وقولهم قوله ، فتستجيب لهم الأشياء برمتها بإذن ربها ، فيكون لهم الإتيان بأفعال خارقة للعادة و النواميس الطبيعية لعالم الأسباب، فمثلاً يبرئ المريض الذي لا علاج له بإذن الله ، و ذلك من خلال الهيمنة و النفوذ الذي وهبه الله تعالى له ، هذا النموذج من الولاية التكوينية التي وهبها الله تبارك و تعالى لعبده المسيح عليه السلام، لا مانع أو حائل ابداً دون اعطاء مثل ذلك لسائر الأنبياء أو الأئمة المعصومين عليهم السلام (٢)

(١) تفسير القرآن المجيد المستخرج من تراث الشيخ المفيد ، محمد علي ايازي : ٨٨-٨٩ .
(٢) ينظر : نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي: ٩ / ١٢٥ . وينظر : الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ، محمد جميل العامل: ١ / ٥٥٤ .

المطلب الثاني : مصاديق التوارد في الولاية التكوينية

قد ثبتت الولاية التكوينية لأنبياء الله ورسله عليهم السلام وغيرهم في كثير من النصوص القرآنية والروايات ، وقد توارد حدوثها عند الأئمة عليهم السلام وقع اختيار الباحثة على خمس نماذج قرآنية :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ ﴾ (١)

ورد في التفسير ان سبب نزول الآية هو أن النبي سليمان عليه السلام كان يحب الخيل و يستعرضها، فعرضت عليه يوماً إلى أن غابت الشمس، وفاتته صلاة العصر، فاغتم من ذلك غماً شديداً، فقال للملائكة ردوا عليه الشمس حتى اصليها، فردت عليه الشمس إلى وقت العصر حتى صلاها ، وقد ورد ذلك في بعض الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام (٢)

وذكر السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) في تفسيره : " فمحصل معنى الآية أني شغلني حب الخيل - حين عرض الخيل علي - عن الصلاة حتى فات وقتها بغروب الشمس، وإنما كان يحب الخيل في الله ليتهيأ به للجهاد في سبيل الله فكان الحضور للعرض عبادة منه فشغلته عبادة عن عبادة غير أنه يعد الصلاة أهم وقوله تعالى: " ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق " قيل: الضمير في (ردوها) للشمس وهو أمر منه للملائكة برد الشمس ليصلي صلاته في وقتها" (٣)

(١) سورة ص : ٣٠-٣٣ .

(٢) ينظر: تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٦٥٣ .

(٣) تفسير الميزان : ١٧ / ٢٠٣ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقد توارد هذا الأمر من الولاية التكوينية في الإمامة ، إذ ثبت عند الفريقين ان الشمس ردت للأمير المؤمنين علي عليه السلام لأكثر من مرة (١) .

ونص هذه الولاية التكوينية للأمير المؤمنين علي عليه السلام ما روى العياشي في تفسيره :
"عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، قال: دخل علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه وقد أغمي عليه ورأسه في حجر جبرئيل وجبرئيل في صورة دحية الكلبي، فلما دخل علي عليه السلام قال له جبرئيل: دونك رأس ابن عمك فأنت أحق به مني، لأن الله يقول في كتابه: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) فجلس علي عليه السلام وأخذ رأس رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره، فلم يزل رأس رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره حتى غابت الشمس، وان رسول الله صلى الله عليه وآله أفاق فرفع رأسه فنظر إلى علي عليه السلام فقال: .. فما منعك أن تصلي؟ فقال: قد أغمي عليك وكان رأسك في حجري، فكرهت ان أشق عليك يا رسول الله، وكرهت ان أقوم واصلي وأضع رأسك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولك حتى فاتته صلاة العصر، اللهم فرد عليه الشمس حتى يصلي العصر في وقتها، قال: فطلعت الشمس فصارت في وقت العصر بيضاء نقية، ونظر إليها أهل المدينة وان علياً عليه السلام قام وصلى فلما انصرف غابت الشمس وصلوا المغرب" (٣)

وقد روى أمير المؤمنين علي عليه السلام هذه الحادثة لنفسه في يوم الشورى بقوله :
"أنشدكم بالله، هل فيكم من ردت عليه الشمس غيري؟ حين نام رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) "وذكر أن الشمس ردت عليه مراراً: الذي رواه سلمان، ويوم البساط، ويوم الخندق، ويوم حنين، ويوم خيبر، ويوم قرقيسينا ويوم ببراثا، ويوم الغاضرية، ويوم النهروان، ويوم بيعة الرضوان، ويوم صفين وفي النجف، وفي بني مازر، وبوادي العقيق، وبعد أحد، وروى الكليني في الكافي أنها رجعت بمسجد الفضيح من المدينة ، وأما المعروف فمرتان في حياة النبي صلى الله عليه وآله بكراع الغميم وبعد وفاته ببابل" بحار الانوار، العلامة المجلسي : ١٤ / ١٧٤-١٧٥. وينظر : مدينة المعاجز ، هاشم البحراني : ١٩٤-٢٢٠ . الارشاد ، الشيخ المفيد : ١ / ٣٤٥ .

(٢) سورة الانفال : ٧٥ .

(٣) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود: ٧٠/٢-٧١. بحار الانوار، المجلسي : ١٧٢/٤١ ح٩.

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وجعل رأسه في حجري حتّى غابت الشمس، فانتبه فقال: يا علي صلّيت العصر؟ قلت: اللهم لا، فقال: اللهم اردها عليه، فإنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك" (١)

وقد نبّه السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) على توارده هذه المسألة التكوينية بين النبوة والإمامة بقوله: "وأما مسألة رد الشمس فلا إشكال فيه بعد ثبوت إعجاز الأنبياء، وقد ورد ردها لغيره عليه السلام كيوشع بن نون وعلي بن أبي طالب عليه السلام في النقل المعتبر" (٢)

وذكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في ذلك قوله: "ومن قال إن الهاء في (ردوها) ترجع للشمس فذلك من معجزاته، وقد اتفق مثل ذلك لنبينا ﷺ، خرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين: أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتّى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: أصليت يا علي، قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها بعدما غربت طلعت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر، قال الطحاوي: وهذان الحديثان ثابتان، ورواهما ثقات" (٣)

وذكر الملا حويش^(٤) (ت ١٣٩٨ هـ) في تفسيره ان الشمس ردت لعلي عليه السلام بعد أن ذكر مسألة رد الشمس للنبي سليمان عليه السلام: "وردت لعلي كرم الله وجهه حينما نام المصطفى في حجره كما روى عن أسماء رضي الله عنها وروى الطبراني في معجمه بإسناد حسن، كما حكاه شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب، ورواه ابن مردويه عن أبي هريرة" (٥)، وقد رد على ابن الجوزي وابن تيمية بقوله أنهم

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ٥٥٨. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري: ٨٣/١١.

(٢) تفسير الميزان: ٢٠٦/١٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/١٩٧.

(٤) الشيخ عبد القادر ملا حويش واعظ ومؤلف وفقه وقاضي ومفسر للقرآن من أعلام علماء العراق في القرن العشرين.

(٥) بيان المعاني: ٣١٢/١.

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

قد بالغوا حين عدّوه من الموضوع ، مستدلاً على ان إنكار ذلك قد يؤدي الى إنكار انشقاق القمر وما وقع في الاسراء والمعراج (١)

الآية الثانية : في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢)

ومن الولاية التكوينية التي ذكرها القران الكريم هي معاجز النبي عيسى عليه السلام ، منها إبراء الأعمى وشفاء من به مرض البرص الذي عجز الأطباء عن شفاؤه ، وإحياء الموتى ، والإخبار بما يدخرون ، وثبت ذلك من المسالم الذي لا اشكال فيه (٣)

وقد توارد هذا الأمر من الولاية التكوينية في الإمامة ، فقد ورد عن الأئمة عليهم السلام أنهم يبرؤون من به علة بإذن الله تعالى، فقد ورد في كتب التفسير عن أبي بصير، قال: "دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: ورسول الله وارث الأنبياء على ما علموا وعملوا؟ قال لي: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى، وتبرؤوا الأكمه والأبرص؟ قال: نعم، بإذن الله. ثم قال: ادن مني يا أبا محمد، فدنوت فمسح يده على عيني ووجهي فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار، قال: فقال: تحب أن تكون على هذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصة؟ قلت: أعود كما كنت، قال: فمسح يده على عيني فعدت كما كنت" (٤) ورواها الشبلنجي الشافعي في نور الابصار (٥)، فسؤال أبي بصير كان بصيغة الجمع أي أنه قصد بسؤاله عن جميع الأئمة عليهم السلام .

(١) ينظر : بيان المعاني ، عبد القادر بن ملا حويش : ١ / ٣١٣ .

(٢) سورة آل عمران : ٤٩ .

(٣) ينظر : تفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٣ / ٤٤٩ .

(٤) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ١ / ٣٤٢ . وتفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب ، محمد مشهدي : ٣ / ١٠٧ . والتفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة : ٧ / ٤٦٢ . نقلاً عن

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وعن إبراهيم بن الأسود التيمي قال: "رأيت علي بن الحسين عليه السلام وقد أوتي بطفل مكفوف، فمسح عينيه فاستوى بصره، وجاءوا إليه بأبكم فكلمه فأجابه، وجاءوا إليه بمقعد فمسح عليه فسعى ومشى" (١)، فأبراء الأبكم أيضاً من معاجز النبي عيسى عليه السلام بنص الآية وهي من معاجز الامام الحجة بن الحسن عليه السلام، فقد ورد أنه يسمح بيديه الشريفة فيكمل من به نقص من المؤمنين من مرض أو عاهة (٢) وفي مسألة إحياء الموتى فقد توارد ذلك للإمامة في رواية المفضل بن عمر قال: "كنت أمشي مع أبي عبد الله عليه السلام بمكة أو بمنى إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميتة وهي مع صبية لها يبكون فقال: ما شأنك، قالت: كنت وصبياني نعيش من لبن هذه البقرة وقد ماتت فتحيرت في أمري قال: أفتحبين أن يحييها الله لك، فقالت: أو تسخر مني مع مصيبتني قال: كلا ما أردت ذلك ثم دعا بدعاء وركضها برجله وصاح بها فقامت البقرة مسرعة سوية فقالت عيسى ابن مريم ورب الكعبة فدخل الصادق عليه السلام بين جمع من الناس فلم تعرفه المرأة" (٣)، فحين أحيا الإمام عليه السلام البقرة ذكرت المرأة عيسى بن مريم عليه السلام وهذا يعني حصول التوارد بينهما في ذهنها فنطقت به .

وتواردت مسألة الإحياء في الكثير من الروايات الأخرى كإحياء أمير المؤمنين عليه السلام لعمر بن دينار الهمداني (٤)، وقد جرت لباقي الأئمة المعصومين عليهم السلام

الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ٤٧٠. ومراة العقول، العلامة المجلسي: ٦/ ٢٠. وبصائر الدرجات، محمد الصفار: ٢٨٩ ح ١. ورجال الكشي، الشيخ الطوسي: ١/ ١٧٤ ح ٢٩٨.

٥) ينظر: نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار عليه السلام: ٢٩١. (١) نواذر المعجزات، محمد بن جرير الطبري الإمامي: ١١٥ ح ٥. ومدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٤/ ٢٥٩.

٢) ينظر: الغيبة، محمد النعماني: ١/ ٣٣ ح ٢. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٢/ ٣١٦ ح ١٢. ومكيال المكارم، ميرزا محمد الأصفهاني: ١/ ٧٣.

٣) مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٥/ ٣٩٤. ومراة العقول، العلامة المجلسي: ٦/ ٦٦. والدعوات، قطب الدين الراوندي: ٧٠.

٤) ينظر: مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ١/ ٢٤٣.

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

منه ما ورد عن إمام الحسن المجتبي عليه السلام ^(١) ، والامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ^(٢) ، والامام جعفر الصادق عليه السلام ^(٣) ، وعند الظهور المقدس للإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) سيكون إحياء الاموات بيديه الشريفتين من الامور المعروفة الملموسة ^(٤)

وأما الإخبار بالمأكل وبما يدخرون فقد تواردت في الإمامة ، منها ما حصل للإمام الحجة بن الحسن عليه السلام عندما جاء وفد أبيه وقد أخبرهم بما عندهم من الأموال ومصدرها وقدرها وممن هي وكم فيها من الدراهم المغشوشة وكم فيها من الصحيح ^(٥)

الآية الثالثة: قوله تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ^(٦)

ومن الولاية التكوينية التي ذكرها القرآن الكريم للنبي سليمان عليه السلام ان الله تعالى سَخَّرَ له الرِّيحَ فكانت تنقله إلى أيِّ أطراف الدنيا شاء، قال الله تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾ ^(٧) قال القمي (ت ٣٢٩هـ) في تفسيره : "كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر" ^(٨)

(١) ينظر: نواذر المعجزات ، محمد الطبري الإمامي: ١٠٦ ح ١٦. والثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي : ٣٠٥ .

(٢) ينظر: نواذر المعجزات، محمد الطبري الإمامي: ١٦٨ / ٦. وفرج المهموم، ابن طاووس: ٢٣١.

(٣) ينظر: مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : ٣ / ٣٦٥ . وإثبات الهداة ، الحر العاملي : ٤ / ٢٠٧ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤٧ / ١٣٧ ح ١٨٨ .

(٤) فقد روى الشيخ المفيد أنه يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون وسلمان وأبو دجاجة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً" الارشاد ، الشيخ المفيد : ٣٦٥ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٢ / ٣٤٦ .

(٥) ينظر: حياة الامام المهدي عليه السلام ، باقر القرشي : ١ / ١٠٨-١١٠ .

(٦) سورة الأنبياء : ٨١ .

(٧) سورة سبأ : ١٢ .

(٨) تفسير القمي : ٢ / ١٩٩ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقد توارد هذا الأمر من الولاية التكوينية في الإمامة ، فكانت الريح مسخرات بأمرهم بإذن الله ، وما يدل على ذلك ما روي عن سلمان (رضي الله عنه) في حديث طويل ، أن الحسن عليه السلام قال لأمير المؤمنين عليه السلام : يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام سأل ربه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ذلك، فهل ملكت مما ملك سليمان بن داود؟ فقال عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن سليمان بن داود سأل الله عز وجل الملك فأعطاه، وإن أباك ملك ما لم يملكه بعد جدك رسول الله قبله، ولا يملكه أحد بعده ، ... فقال أمير المؤمنين عليه السلام أيتها السحابة اهبطي بإذن الله تعالى، فهبطت وهي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنت خليفة ووصيه، من شك فيك فقد هلك سبيل النجاة، قال: ثم انبسطت السحابة إلى الأرض حتى كأنها بساط موضوع، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اجلسوا على الغمامة، فجلسنا وأخذنا مواضعنا، فأشار إلى السحابة الأخرى فهبطت وهي تقول كمقالة الأولى، وجلس أمير المؤمنين عليها، ثم تكلم بكلام وأشار إليها بالمسير نحو المغرب، وإذا بالريح قد دخلت السحابتين فرفعتهما رفعاً رفيقاً، فتمايلت نحو أمير المؤمنين عليه السلام وإذا به على كرسي والنور يسطع من وجهه يكاد يخطف بالأبصار...^(١) والظاهر إن سؤال الامام الحسن عليه السلام لأبيه عليه السلام من أجل بيان فضله للناس وإلا إن هذا الأمر قد ورد للإمام الحسن عليه السلام في رواية جابر، حيث قال: "رأيت الحسن بن علي عليه السلام وقد علا في الهواء، وغاب في السماء، فأقام بها ثلاثاً ثم نزل بعد الثلاث وعليه السكينة والوقار، فقال: بروح آبائي نلت ما نلت"^(٢).

(١) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٣ / ٦٧٦ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٧ / ٣٤-٣٣ . ومدينة المعاجز ، هاشم البحراني : ١ / ٥٥٠ . ونفس الرحمن في فضائل سلمان ، حسين نوري الطبرسي : ١ / ٤٧١ .

(٢) نواذر المعجزات ، محمد الطبري الإمامي : ١٠٠ . ومدينة المعاجز، البحراني: ٣ / ٢٣٢ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وسيحصل ذلك للإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) فإنه يركب السحاب الصعب وهو ما كان فيه رعد وصاعقة وبرق ويرقى في أسباب السموات السبع والأرضين السبع وروحي وأرواح العالمين له الفداء (١)

الآية الرابعة: قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)

من الولاية التكوينية التي ذكرها القرآن الكريم عن النبي إبراهيم عليه السلام أنه سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى ، ففعل ما أمره الله تعالى به ، وهو أن يقطع ويخلط أربعة من الطير ويجعل على كل جبل جزء منهن ، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حبا وماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبتة ورأسه فخلّى إبراهيم عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب (٣)

وقد توارد هذا الأمر في الإمامة ، فقد روت تفاسير عدة هذا التوارد منه ما روي عن يونس بن ظبيان قال : "كنت عند الصادق عليه السلام مع جماعة فقلت قول الله تعالى لإبراهيم : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ ﴾ وكانت أربعة من أجناس مختلفة أو من جنس واحد، فقال عليه السلام: أتحبون أن أريكم مثله قلنا: بلى، قال عليه السلام: يا طاووس فإذا طاووس طار إلى حضرته، ثم قال: يا غراب فإذا غراب بين يديه، ثم قال: يا بازي فإذا بازي بين يديه، ثم قال: يا حمامة فإذا حمامة بين يديه ثم أمر بذبحها كلها و تقطيعها و نتف ريشها و أن يخلط ذلك كله ببعضه ببعض، ثم أخذ برأس الطاوس فقال: يا طاووس فرأينا لحمه و عظامه و ريشه يتميز من غيره حتى التزق ذلك كله

(١) ينظر: تفسير البرهان، هاشم البحراني : ٣ / ٦٦٢. وتفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي

: ٥ / ٣٦٦ . والاختصاص ، الشيخ المفيد : ١٩٩. وبحار الأنوار، المجلسي : ٥٢ / ٣٢١.

(٢) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٣) ينظر: الصافي في تفسير كلام الله الوافي ، الفيض الكاشاني : ٢٦٠ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

برأسه و قام الطاوس بين يديه حياً ثم صاح بالغرباب كذلك و بالبازي و الحمامة مثل ذلك فقامت كلها أحياء بين يديه " (١)

وقد جرت قبلها لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام في رواية سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: كنت يوماً جالساً عند مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بأرض قفراء ... فرفع رأسه إلى الهواء وقال: يا طاووس اهبط، ثم قال: يا صقر اهبط، فهبط ثم قال: يا باز اهبط، فهبط، ثم قال: يا غراب اهبط، فهبط ثم قال: يا سلمان ادبحهم وانتف ريشهم وقطعهم إرباً إرباً واخبط لحومهم، ففعلت كما أمرني مولاي وتحيرت في أمره، ثم التفت إلي وقال: ما تقول؟ فقلت: يا مولاي أطيّار تطير في الهواء لم أعرف لهم ذنباً أمرتني بذبحها قال: يا سلمان أتريد أن أحييها الساعة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فنظر إليها شزراً^(٢) وقال: طيري بقدره الله، فطارت الطيور جميعاً بإذن الله تعالى، قال: فتعجبت من ذلك، وقلت: يا مولاي هذا أمر عظيم. قال: يا سلمان لا تعجب من أمر الله فإنه قادر على ما يشاء، فعّال لما يريد، يا سلمان إياك أن تحول بوهمك شيئاً، أنا عبد الله وخليفته، أمري أمره، ونهْيي نهْيهِ، وقدرتي قدرته، وقوتي قوته.. " (٣)

الآية الخامسة : قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاِنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٤)

(١) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٢٨١ / ١ . وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد المشهدي: ٤٣٥ / ٢ . والفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، محمد صادقي : ٤ / ٢٥٧ . والخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي : ٢٩٧ / ١ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١١١ / ٤٧ .

(٢) هو النظر بمؤخر العين غضباً أو استهانةً أو اعراضاً .

(٣) مدينة المعاجز ، هاشم البحراني : ٢٨٥ / ١ . ونفس الرحمن في فضائل سلمان ، النوري الطبرسي : ٤٤٨ .

(٤) سورة الشعراء : ٦٣ .

الفصل الثاني : الكبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

من الولاية التكوينية التي ذكرها القرآن الكريم للنبي موسى عليه السلام هي فلق البحر، وذلك حين خرج ببني اسرائيل واتبعهم فرعون والبحر أمامهم ، أوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر كالجبل العظيم (١)

وقد توارد هذا الأمر من الولاية التكوينية في الإمامة ، فقد استفاض بين الخاص والعام أن أهل الكوفة فزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام من الغرق لما زادت الفرات، "فأسبغ الوضوء وصلى منفرداً ثم دعا الله، ثم تقدم إلى الفرات متوكئاً على قضيب بيده حتى ضرب به صفحة الماء وقال: انقص بإذن الله ومشيتته، فغاض الماء حتى بدت الحيتان من قعر البحر، فنطق كثير منها بالسلام عليه بإمرة المؤمنين..." (٢)

"وروي ان بعض أصحابه أتاه فقال يا أمير المؤمنين عليه السلام : قد انشق الفرات من الزيادة فقام حتى توسط الجسر ثم ضربه بعصاه ضربة فنقص ذراعين ثم ضربه ضربة أخرى فنقص ذراعين" (٣)

(١) ينظر: تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ١٢٢ / ٢ . وتفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٣٣٣ / ٧ .

(٢) مدينة المعاجز ، هاشم البحراني : ١٠٧ / ٢ . والارشاد ، الشيخ المفيد : ٣٤٧ / ١ . وإعلام الوري بأعلام الهدى ، الشيخ الطبرسي : ٣٥٢ / ١ . وإثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ، الحر العاملي : ٤٨٦ / ٣ .

(٣) إثبات الوصية ، علي المسعودي : ١٥١ / ١ . والروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، شاذان بن جبرئيل القمي : ٤٨ .

المبحث الثاني : الولاية التشريعية

توطئة : مفهوم الولاية التشريعية

الشريعة في اللغة : هي في الأصل تعني الطريق الواضح، حيث يقال (الشريعة) للطريق المؤدي إلى النهر، ومورد الماء الجاري الذي يكون ظاهراً ومعيناً، ثم استخدمت هذه الكلمة بخصوص الأديان الإلهية و الشرائع السماوية، لأن طريق السعادة الواضح يتمثل فيها، وهي طريق الوصول إلى الإيمان و التقوى و الصلح و العدالة (١)

يقول ابن منظور (ت ٧١١ هـ) : "والشريعة والشرعة: ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر" (٢)

وقد ورد لفظ الشريعة ومشتقاتها في القرآن أربع مرات (٣) ، منه قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (٤)

وجاء في تفسير الآية : "ان المراد بما شرّعه - سبحانه - على السنة هؤلاء الرسل: أصول الأديان التي لا يختلف فيها دين عن دين، أو شريعة عن شريعة، كإخلاص العبادة لله - تعالى - والإيمان بكتبه و رسله وملائكته واليوم الآخر، و التحلي بمكارم الأخلاق كالصدق والعفاف، أما ما يتعلق بفروع الشرائع، كتحليل بعض الطيبات لقوم على سبيل التيسير لهم، و تحريمها على قوم على سبيل العقوبة

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣ / ٢٦٢ . ولسان العرب ، ابن منظور : ٨ / ١٧٥

(٢) لسان العرب : ٨ / ١٧٦ .

(٣) سورة الجاثية : ١٨ . وسورة الشورى : ١٣ و ٢١ . وسورة المائدة : ٤٨ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد : ٣٨٢ .

(٤) سورة الشورى : ١٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

لهم فهذا لا يدخل في الأصول الثابتة في جميع الأديان، وإنما يختلف باختلاف الظروف و الأحوال" (١)

فإن الله سبحانه شرّع دينه الذي ارتضاه، وهو الدين الذي وصّى به نوحاً عليه السلام، وهو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وحيّاً من ربه ، وهو ما وصّى به الله سبحانه الأنبياء إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ، وهم أصحاب الشرائع العظيمة (٢) قال تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (٣)

فالله سبحانه وتعالى هو الذي جعل الأحكام ووضع القوانين والتشريعات ، فله سبحانه المالكية والقدرة على التصرف في شؤون الكون والتشريع وسن القوانين والأحكام وبعث الأديان وإرسال الرسل وتنصيب الحجج والسفراء الإلهيين، وكل ما يرتبط بتهذيب الإنسان وتعليمه وهدايته ، وحصر التشريع بالله تعالى لا ينافي صدوره عن يمثله في الأداء، فإن جميع الآثار من الخلق والرزق وغيرهما منه سبحانه إلا أنه جرت عادته سبحانه بأن يكون له وسائط لإفاضة التكوينية ، كما أن له وسائط لإفاضة التشريعية مع عدم قابلية الداني لتلقي الفيض إلا بالوسائط ، فهم كالمرآة المحاذية لشمس وجود الحق قد تجلّى لها ربها فأشرقت وطالعها فتلاّأت ، فولاية من جعله الله هادياً ومبلغاً لخلقه تعكس عن إرادة الله التشريعية والتكوينية في كل حكم صدر منهم على وجه التأسيس أو التأكيد (٤)

إذن الولاية التشريعية هي سلطة منحها الله عز وجل لخواص عباده (الأنبياء والأئمة) لوضع الأحكام الشرعية وبيانها ، كتحليل الحلال وتحريم الحرام ، وهي تفويض ضمن الأوامر والنواهي الإلهية .

وبما ثبت في المبحث السابق من الولاية التكوينية للنبوة والإمامة ، هل يتوارد الأمر كذلك في الولاية التشريعية في التصرف في الدين وأحكامه وحلاله وحرامه

(١) التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ١٣ / ٢٠ .

(٢) ينظر : التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم خطيب : ١٣ / ٢٧ .

(٣) سورة يوسف : ٤١ .

(٤) ينظر: نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي: ١٢١/٩. وتفسير الصراط المستقيم، البروجردي: ٣٧٤/٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ما يروونه من المصلحة فيسنون القواعد والأحكام ويتصرفون بها بما شاءوا ، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله ؟ وهل يمكن أن يكون هناك انفكاك بين التشريع الإلهي والتشريع التكويني أم هناك تلازم بينهما ؟

المطلب الاول: توارد الولاية التشريعية بين النبوة والإمامة

أولاً: إنَّ ما يدل على الولاية التشريعية للأنبياء عليهم السلام :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (١)

جاء في تفسير الآية : "يشهد السياق على أن المراد بالقضاء هو القضاء التشريعي دون التكويني ، فقضاء الله تعالى حكمه التشريعي في شيء مما يرجع إلى أعمال العباد أو تصرفه في شأن من شئونهم بواسطة رسول من رسله، و قضاء رسوله صلى الله عليه وآله هو الثاني من القسمين و هو التصرف في شأن من شئون الناس بالولاية التي جعلها الله تعالى له بمثل قوله: ﴿الْنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (٢)، فقضاؤه صلى الله عليه وآله قضاء منه بولايته و قضاء من الله سبحانه لأنه الجاعل لولايته المنفذ أمره، و يشهد سياق قوله: ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ حيث جعل الأمر الواحد متعلقاً بقضاء الله و رسوله معاً " (٣)

وأما من السنة المطهرة فقد ورد هذا المعنى مستفيضاً، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : "إن الله أدب نبيه، حتى إذا أقامه على ما أراد؛ قال له: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤) فلما فعل ذلك له رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ زكاه الله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٥) فلما زكاه؛ فوض إليه دينه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦ .

(٣) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٦ / ٣٢١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(٥) سورة القلم : ٤ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (١) فحرّم الله الخمر، وحرّم رسول الله ﷺ كل مسكر، فأجاز الله ذلك كله، وإن الله أنزل الصلاة، وإن رسول الله ﷺ وقّت أوقاتها، فأجاز الله ذلك له (٢) وفي حديث آخر : "وأن الله عزّ وجلّ فرض الفرائض و لم يقسم للجد شيئاً وأن رسول الله ﷺ أطعمه السدس فأجاز الله جل ذكره ذلك، وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣) " (٤)

ولم نجد في الروايات ما يشير إلى تقييد الولاية بقيد، فعبارة: "فوض إليه دينه.." مطلق كما هو ظاهر.

الآية الثانية : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥)

إن الآية الكريمة تبين اختصاص الفيء به ﷺ ، وأن اختياره بيده يفعل فيه ما يشاء ، ويصرفه فيما يشاء من المصارف ، والآية مع الغض عن السياق تشمل كل ما آتاه النبي ﷺ من حكم فأمر به أو نهى عنه ، فعن زرارة عن الامامين الصادقين عليهما السلام : "إن الله عز وجل فوض الى نبيه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ، ثم تلا هذه الآية.." (٦)

"والمراد من تفويض أمر خلقه كما يظهر من الروايات إمضاؤه تعالى ما شرّعه النبي ﷺ لهم، وافتراض طاعته في ذلك، وولايته أمر الناس.." (٧)

وفي تفسير الكشاف : " والأجود أن يكون عاماً في كل ما أتى رسول الله ﷺ ونهى عنه، وأمر الفيء داخل في عمومه. وعن ابن مسعود: أنه ﷺ لقي رجلاً محرماً

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام ، محمد باقر الميانجي : ١١٤-١١٥ . نقلاً عن بحار

الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨ / ١٧ .

(٣) سورة ص : ٣٩ .

(٤) بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام ، محمد باقر الميانجي : ١١٦ . نقلاً عن بحار الأنوار ،

العلامة المجلسي : ٥ / ١٧ .

(٥) سورة الحشر : ٧ .

(٦) الكافي ، الكليني : ٢٦٦ / ١ .

(٧) الميزان، السيد الطباطبائي: ٢١٠ / ١٩ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وعليه ثيابه، فقال له انزع عنك هذا، فقال الرجل: اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله. قال: نعم فقرأها عليه(١) " (٢)

ثانياً: ما يدل على الولاية التشريعية للأئمة عليهم السلام :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٣)

جاء في تفسير الآية : "إنَّ المراد من كلمة (ولي) في هذه الآية، هو ولاية الأمر والإشراف وحق التصرف والزعامة المادية والمعنوية، خاصة وقد جاءت مقترنة مع ولاية النبي صلى الله عليه وآله وولاية الله حيث جاءت الولايات الثلاث في جملة واحدة وبهذه الصورة " (٤) فالآية الكريمة بمنزلة المحور للآيات التي تتناول موضوع الولاية ، إذ حصرت الولاية بكلمة (إنما) الثلاثة المذكورون في هذه الآية الشريفة لا غير، وهؤلاء الثلاثة هم: الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وآله وفي فرد خاص من المؤمنين وهم الذين آمنوا و أقاموا الصلاة و أدوا الزكاة و هم في حالة الركوع في الصلاة.

وبالرجوع إلى أسباب نزول الآية في ما روته العامة والخاصة في كتبهم ، أنها نزلت في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فهو المصداق لقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ حين نزلت فيه بعد أن تصدَّق على الفقير الذي سأله الصدقة وهو في حالة الرُّكُوع، فأعطاه خاتمه ، وفي ذلك قال المحدثين والمفسرين من الفريقين ما يؤكد على ذلك (٥).

وهذا المضمون للروايات الشريفة ورد في أكثر من أربعين رواية من الروايات التي وردت في شأن نزول الآية محل البحث، أقتصر على بعض ما أورده الفخر الرازي في تفسيره:

(١) تفسير الكشاف ، الزمخشري: ٥٠٣ / ٤ .

(٢) سورة الحشر : ٧ .

(٣) سورة المائدة : ٥٥ .

(٤) تفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٤٧ / ٤ .

(٥) ينظر : آيات الولاية في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي : ٥٩ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

"رَوَى عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ" (١)، "وروي أن عبد الله بن سلام قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا رَأَيْتُ عَلِيًّا تَصَدَّقُ بِخَاتَمِهِ عَلَى مُحْتَاجٍ وَهُوَ رَاكِعٌ فَفَحَنُ نَتَوَلَّاهُ" (٢)

والرواية الأهم من بين الروايات في هذا الباب ما روي عن أبي ذر (رضي الله عنه) أنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّم يَوْمًا صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَسَأَلُ سَائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ، فَرَفَعَ السَّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَنِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّم فَمَا أَعْطَانِي أَحَدٌ شَيْئًا، وَعَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ رَاكِعًا، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخَنْصَرِهِ الْيُمْنَى وَكَانَ فِيهَا خَاتَمٌ، فَأَقْبَلَ السَّائِلُ حَتَّى أَخَذَ الْخَاتَمَ بِمَرَأَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّم، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي إِلَى قَوْلِهِ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» (٣) فَأَنْزَلْتُ قُرْآنًا نَاطِقًا «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكَ سُلْطَانًا» (٤) اللَّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي عَلِيًّا اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَوَ اللَّهِ مَا أَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى آخِرِهَا" (٥)

وما ورد من التفسير من طرق الخاصة الكثير، نقتصر على ما جاء في تفسير نور الثقلين " عن أبي عبد الله عليه السلام : فِي قول الله عز وجل: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» قَالَ: إِنَّمَا يَعْنِي أُولَى بِكُمْ أَي أَحَقُّ بِكُمْ وَبِأُمُورِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِي عَلِيًّا وَأَوْلَادَهُ الْأُئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (٦)

(١) تفسير الكبير: ١٢ / ٣٨٣ .

(٢) م.ن .

(٣) سورة طه: ٢٥ - ٣٢ .

(٤) سورة القصص : ٣٥ .

(٥) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ٣ / ٢١٠ . وروي مثله في التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي : ١٢ / ٣٨٣ .

(٦) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ١ / ٦٤٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

الآية الثانية : قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١)

في تفسير هذه الآية روى الجمهور بطرق مستفيضة أنّ الآية القرآنية نزلت في أهل البيت عليهم السلام ، وأن (أبنائنا) إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام، و(نساءنا) إشارة إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، و(أنفسنا) إشارة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث جعله الله تعالى نفس محمد صلى الله عليه وآله (٢)

ذكر الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في تفسيره : "و(أَنْفُسَنَا) يعني علياً عليه السلام خاصة ولا يجوز أن يكون المعني به النبي صلى الله عليه وآله لأنه هو الداعي ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه و إنما يصح أن يدعو غيره، وإذا كان قوله (وَأَنْفُسَنَا) لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي عليه السلام لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين علي و زوجته وولديه في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة و البلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه ومما يعضده من الروايات" (٣)

ومما يؤيد أن الإمام علي عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في آية المباهلة هي الأحاديث الكثيرة من كتب العامة ، نختار منها قول سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله :
١ - "علي فيكم مثل هارون من موسى" (٤)

(١) سورة آل عمران : ٦١ .

(٢) ينظر : تفسير البغوي ، حسين بن مسعود : ١ / ٤٤٩ . وبحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي: ١ / ٢٢٠ . والتبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ٢ / ٤٨٥ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٢ / ٧٦٣ . وتفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٢ / ٥٢٧ .
(٣) مجمع البيان : ٢ / ٧٦٢ .

(٤) ينظر : صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج : ٧ / ١٢١ . وسنن الترمذي ، محمد بن عيسى: ٥ / ٣٠٤ ح ٣٨١٣ . والسنن الكبرى، أحمد النسائي: ٥ / ١٠٧ ح ٨٣٩٨ . روح المعاني ، محمود الألوسي: ٧ / ٢٢٢ . ومناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، ابن مردويه : ١١٣ ح ١٣١ . والتدبر والبيان في تفسير القرآن ، محمد مغراوي: ١١ / ٤٩٢ . وفضائل الخمسة في الصحاح الستة، الفيروز آبادي: ١ / ٣٥٦ .

٢ - "علي كنفسى" (١)

٣ - "علي منى و أنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي" (٢)

٤ - وقوله ﷺ لعلّي ﷺ: "أنت منى وأنا منك" (٣)

٥ - "ألا من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" (٤)

فيظهر مما تقدم توارد الولاية بين النبوة والإمامة بنص الآية والروايات ،
وبتقريب أن النبي ﷺ له ولاية تشريعية بلا ريب ، وأن ولاية الأمام ﷺ هي نفس
ولاية النبي ﷺ ، فيكون هناك أيضاً توارد في الولاية التشريعية بين النبي والإمام
بالضرورة (٥) .

ويمكننا أن نلخص الحثية التي تقوم عليها ولايتهم التشريعية بأن تكون ولايتهم
التشريعية بمعنى ولاية الحفظ والرعاية للأحكام الشرعية وتبليغها إلى المكلفين ،
كما إن الله تعالى ترك لهم مساحة لسن الأحكام الشرعية الموافقة لإرادته، فكأن
المشرع هو الله تعالى، وليسوا إلا كاشفين عن رضاه (٦).

(١) السنن الكبرى، أحمد النسائي : ١٢٧ / ٥ .

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ من تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : ٣٧٨ ح ٨٨٢ .
(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل : ١٦٨ / ٣ حديث كتاب الصلح و ٢٠٧ / ٤ حديث مناقب
المهاجرين. وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، أحمد النسائي : ١٥٢ .
والمستدرک على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري : ١٢٠ / ٣ .

(٤) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، أحمد النسائي : ٩٤ باب قول النبي ﷺ
:من كنت وليه . وصحيح سنن ابن ماجه ، محمد القزويني : ١ / ٤٣ ح ١١٦ . والإمامة
والسياسة ، ابن قتيبة الدينوري : ١ / ١٢٩ . والبداية والنهاية ، ابن كثير : ٥ / ٢٢٩ . وروح
المعاني ، محمود الألوسي : ٣ / ٣٦٠ . والكشف والبيان ، أحمد الثعلبي : ١٠ / ٣٥ . ومناقب
ابن أبي طالب ، ابن مردويه : ١٧٥ . والتفسير الكبير ، فخر الدين الرازي : ١٢ / ٤٩ . والكافي ،
الشيخ الكليني : ١ / ٢٩٤ . والغدير ، الشيخ الأميني : ١ / ٣٠ .

(٥) ومما يدل على أن ولاية الأئمة هي ولاية الأنبياء ما ورد عن جابر عن أبي جعفر ﷺ في
قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ قال: من تولى الأوصياء من آل
محمد واتبع آثارهم فذاك يزيده ولاية من مضى من النبيين والمؤمنين الأولين حتى تصل
ولايتهم الى آدم ﷺ .. "الكافي ، الشيخ الكليني : ٨ / ٣٧٩ ح ٥٧٤ . سورة الشورى : ٢٣ .

(٦) ينظر : الفوائد البهية ، محمد جميل العاملي : ١٤٣ / ٢ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ويؤيده ما ورد في الأحاديث الشريفة قولهم عليهم السلام : "رضا الله رضانا أهل البيت" (١) و "إن الله يرضى لرضا فاطمة ويسخط لسخطها" (٢) و "علي مع الحق والحق مع علي" (٣) .. إلى آخر ما جاء من دلالات قطعية تثبت لهم أبعاد التشريع الإلهي الجاري على أيديهم الطاهرة في القيام بالتشريع والدعوة وتربية الأمة والحكم فيهم والقضاء في أمرهم .

يتضح مما تقدم أن الله تعالى قد فوّض أمر التصرف في الدين إلى نبيه ﷺ ، وأن نبيه ﷺ قد فوّض ذلك إلى أمير المؤمنين ﷺ ومنه إلى سائر الأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وذلك أن الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام ، الملهمين من قبل الله تعالى، يملكون وحدهم القدرة على بيان الحكم الشرعي الواقعي الذي يريده الله تعالى، ولا يمكن لباقي الناس الوصول إلى معرفة أحكام الله تعالى إلا من خلالهم، فالولاية الشرعية من مقومات النبوة والامامة .

المطلب الثاني : توارد التقية في النبوة والإمامة

ومن الجدير بالذكر أن هناك موارد (٤) يكون وظيفة المشرّع فيها التقية ، ومعنى التقية في اللغة : "هو الخشية والخوف ، وإخفاء الحق ومصانعة الناس في غير

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤٤ / ٣٦٧ .

(٢) المستدرک على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري : ٣ / ١٥٣ . وكنز العمال ، المتقي الهندي : ١٣ / ٦٧٤ .

(٣) فرائد السمطين ، إبراهيم الجويني : ١ / ١٧٧ ح ١٤٠ .

(٤) إن هناك موارد لا تجري فيها التقية لورود الدليل عليها منها: لو أكره على قتل نفس محترمة لتنافي الحكمة من تشريعها التي هي حفظ النفس من الهلاك لنفسه أو لغيره . ينظر : وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ١١ / ٤٨٣ ح ١ . ومنها إذا أكره على التبري من أمير المؤمنين ﷺ . ينظر : الفوائد البهية في شرح عقائد الامامية ، محمد جميل العاملي : ٢ / ٤٢٠ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

دولتهم تحرزاً من التلف" (١) والتقاء يريد "أنهم يتقون بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق وباطنهم بخلاف ذلك" (٢)

وأما في الاصطلاح: فهي عند الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) عبارة عن: "كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا" (٣) فهي إظهار خلاف الواقع في الأمور الدينية بقول أو فعل خوفاً على النفس أو المال أو العرض.

وعرفها الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨٢ هـ) : "هي التحفظ عن ضرر الغير بموافقة في قول أو فعل مخالف للحق" (٤) وبهذا النحو عرفها آخرون (٥) ولا يعني ذلك النفاق ، لأن النفاق إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهو من المحذور، والتقية هي إبطان الإيمان وإظهار الكفر صوناً للنفس أو العرض أو المال عن الوقوع في الخطر والتهلكة وهذا ما نصت جملة من آيات الكتاب الكريم على مشروعيته.

منه قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٦)

إن هذه الآية هي الأصل في مشروعية التقية مضافاً الى السنة المستفيضة و العقول السليمة ، فقد نهى الله سبحانه المؤمنين أن يتخذوا الكافرين إلا في حالة واحدة هي حال التقية حيث استثنى من هذه الولاية التقية ، هي صورة الولاية في الظاهر دون حقيقتها .

(١) المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين: ٢ / ١٠٥٢ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور: ١٥ / ٤٠٤ .

(٣) تصحيح اعتقادات الإمامية : ١٣٧ .

(٤) رسالة في التقية : ٣٢٠ .

(٥) ينظر: روح المعاني ، محمود الألوسي : ٣ / ١٢١ . وتفسير المراغي، أحمد بن مصطفى :

٣ / ١٣٧ . وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني : ١٢ / ١٣٦ .

(٦) سورة آل عمران : ٢٩ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ورد في التفسير: " في الآية دلالة على أن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال أصحابنا إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح " (١) فيظهر أن هناك إتفاقاً عند الإمامية على جوازها.

أما علماء العامة أفتوا بجواز التقية بل وجوبها على المسلم في حال تعرضت النفس للخطر (٢) ، فقال الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في تفسير الآية : "التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال ويحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله : حرمة مال المسلم كحرمة دمه وقوله : من قتل دون ماله فهو شهيد" (٣) فهي جائزة عنده في صون المال والأنفس .

وقال أحمد المراغي (ت ١٣٧١ هـ) تعقيباً على الآية : "ويدخل في التقية مداراة الكفرة والظلمة والفسقة، وإلانة الكلام لهم والتبسم في وجوههم وبذل المال لهم لكف أذاهم وصيانة العرض منهم، ولا يعد هذا من الموالاة المنهي عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبراني قوله : ما وقى المؤمن به عرضه فهو صدقة" (٤) فيظهر جوازها في صون العرض أيضاً.

وفي السنة الشريفة فإن أخبار التقية فيها بلغت حد التواتر، منها ما جاء في صحيحة هشام الكندي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : "إياكم أن تعملوا عملاً يعيروننا به، فإن ولد السوء يعير والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيئاً ، صلوا في عشائهم وعودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم، والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء، قلتُ : وما الخبء؟ قال : التقية " (٥)

(١) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٢ / ٤٣٠ .

(٢) فقد أوردوا أحاديث تدل على ذلك ، ينظر : تفسير روح المعاني ، محمود الألوسي : ٣ / ١٢١ . وتفسير القرآن ، محمد بن المنذر : ١ / ١٦٦ . وجامع البيان ، الطبري : ٥ / ٣١٧ .

(٣) التفسير الكبير : ٨ / ١٤ .

(٤) تفسير المراغي : ٣ / ١٣٦ .

(٥) أصول الكافي ، الشيخ الكليني: ٢ / ٢١٩ ح ١١ . ووسائل الشيعة ، الحر العاملي: ١١ / ٤٧١ . ورد (خباء) بدلاً من (خبأ) .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: " التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية ترس الله في الأرض، لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل" (١)

والعقل السليم يحكم بلزوم التقية عند الاضطرار إليها والنفوس البشرية مجبولة على فعل التقية إذا احست بالخطر والخوف.

وما يدل على ان الأنبياء عليهم السلام قد عملوا بالتقية :

الآية الاولى : ما ورد من قول النبي يوسف عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُّوَدِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِزُّ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ (٢)

جاء في التفسير : "ما ورد في موثقة أبي بصير قال : قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام : "التقية من دين الله، قلت : من دين الله ؟ قال : إي والله من دين الله ولقد قال يوسف عليه السلام : ﴿ أَيَّتُهَا الْعِزُّ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ والله ما كانوا سرقوا شيئاً ، ولقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (٣) والله ما كان سقيماً" (٤) فاستشهد الإمام عليه السلام بالآيتين على أن الانبياء عليهم السلام قد عملوا بالتقية في جواز ما ظاهره الكذب في القول أو الفعل عند خوف الضرر، فإن تقية النبي يوسف عليه السلام إنما هي من جهة ظهوره بمظهر من لا يعرف حال إخوته مع إخفاء الحقيقة عنهم مستخدماً التورية في حبس أخيه لأجل تحقيق بعض المصالح كاحتفاظه بأخيه بنيامين ، وتقية النبي إبراهيم عليه السلام هو لإخفاء هدفه من البقاء في المدينة في اليوم الذي يخرج فيه عبدة الأصنام خارج المدينة لإجراء مراسم العيد ليستغل فرصة مناسبة فينهال على الأصنام ويحطمها.

(١) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي : ٤٣٧ / ٨ ذيل الآية (٢٨) من سورة غافر. وينظر : أصول الكافي ، الشيخ الكليني : ٢ / ٢١٩ ح ١٢ .

(٢) سورة يوسف : ٧٠ .

(٣) سورة الصافات : ٨٩ .

(٤) التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة : ٢٨٤ / ٧ . نقلاً عن أصول الكافي ، الشيخ الكليني : ٢ / ٢١٧ ح ٣ . والمحاسن ، أبي جعفر البرقي : ١ / ٢٥٨ ح ٣٠٣ .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

(١)

"إن آية التبليغ تدل على تريث النبي الأعظم ﷺ بعض التريث لجسامة التبليغ الذي جعله الله تعالى موازياً لثقل الرسالة كلها.. لتمهيد السبيل أمام هذه الحشود الكثيرة لكي تقبل مثل هذا التبليغ الخطير، خصوصاً وأن فيهم الموتورين بسيف صاحب الولاية أمير المؤمنين ﷺ، فضلاً عن المنافقين، والذين في نفوسهم مرض، والأعراب الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، ولا شك في أن وجود تلك الأصناف في مكان واحد مدعاة للخشية على حاضر ذلك التبليغ ومستقبله" (٢)

فقد أخرج الحاكم الحسكاني الحنفي (ت ٤٨١ هـ) في شواهد التنزيل، بسنده عن ابن عباس هذا المعنى قائلاً: " فكره أن يُحَدِّثَ الناس بشيء منها (الولاية) إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية... حتى كان يوم الثامن عشر أنزل الله عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ إلى أن قال.. فخرج رسول الله ﷺ والناس من الغد فقال: يا أيها الناس إن الله أرسلني إليكم برسالة وإني ضقت بها ذرعاً مخافة أن تتهموني وتكذبوني حتى عاتبني ربي فيها بوعيد أنزله عليّ بعد وعيد، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيهما ثم قال: أيها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله.. " (٣)

وقد ذهب ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) الى جواز التقية على النبي ﷺ في مقام التبليغ أيضاً، فقال عن آية تبليغ الولاية ما هذا نصه: "والذي عندي في هذا أن فيه مضمراً يبينه ما بعده، وهو إن رسول الله ﷺ كان يتوقى بعض التوقي،

(١) سورة المائدة : ٦٧ .

(٢) التقية في الفكر الإسلامي، مركز الرسالة : ٤٩ .

(٣) شواهد التنزيل : ١ / ٢٥٧ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ويستخفي ببعض ما يؤمر به على نحو ما كان عليه قبل الهجرة، فلما فتح الله عليه مكة وأقشى الإسلام، أمره أن يبلغ ما أرسل إليه مجاهراً به غير متوق ولا هائب ولا متألف" (١) واستشهد بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعَصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي: يمنعك منهم.

وقد أكد ناصر مكارم الشيرازي على سريان العمل بالتقية على جميع الأنبياء: "إن حياة الأنبياء - وخاصة نبي الإسلام ﷺ - مليئة بموارد التقية هذه، لأننا نعلم أنه ﷺ كان كثيراً ما يخفي أهدافه ومقاصده عندما كان يتوجه إلى ميدان الحرب، وكان يرسم خطته الحربية بخفاء تام، وكان يستخدم أسلوب الاستتار والتخفي - والذي هو نوع من التقية - في جميع المراحل" (٢)

ومن التقية الواردة في أفعال وأقوال النبي ﷺ من طرق العامة منها تقية النبي ﷺ من قريش: "أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة، قالت: "سألت النبي ﷺ، عن الجدر (٣) أمن البيت هو؟ قال: نعم. فقلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فما شأن بابي مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدار في البيت وأن ألصق بابي في الأرض" (٤)

يظهر من هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يتقي قومه في عدم رد الحجر إلى قواعد إبراهيم عليه السلام مخافة أن تنفر قلوبهم، لحدثة عهدهم بالكفر وقربهم من شرك الجاهلية، وهذا ما أكدته محمد السندي (ت ١٣٨١ هـ) في حاشيته: "إن الإسلام لم يتمكن في قلوبهم، فلو هدمت لربما نفروا منه!" (٥)

وما يدل على أن الأئمة عليهم السلام قد عملوا بالتقية :

(١) المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير : ٢٢٢ .

(٢) تفسير الأمل : ١٣ / ٢٧٢ .

(٣) الجدر والحجر بمعنى واحد، والمراد: حجر الكعبة المشرفة.

(٤) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل : ٢ / ١٩٠ كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنائها.

(٥) حاشية العلامة السندي على سنن النسائي : ٥ / ٢١٤ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

قوله تعالى : «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» (١)

جاء في التفسير : " عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله : «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمرت بالتقية، فسار بها عشراً حتى أمر أن يصدع بما أمر، وأمر بها علي عليه السلام، فسار بها حتى أمر أن يصدع بها، ثم أمر الأئمة بعضهم بعضاً فساروا بها، فإذا قام قائمنا سقطت التقية وجرد السيف، ولم يأخذ من الناس ولم يعطهم إلا بالسيف " (٢) فهي تدل على أن كل الأئمة ساروا عليها إتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ويعمل بها الحجة المنتظر عليه السلام حتى ظهوره المبارك .

ومن الأخبار ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: " التقية ديني ودين أهل بيتي " (٣)

فيظهر مما تقدم توارد التقية في النبوة والإمامة بالنص والروايات ، فكان يعملون بالتقية عند تشريعاتهم في الموارد التي تستدعي ذلك لضرورة ما.

ومن صور التقية الواردة في أفعال وأقوال الأئمة عليهم السلام : "ما ورد عن أبي عمرو الكناني قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا عمرو، أرأيتك لو حدثتك بحديث أو أفيتتك بفتيا ثم جئتني بعد ذلك فسألتني عنه فأخبرتكم بخلاف ما كنت أخبرتك، أو أفيتتك بخلاف ذلك، بأيهما كنت تأخذ؟ قلت: بأحدثهما وأدع الآخر، فقال: قد أصبت يا أبا عمرو أبي الله إلا أن يُعبد سرّاً، أما والله لئن فعلتم ذلك إنه خير لي ولكم، وأبى الله عز و جل لنا ولكم في دينه إلا التقية" (٤) وهذا يدل على أن الفتيا عند الإمام

(١) سورة فصلت : ٣٤ .

(٢) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٧٩١ / ٤ . وتأويل الآيات الباهرة ، شرف الدين الحسيني : ٥٣٩ / ٢ ح ١٣ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٢٤ / ٤٧ ح ٢١ . وإثابة الهداة بالنصوص والمعجزات ، محمد الحر العاملي: ١٢٨ / ٧ ح ٦٤٩ .

(٣) مستدرك الوسائل ، الميرزا نوري : ١٢ / ٢٥٢ ، ب ٢٣ (وجوب التقية مع الخوف إلى خروج صاحب الزمان عليه السلام) ح ١ .

(٤) التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة : ٧ / ٢٨٥ نقلاً عن الكافي ، الشيخ الكليني : ٢ / ٢١٨ ح ٧ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

المعصوم عليه السلام تختلف في المواضع التي تستدعي أن يعمل بالتقية ، لذلك نرى أن الأئمة عليهم السلام قد علّموا أتباعهم الطريقة التي يعملوا بها إذا واجهوا اختلاف في الحديث الذي يصدر منهم ، والعبادة سرّاً بأن يعمل بالحكم الأصلي سرّاً ويظهر الخلاف في العلانية فتكون التقية خيراً لكلاهما في العبادة والثواب .

المطلب الثالث: رافد الولاية التشريعية

توطئة : مفهوم العلم اللدني :

بعد اطلاع الباحثة على مجموعة من المصادر التفسيرية والروائية تبين أن هناك رافداً واحداً هو الذي بوساطته يصدر الأنبياء والأوصياء تشريعاتهم بولايتهم التشريعية ، وهذا الرافد هو العلم اللدني ، أي إن الله تعالى هو المصدر الأصلي لهذا التشريع ، تنطوي تحت هذا العلم العلوم المتنوعة .

العلم اللدني في اللغة: "هو ما تعلّمه العبدُ من الله بالوحي من غير واسطة" (١)

أما في الاصطلاح: فقد جاء المعنى موافقاً لمعناه اللغوي ، فقد عرّفه الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) بقوله : "إنّما العالم الذي يأخذ علمه من ربّه أيّ وقت شاء بلا تحفّظ ولا درس، وهذا هو العالم الرّبّانيّ .. بل العلم اللّدنيّ هو الذي ينفّتح في سرّ القلب من غير سبب مألوف من خارج" (٢)

"وهو قسم من العلوم الشريفة يهبه الباري عن البعض عباده وليس فيه صنع للأسباب العادية كالحسّ والفكر حتى يحصل من طريق الإكتساب" (٣) وهذا يعني صيرورته من أفضل العلوم الغير مكتسبة ، وهذا هو العلم الحقيقي .
فقد يتوصل الى العلم بالأشياء بطريقتين (٤) :

١ - أن يتوصل إلى الشيء بواسطة الخواص والعوارض أو الشبح والظل وآثار الأشياء ولوازمها، وهذا يسمى بالعلم الكسبي الحسولي.

(١) المنجد في اللغة ، علي الهنائي: ١ / ٥٢٧ .

(٢) المحجة البيضاء : ٥ / ٤٥ .

(٣) الفوائد البهية ، محمد جميل العاملي: ٢ / ١٢٦ .

(٤) حقيقة علم آل محمد عليهم السلام وجهاته ، علي عاشور : ٥٧

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

٢ - أن يتوصل للشيء من خلال معرفة مبادئه وأسبابه، وهذا ما يسمى بالعلم الحضوري أو اللدني، والذي من آثاره هو الإطلاع على أسرار وغيب العالم، كما حصل مع الخضر وموسى (عليهما السلام) .

وهذا النوع من العلم ورد ذكره في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (١)

ففي خصوص عبارة (مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) انها تبين العلم الخاص للخضر عليه السلام الذي لا صنع فيه للأسباب العادية كالحس والفكر ، فهو علم وهبي من غير اكتساب ولا تعلم يختص به أولياء الله (٢)

أولاً: التوارد في العلم اللدني في النبوة والإمامة

١ - العلم اللدني في النبوة :

من المعلوم ان علم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق، لأن محصولة عن الله تعالى ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله منحة من علم الله ، وإنما كان أكمل و أشرف و أقوى لأنه حصل من التعلم الرباني من غير واسطة، أفاضه الله عليه من علم الغيب ، فلم يشغل قط بالتعلم الإنساني (٣):

الآية الاولى : قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ (٤)

جاء في تفسير الآية ان الذي علّم النبي صلى الله عليه وآله :

١ - هو جبرائيل (٥)

٢ - والرأي الآخر هو الله تعالى (٦)

(١) سورة الكهف : ٦٥ .

(٢) ينظر : تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣٤٢ / ١٣ . و التفسير الكبير ، الفخر الرازي : ٤٨٣ / ٢١ .

(٣) ينظر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم ، حيدر آملی : ٤٧٤ / ١ .

(٤) سورة النجم : ٥-٧ .

(٥) ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي : ١٢٢ / ٦ . بحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي : ٣٥٨ / ٣ . وتفسير محاسن التأويل ، جمال الدين القاسمي : ٥٩ / ٩ .

(٦) ينظر : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ٣٣٤ / ٢ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ويبدو للباحثة أن الله تعالى هو الذي علّم نبيه ﷺ بقريّة :

١- قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾^(١) والتي فيها أن الله هو الموحى لعبده بالمباشرة والمشافهة^(٢).

٢- قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٣) ، وهي أصرح في الدلالة في كون النبي ﷺ قد تعلم القرآن من الله تعالى لا بتوسط أحد^(٤)، ومما لا شك فيه أن علم الله لا يكون إلا لدنياً، إذ الكسبي زائل متغير.

٣- وما يؤيده من الحديث الشريف : " في قاب قوسين علمني الله القرآن وعلمني الله علم الأولين " ^(٥) يتعين بذلك كون المعلم هو الله تعالى، وهذا هو العلم اللدني .

الآية الثانية : قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)

إنّ قصة النبي سليمان عليه السلام نموذج على التعليم الرباني ، فكما أن معلم القرآن هو الله، فمعلم النبي داود والنبي سليمان عليهما السلام هو الله^(٧) " فقد أعطاهما الله من العلمين البياني والعيناني، فالعلم البياني معروف بين العموم، والعلم العيناني مشهور بين الخصوص لم يطلع عليه إلا ولي أو نبي؛ لأنه صدر من الحق لأهله، شهوده من المحبين والعارفين والموحدين والصديقين والأنبياء والمرسلين، ومن ذلك العلم علم اللدني " ^(٨)

(١) سورة النجم : ١٠ .

(٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم : ٣٣٤ / ٢ . وتفسير الميزان، السيد الطباطبائي : ٣٤ / ١٩ . ونور الثقلين، عبد علي الحويزي : ١٥٢ / ٥ .

(٣) سورة الرحمن : ٢-١ .

(٤) ينظر : تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ١٨٨ / ٥ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٢٢٩ / ٥ . مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٢٩٩ / ٩ .

(٥) مشارق أنوار اليقين ، رجب البرسي : ١٠٦ / ١ .

(٦) سورة النمل : ١٥ .

(٧) ينظر : الأساس في التفسير ، سعيد حوي : ٣٩٩٣ / ٧ .

(٨) عرائس البيان في حقائق القرآن ، روزبهان بن أبي نصر : ٦٠ / ٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

"وقال بعض المفسرين: ذلك هو الاسم الأعظم تركب من الحروف الواردة في فواتح السور، وكان مكتوباً على خاتم سليمان بن داود، وبه لان الحديد لداود، وسخر الجن لسليمان، وطوى الأرض للخضر، وبه تعلم العلم للدني، وبه أوتي عرش بلقيس، وبه يحيي عيسى الطير، وكان مكتوباً على عصا موسى عليه السلام وسيف علي (كرم الله وجهه)" (١)

٢- العلم اللدني في الإمامة :

بما أن الأئمة عليهم السلام هم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله ؛ فكان لا بدّ من امتلاكهم لعلم يتناسب مع واجبه العظيم ليطمئن إليهم الناس ويسلمونهم دينهم ، علماً منزهاً من الخطأ و العيب و الزلل ، ولا يكون ذلك الا بالعلم اللدني .
وجاء في القران الكريم آيات كثيرة تبين منزلة أهل البيت عليهم السلام العلمية معضّده بالروايات المفسرة من الفريقين منها :

الآية الاولى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢)

إضافة إلى الأحاديث المتوترة في ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أنّ الإمام علياً عليه السلام هو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله (٣) فقد روى الحافظ الحسكاني الحنفي عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ قال: "يعني علياً عليه السلام ، كان يخشى الله ويراقبه.." (٤) فمن يصفه القران بصفة العالم العارف بالله يعني ان علمه لدني لأنه أفضل العلوم وأشرفها.

(١) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي : ٢٠٢ / ٣ .

(٢) سورة فاطر : ٢٨ .

(٣) قال صلى الله عليه وآله : " أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب" الجامع الصغير، السيوطي : ١ / ٤١٥ . والمعجم الكبير، الطبراني : ١١ / ٥٥ . وتاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : ٣ / ١٨١ ح ١٢٠٣ . وتاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : ٤٢ / ٣٨٠ .

(٤) شواهد التنزيل : ٢ / ١٥٢ ح ٧٧٩ . وذكر مع زيادة في المتن في تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٥٤٤ . نقلاً عن روضة الواعظين ، الفتال النيسابوري: ١٠٥ . ونقلاً عن تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، علي استرابادي: ٤٧٠ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقد ذكر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام التوارد الصريح في علمهم اللدني بقوله: "إن الأنبياء والأئمة يوفقههم الله ، ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتية غيرهم ، فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم " (١)

الآية الثانية: قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٢)

يتبين من قوله تعالى ان علم الخضر لدني ، والأئمة عليهم السلام أعلم من الخضر وأفضل، فكان لابد ان يكون علمهم لدني حضوري.

قال الإمام الصادق عليه السلام : " .. ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما اني أعلم منهما ولأنبئهما بما ليس في أيديهما " (٣)

وفي الاحتجاج عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث قال : "معاشر الناس، ما من علم إلا علمنيه ربي، وأنا علمته علياً وقد أحصاه الله فيّ، وكل علم علمت فقد أحصيته في إمام المتقين وما من علم إلا علمته علياً" (٤) ، هنا نستدل لبحثنا امور :

١ - عبارة (ما من علم) تفيد ان الكلام يخص كل العلوم على الاطلاق .

٢ - من عبارة (علمنيه ربي) ان هذه العلوم هي بتعليم الله عز وجل ، اذاً جميع هذه العلوم هي لدنية حضورية .

٣ - ومن عبارة (وما من علم الا علمته علياً) ان جميع العلوم اللدنية عند النبي صلى الله عليه وآله قد علم بها الامام علي عليه السلام ، وهنا يرصد التوارد بين النبوة والامامة في العلم اللدني "وروي في المناقب عن تفسير النّقاش عن ابن عباس أنّه قال : عَلِيٌّ عَلِمَ عِلْمًا عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله علمه الله ، فعلم النبي من علم الله وعلم علي من علم

(١) نور الثقلين ، الحويزي: ١/٢٤٥ ح ٩٧٤ . وكنز الدقائق وبحر الخرائب، محمد المشهدي:

١/٥٨٦ . والكافي ، الشيخ الكليني : ١/٢٠٢ .

(٢) سورة الكهف : ٦٥ .

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٢٦١ ح ١ باب انهم يعلمون ما كان ويكون. وبصائر الدرجات، محمد الصفار: ١٢٩ .

(٤) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني: ٤ / ٢٤٧ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

النبي ﷺ وعلمي من علم علي ، وما علمي و علم أصحاب محمد ﷺ في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر " (١).

وفي ذلك يقول العلامة محمد جميل العاملي : " لا شك أن علم الأئمة ليس بمكتسب بل علم إلهي موهوب، إذ لم يعهد من واحد منهم أنه تتلمذ على يد أحد من البشر على الإطلاق، بل إن علومهم هي لدنية حضورية، وهبهم إياها الباري - عز وجل - نتيجة علمه تعالى بهم وبما يؤول إليه أمرهم، وليس بضنين على القدرة الإلهية أن ينعم عليهم بعد توفر القابلية فيهم وعموم الفيض الإلهي على مستحقه ، فهم عليهم السلام عالمون بالأحكام كليها وجزئها ، وكذا عالمون بالموضوعات التي يترتب عليها حكم كلي، والموضوعات الصرفة أيضاً ، إذ به يتفاضلون على غيرهم من الأنبياء والمرسلين " (٢)

وقد ذكر السيد علي العاشر الأدلة العقلية الدالة على علمهم اللدني بعدة تقاريب منها :

"التقريب الأول: العلم الحضوري للإمام أكمل في اللطف (٣)، ان إرسال الرسل والأئمة لطف من الله تعالى كما هو مبين في العقائد وعليه، فأولاً: أنه من حسن الظن بالله أن يجعل حججه على أكمل وجه وأصبع نعمة، وهذا هو الأنسب مع حكمة الله ، ومعلوم ان العلم اللدني أكمل من الكسبي.

ثانياً: علم الناس بأن علم الإمام لدني حاضراً في كل حال ولكل شيء، رادع لهم عن ارتكاب المعصية والبعد عنها، ومقرب لهم إلى فعل الطاعة، لخوفهم من تأنيب الإمام لهم على المعصية، وفرحهم من مدحه لهم على الطاعات ، وفي الروايات ما يؤكد ذلك.... " (٤)

(١) ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي قايي : ٢١٦ / ٣ . تفسير البيان الصافي لكلام الله الوافي ، محمد حسن العاملي : ١٥٩ / ٥ .

(٢) الفوائد البهية : ١٢١ / ٢ .

(٣) "وهو ما يدعو المكلف إلى فعل الطاعة وترك المعصية بحيث يجعله أقرب إلى امتثال أوامر الله تعالى وأبعد عن ارتكاب نواهيه" ينظر: القواعد الكلامية ، علي رباني الكلبيكاني: ٩٨ / ١ .

(٤) حقيقة علم آل محمد ﷺ وجهاته: ٥٦

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

فحصل مما تقدم: " إن علوم الأئمة عليهم السلام ليست اجتهدية ولا سمعية أخذوها من جهة الحواس، بل لدنية أخذوها من الله سبحانه ببركة متابعة النبي ﷺ " (١) "فعلمهم عليهم السلام علمٌ حضوريٌّ شهوديٌّ وليس من سنخ العلوم الحصولية التي تحصل من خلال الألفاظ والمفاهيم ، ومما يشهد لذلك أنهم عليهم السلام يعلمون ما في الأرض وما في السماء وأنهم يعلمون كلَّ شيء ، ونحوها من الأوصاف التي لا تنسجم مع العلم الحصولي" (٢)

ثانياً : وسائل تحصيل العلم اللدني

كما تبين فيما سبق ان رافد الولاية التشريعية هو العلم اللدني الحضوري الذي جعله الله تعالى للنبوة والإمامة ، وأما الوسيلة التي بها يتم الحصول على هذا العلم الإلهي هو الاصطفاء ، والوراثة ، والوحي:

١ - الاصطفاء :

الاصطفاء مفردة قرآنية مهمة ذات دلائل وآثار عظيمة على صعيد المعرفة الدينية، فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم والروايات الشريفة التي تناقلتها كتب الفريقين.

الاصطفاء في اللغة : بمعنى الاختيار، والصفو هو نقيض الكدر، بمعنى إيجاده صافياً عن الشوب الموجود في غيره. كما أنّ الإجتباء يلتقي مع الإصطفاء أيضاً في المعنى (٣)

يقول السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) : "الاصطفاء : أخذ صفوة الشيء وتمييزه عن غيره إذا اختلط، وينطبق هذا المعنى بالنظر إلى مقامات الولاية على خلوص العبودية" (٤).

(١) الأصول الأصيلة ، الفيض الكاشاني : ٣٠-٣١ .

(٢) علم الإمام ، كمال الحيدري : ١ / ٢٠٧ .

(٣) كتاب العين ، الفراهيدي: ٧ / ١٦٢ .

(٤) تفسير الميزان : ١ / ٣٠٠

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقد وردت مفردة الإصطفاء في القرآن الكريم تنبيئاً وتخبر عن إرادة ربانية في اختيار الأمتل من البشر، منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١)

قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في تفسير الآية : "اصطفى: اختار واجتنب، وأصله من الصفوة، وهذا من حسن البيان الذي يمثل فيه المعلوم بالمرئي، وذلك أن الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد، فمثل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم؛ لأنهم كخلوص الصافي من شائب الأدناس..والاصطفاء هو الاختصاص بحال خالصة من الأدناس، ويقال ذلك على وجهين: يقال: اصطفاه لنفسه، أي جعله خالصاً له يختص به.

والثاني: اصطفاه على غيره، أي اختصه بالترفضيل على غيره، وهو معنى الآية" (٢)

إذاً يجب أن يختص الاصطفاء بآل إبراهيم وآل عمران من كان مرضياً معصوماً سواء كان نبياً أو إماماً (٣) ، فالاصطفاء على العالمين نوع اختيار وتقديم لهم عليهم في أمر أو أمور لا يشاركهم فيه أو فيها غيرهم (٤) ، والعلم اللدني هو من تلك الأمور التي اصطفاه الله تعالى لمن اختارهم من خلقه .

٢- الوراثة

"إن الله جلت عظمتة أبقى إلا أن يجري الأمور بأسبابها ، فعندما سن الله حكم المواريث جعلها على أساس القرابة حيث قال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٥) ، فقد جعلها سنة كونية وبذلك فإن ما في الآباء ترثه الأبناء ، ليست الوراثة المادية من أموال فحسب ، بل حتى الوراثة المعنوية ، من كفاءات

(١) سورة آل عمران : ٣٣ .

(٢) التبيان في تفسير القرآن : ٢ / ٤٤٠ .

(٣) ينظر : م.ن : ٢ / ٤٤١

(٤) الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣ / ١٦٤ .

(٥) سورة الأنفال : ٧٥ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقابليات ومعنويات ، وهذا ما أثبتته علم الوراثة والهندسة الوراثية بالذات ، لذلك أنك تجد التشابه بين السمات الظاهرية بين الأنبياء والأوصياء" (١)

وقد ذكرت الباحثة فيما تقدم في طهارة الأصلاب والأرحام ، إن الأنبياء والأوصياء من اسرة واحدة وسلالة طاهرة من شجرة واحدة من آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام وإلى نبينا محمد عليه السلام وإلى أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام (٢) والأئمة عليهم السلام من ولده إلى خاتم الأوصياء (عجل الله فرجه الشريف) ذرية بعضها من بعض، لذلك يتوارثون فيما بينهم العلم والحكمة ومكارم الأخلاق (٣) وغيرها من مواريث الأنبياء كابر عن كابر، وبما ثبت لنبينا محمد عليه السلام بأن جميع أجداده الطاهرين هم من الأنبياء والأوصياء وقد ورث النبي عليه السلام النبيين كلهم من لدن آدم عليه السلام حتى انتهى الى نفسه (٤)، وقد صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام من بعده.

والإرث في اللغة : "الأصل والبقية من الشيء ، والأمر القديم الذي توارثه الآخر عن الأول" (٥) "وأن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب" (٦)

أما في المعنى الاصطلاحي فلا يوجد لدى الفقهاء لكلمة الإرث معنى غير المعنى المعروف الذي هو أحد معانيها اللغوية، وإنما اختلفت كلماتهم في تحديد ما

(١) سنن الأنبياء في خاتم الأوصياء، مرتضى جمال الدين: ١٧ .

(٢) ينظر: تفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٣١١ / ٢ .

(٣) عن محمد بن الحسين بن يزيد قال: سمعت الرضا عليه السلام بخراسان وهو يقول: "إنا أهل بيت وورثنا العفو من آل يعقوب وورثنا الشكر من آل داود - وزعم أنه كان كلمة أخرى و نسيها محمد، فقلت: له: لعله وورثنا الصبر من آل أيوب؟ فقال: ينبغي" الكافي ، الشيخ الكليني : ٨ / ٣٠٨ ح ٤٨٠ .

(٤) ينظر: الاصول من الكافي ، الشيخ الكليني: ١ / ٢٢٦ ح ٧ .

(٥) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي : ١ / ٣٤٨ . تاج العروس، مرتضى الزبيدي: ١ / ٥٩٩ .

(٦) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٦ / ١٠٥ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

يكون ميراثاً شرعاً ومن يستحقّه^(١) فجاء في التفسير إن الإرث: "وهو جعل الشيء للخلف بعد السلف"^(٢)

والميراث والتوريث في القرآن له مجالات ودلالات عدة، على أن الجامع في معنى (الميراث) و(الإرث) و(التوريث) هو كل ما يتركه الأجيال لمن بعدهم، مادياً كان أو معنوياً، فالمال إرث، والسيرة الحسنة إرث، والعلم إرث، والنبوة إرث^(٣)، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾^(٤)

ومن الموروثات الذي قال به القرآن الكريم هو ميراث العلم، وهو من أشرف الموارث، الذي يمكن تحصيله من مصدره المادي والمعنوي :

أ- وراثـة العلم المادية : تكاثرت النصوص الروائية وبصياغات مختلفة تصرّح أن رسول الله ﷺ قد ورث آثار الأنبياء عليهم السلام السابقين، وقد أورثها الأئمة عليهم السلام^(٥)، فورثوا بذلك علم الأنبياء السابقين، وعندهم جميع كتبهم وصحفهم الآية الأولى : قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٦)

فقد تأصلت صورة وراثـة الأنبياء وعلمهم وكتبهم بجلالها عند أهل البيت عليهم السلام ، فقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام إن هذه الصحف قد ورثها رسول الله ﷺ من إبراهيم وموسى عليهما السلام، وقد ورثها من رسول الله ﷺ وهي عنده^(٧) .

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية ، مجموعة من الباحثين بإشراف علوي عبد القادر: ١٦ / ٣ .

(٢) التفسير المنير ، وهبه الزحيلي : ٥٦ / ٩ .

(٣) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي: ١٨٥/٢١ .

(٤) سورة الأحزاب : ٢٧ .

(٥) فقد أخبرت الروايات أنّ الإمام المهدي عليه السلام عنده قميص رسول الله ﷺ الذي كان عليه يوم أحد، وعمامته السحاب ودرعه ، وراية رسول الله ﷺ التي نشرها يوم بدر ونشرها أمير المؤمنين عليه السلام في البصرة ، ومعه ذو الفقار وحجر موسى عليه السلام وعصاه وخاتم سليمان عليه السلام . ينظر : كتاب الغيبة ، محمد النعماني : ١ / ٣٢٠ ح ٥٠ .

(٦) سورة الأعلى : ١٩ .

(٧) ينظر: بصائر الدرجات ، محمد الصفار : ١٥٥-١٥٦ ح ٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

فعن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قال لي : "يا أبا محمد إن الله عز وجل لم يعط الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطاه محمداً عليه السلام ، قال : وقد أعطى الله محمداً جميع ما أعطى الأنبياء ، وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل : ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾" (١) وقوله عليه السلام : "إن داود ورث علم الأنبياء، وإن سليمان ورث داود، إن محمداً عليه السلام ورث سليمان، وإنا ورثنا محمداً عليه السلام وإن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى عليهما السلام.." (٢)

الآية الثانية : قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٣)

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه سأل عن قول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ما الزبور وما الذكر ؟ قال : "الذكر عند الله ، والزبور الذي أنزل على داود ، وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ، ونحن هم" (٤)

الآية الثالثة : وقوله تعالى : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥)

ففي حديث بريهة قوله لأبي عبد الله عليه السلام في تفسير الآية قال : "جعلت فداك أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثه من عندهم، نقرؤها كما قرأوها ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول:

(١) أصول الكافي ، الشيخ الكليني : ١/ ٢٢٥ ح ٥ . باب أن الأئمة ورثوا علم النبي عليه السلام وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم . وتفسير في رحاب القرآن ، محمد مهدي الآصفي : ٣٧ / ٤ .
(٢) شرح أصول الكافي ، محمد المازندراني : ٥ / ٣٠٥ ح ٤ .
(٣) سورة الأنبياء : ١٠٥ .
(٤) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ٣ / ٣٥٧ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٣ / ٨٤٧ .
وكنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد رضا مشهدي : ٨ / ٤٨١ . نقلاً عن أصول الكافي، الشيخ الكليني : ١ / ٢٢٥ ح ٦ .
(٥) سورة آل عمران : ٣٤ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

لا أدري" (١) وهذا يوصل إلى أن خلاصة الرسالات عندهم، وملتقى الوحي السماوي لديهم وهم أمانؤه وأهله.

"وإن التوراة المنزلّة المكتوبة من قبل الله تعالى ليست في أيدي غير الأنبياء و أوصيائهم فمن المستحيل أن تتلاعب أيدي المتهوّسين من الفراعنة و الجبابرة و أتباعهم فيها، فهي مصنونة و محفوظة من أن يمسّها إلاّ المطهّرون، فهي بحسب الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم ورثها الأوصياء المستحفظون كابراً بعد كابر حتّى انتقلت مع غيرها من ذخائر الأنبياء و مواريتهم إلى نبيّنا ﷺ ومنه إلى أوصيائه القائمين مقامه" (٢)

وإن الأدعية والزيارات التي يخاطب بها الإمام ﷺ ، هي أكمل مصاديق الوراثة للأنبياء بالعلم والكتب الإلهية وما تعلق بهما من مشابهة الأنبياء والمرسلين في المواقف الرسالية، وقد ورد في زيارة أمير المؤمنين علي ﷺ ما يخبر بوراثته لعلم النبيين من الأولين والآخرين: "السلام عليك يا وارث علم النبيين، ومستودع علم الاولين والآخرين" (٣)

وزيارة سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي ﷺ والتي تسمى بـ (زيارة وارث) أي وارث الأنبياء والمعصومين(٤) ، مضافاً الى ما تقدم فقد ورث الأئمة عليهم السلام : ١ - القرآن الكريم : عن أمير المؤمنين علي ﷺ في حديث اخذت منه موضع الشاهد : "فنحن أورثنا هذا القرآن الذي فيه ما يسير به الجبال وقطعت به البلدان

(١) البيان الصافي لكلام الله الوافي ، محمد حسن العاملّي : ١٤٨ / ٥ ح ٢. و كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي: ٧٦ / ٣ . مناهج البيان في تفسير القرآن ، محمد باقر المياجي: ٢٦٠/١ . نقلاً عن الكافي ، الشيخ الكليني، ١ / ٢٢٧ ح ١ باب ان الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل .

(٢) مناهج البيان في تفسير القرآن، محمد باقر المياجي : ٢٥٧ / ١.

(٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري: ٣٢٠/٧ .

(٤) وفيها : "السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله ،السلام عليك يا وارث نوح نبي الله ، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله ، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله ، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله ، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله ، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله" كامل الزيارات ، جعفر ابن قولويه: ٣٧٤ ح ٦٢١ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ويحيى به الموتى ونعرف به الماء، وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء" (١)، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢)

٢ - الجامعة : وهو ما كتبه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بإملاء رسول الله ، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ، و إملائه من ملء فيه، و خطّ علي بيمينه، فيها كلّ حلال و حرام، و كلّ شيء يحتاج إليه الناس حتّى الأرض في الخدش (٣)

٣ - المصحف (٤) : وهو سمعته مولاتنا الصديقة المطهرة فاطمة روي فداها من جبرائيل حين كان يأتيها ويطيب نفسها بعد رسول الله ﷺ ، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يكتب ذلك (٥) "وهو مصحف ليس فيه تشريع منه الحلال و الحرام و غيرهما مثل القرآن، بل هو من قبيل البشارات و الأحوال الشخصية و الإخبار بالغيوب و نظائرها" (٦)

٤ - الجفر: وهو وعاء (الظرف الذي توضع فيه الأشياء) من آدم (جلد)، فيه علم النّبیین و الوصيّين و علم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل (٧)، كتبه أمير

(١) ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : ١ / ٣٠٧-٣٠٨ .

(٢) سورة فاطر : ٣٢ .

(٣) ينظر: تأويل الآيات الظاهرة ، علي استرابادي: ١٠٨ . التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة : ١٣٨ / ٧ . وكنز الدقائق و بحر الغرائب ، محمد رضا مشهدي: ٨ / ٣ نقلاً عن أصول الكافي ، الشيخ الكليني: ١ / ٢٣٨-٢٣٩ ح ١ ، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام. والخرائج والجرائح، الراوندي : ٥٢٦/٢ .

(٤) م.ن .

(٥) روي أن فاطمة عليها السلام لما توفي أبوها عليه السلام قالت لأمرير المؤمنين علي عليه السلام : إني لأسمع من يحدثني بأشياء ووقائع تكون في ذريتي، قال: فإذا سمعته فأمليه علي، فصارت تمليه عليه، وهو يكتب "المحتضر، حسن الحلبي : ٢٣٣ . ومأساة الزهراء (عليها السلام)، جعفر مرتضى العاملي ١١٠ / ١ .

(٦) مناهج البيان في تفسير القرآن ، محمد باقر المياحي : ٢٣٨ / ٣ .

(٧) ينظر : تأويل الآيات الظاهرة ، علي استرابادي: ١٠٨ . والتفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة: ١٣٨ / ٧ . كنز الدقائق و بحر الغرائب ، محمد المشهدي: ٨ / ٣ نقلاً عن أصول الكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ٢٣٩ ح ١ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

المؤمنين عليهم السلام، ومنه الجفر الأبيض الذي فيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم^(١)

٥ - ديوان شيعة أهل البيت عليهم السلام: فيه أسماء من أخذ الله تعالى ميثاقهم على ولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام^(٢)

٦ - صحيفتان فيها أسماء أهل الجنة وأهل النار: وهو كتاب دفع الى رسول الله صلى الله عليه وآله حين إنتهى الى سدره المنتهى في الاسراء والمعراج^(٣)

ب- وراثه العلم المعنوية :

قال تعالى : «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»^(٤)

قال الإمام الصادق عليه السلام : "علم الكتاب كله والله عندنا وما أعطي وزير سليمان بن داود عليهم السلام، إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده، قال تعالى: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ» أي بعض الكتاب «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ»^(٥) " (٦)

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : "كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما ، وكان مع موسى أربعة أحرف ، وكان مع إبراهيم ستة أحرف ، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً ، وكان مع نوح ثمانية ، وجمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله ، إنَّ

(١) بصائر الدرجات ، محمد الصفار : ١٧٠ ح ١٤ ، باب ان الأئمة عليهم السلام اعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام .

(٢) ينظر: بصائر الدرجات ، محمد الصفار: ١٩١ ح ٢. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٢١ ح ١١. ومدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٣٣٩/٤ ح ٩٠. والمناقب، ابن شهر آشوب: ١٥٧/٤ ح ٣) ينظر: تفسير العياشي، محمد العياشي: ١٥٧/١ ح ٥٣. وبصائر الدرجات ، محمد الصفار : ٢١١ ح ٣ و ٢١٠ ح ١. وعنه في بحار الانوار، العلامة المجلسي: ١٢٦/٢٦ ح ٢٢ و ١٧/١٤٧ ح ٤١ (٤) سورة الرعد : ٤٣ .

(٥) سورة النمل : ٤٠ .

(٦) ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي : ١ / ٣٠٦ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحد" (١) وانتقل هذا العلم عن طريق النبي ﷺ للأئمة عليهم السلام بتعليمه لأمر المؤمنين ﷺ كل ما علمه ﷺ من علوم الأنبياء السابقين ، ومن هذا القبيل ما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ في مصادر الفريقين أنه قال : " علمني رسول الله ألف باب وكل باب منها يفتح ألف باب (٢) " (٣) وقوله ﷺ: "سلوني عن أسرار الغيوب فإني وارث علوم الأنبياء والمرسلين" (٤) وبهذا يتضح أن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام لهم النصيب الأوفر من حقيقة هذا الاسم ، وأنه لا يدانيهم في ذلك أحد من الأولين والآخرين .

٣- الوحي:

إن الوحي من أهم المصطلحات الإسلامية في مجال الفكر والعقيدة ، فهو يمثل حلقة الاتصال بين عالمي الغيب والشهادة أو كما يصطلح المعاصرون بين عالمي الطبيعة وما وراء الطبيعة إذ يمثل الوحي مصدر المعرفة الإنسانية عن عالم الغيب في حين يشكل العقل والحواس مصدر المعرفة عن عالم الشهادة (٥) وجاء استعمال «الوحي» في القرآن الكريم في موارد متعددة، ومختلفة، يجمعها المعنى اللغوي الكلي وهو (الإعلام بخفاء)، وهذا المعنى الجامع موجود في بعضها حقيقة، وفي البعض الآخر مجازاً وادعاءً، كما لو كان الموحى إليه جماداً أو حيواناً لا يعقل (٦) وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الوحي ليس لبني آدم على الخصوص ،

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ٣٥٢ / ١ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني: ٣٨٤ / ٢ .
وتفسير الصراط المستقيم ، حسين بروجردي: ٤٠٦ / ٥ . نقلاً عن بصائر الدرجات ، محمد الصفار : ٢٨٨ ح ٢ .

(٢) "يراد منها الأحكام الكلية التي تنطبق على مصاديقها وصغرياتها" الفوائد البهية ، محمد جميل العاملي: ١٢٢ / ٢ .

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الأعلى سبزواري : ٣٣٥ / ٨ . وينايع المودة ، القندوزي الحنفي : ١ / ٢٣١ . وكنز العمال ، المتقي الهندي: ١٣ / ١١٤ ح ٣٦٣٧٢ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٦ / ٢٩ . والخصال ، الشيخ الصدوق : ٦٤٧ ح ٣٤ .

(٤) ينايع المودة ، القندوزي الحنفي : ١ / ٢١٣ ح ١٧ .

(٥) علوم القرآن وإعجازه ، عدنان محمد زرزور : ٧٢ .

(٦) الإلهيات ، مكي العاملي: ١٢٤ / ٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

فالوحي العام عند النحل والنمل والسموات والأرض^(١) يختلف بطبيعته عن الوحي عند الأولياء المقربين، وإن كانوا جميعهم يشتركون في عملية الإحياء، وما يعيننا هو ما أوحى الله تعالى به للأنبياء والأوصياء عليهم السلام بغض النظر عن نوع هذا الإحياء .

الوحي في اللغة : قال ابن فارس: "الواو والحاء والحرف المعتل، أصل يدل على إلقاء علم في خفاء أو غيره الى غيرك، فالوحي: الإشارة ، والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقته الى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان"^(٢)، "وأصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قبل أمر وحي"^(٣) يعني أن الوحي هو الإلقاء السريع الى الغير في خفاء .

اما اصطلاحاً فقد عرّف محمد الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) بقوله : "أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده، كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر"^(٤)، فاستند في تعريفه إلى مصدر الوحي.

في حين اعتمد آخرون في تعريفهم على وصف ماهية الوحي فقالوا عنه: "هو عرفان يجده الشخص في نفسه ، مع اليقين بأنه من قِبَل الله تعالى بواسطة او بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت"^(٥)

وجاء في التفسير ان الوحي هو : "الإعلام على سبيل الخفاء"^(٦) والإشارة و الإيماء، و الإلهام، و غير ذلك من المعاني التي تدل على أنه إعلام خاص، لا يكون بطريق الإعلام الظاهر"^(٧)

والمستنبط من هذه النصوص وغيرها مما أورده أهل اللغة في معاجمهم ، أن الوحي هو الإعلام بخفاء بطريق من الطرق ، فيعطي معنى الاتصال الغيبي الخفي

(١) سورة النحل : ٦٨ . وسورة الزلزلة : ٥ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس: ٩٢ / ٦ . مادة (الوحي) .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٥٣٨ .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن : ٦٣ / ١ .

(٥) الوحي المحمدي ، محمد رشيد رضا : ٢٦ .

(٦) أسرار القرآن ، أبو العزائم: ٢٨ / ٦ .

(٧) زهرة التفاسير ، محمد أبو زهرة : ١٩٦٣ / ٤ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

بين الله وأصفيائه ، وبهذا المعنى المتقدم هل إن الأئمة عليهم السلام يتلقون الوحي ؟ وهل ان الوحي يختص بنزول الأمين جبرائيل عليه السلام أم هناك طرق متعددة للوحي ؟ إن لتلقي الوحي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله : «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ» (١)

فأخبر الله تعالى ان تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب (٢):

الاولى: إلقاء المعنى في القلب مباشرة ، وقد يعبر عنه بالنفث في الرُوع وهو: القلب والخلد والخاطر، فيكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفىه على وجه من العلم الضروري الذي لا يستطيع له دفعاً ولا يجد فيه شكاً ، وهو الوحي المجرد.

والثانية : الكلام من وراء حجاب: هو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه كما كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام في أكثر من موضع: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» (٣)

والثالثة : فهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أمين الوحي جبرائيل عليه السلام : «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» (٤) فيراه متمثلاً بصورة رجل، أو غير متمثل، ويسمعه منه أو يعيه بقلبه ، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي.

وذكر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في تفسيره الكبير: "واعلم أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي، إلا أنه تعالى خصص القسم الأول بإسم الوحي، لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى فهذا هو الكلام في تمييز هذه الأقسام بعضها عن بعض" (٥)

(١) سورة الشورى : ٥١ .

(٢) ينظر: الوحي المحمدي ، محمد رشيد رضا : ٢٦ . ومناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني: ١ / ٦٤ . وتفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: ٧ / ٤٣٤٠ . وجامع البيان ، محمد بن جرير الطبري: ٢٠ / ٥٤٠ .

(٣) سورة النساء : ١٦٤ .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٣ .

(٥) التفسير الكبير: ٢٧ / ٦١١ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

إذن الوحي منه بإرسال ومنه بإلهام ، والالهام الرباني أحد طرق العلم اللدني المذكور في القرآن واعتمد عليه العرفاء (١) ويتجلى بسماع صوت او قذف في قلب او رؤيا صالحة في المنام وهو ما يسمى بالكشف (٢) يجعله الله لخاصه عباده والملهم يتلقاه وهو مستيقن من مصدره كما تقدم .

أ - وحي الانبياء :

الآية الاولى : قال تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَيُوسَى وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٣)

قد ذكر سبحانه و تعالى كلمة ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ لتأكيد الإيحاء، و للإشارة إلى وجود فترة زمنية طويلة بين نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام ، والكلام سيق لبيان المشابهة والمشكلة بين وحي الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وبين الوحي للرسل السابقين (٤)

الآية الثانية : قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٥)

"أي: إن جبريل الأمين نزل هذا القرآن على قلبك يا محمد بأمر الله تعالى، و إنما خص الله التنزيل على القلب؛ لأن القلب هو محل الوعي" (٦) ذكرت الآية أحد طرق نزل الوحي وهو بواسطة جبرائيل عليه السلام وهو الوحي الجلي .

ب - وحي الإمامة :

بما ان منصب الإمامة هو إكمال وظيفة الأنبياء وتطبيق الشريعة وحفظ الدين ، فيحتاج صاحب هذا المنصب تسديد من الله تعالى لتحقيق هذه الغاية ، وقد حكى لنا القرآن الكريم عن إحياء الله تعالى لبشر غير الأنبياء أمثال أم موسى والحواريين،

(١) الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، محمد جميل العاملي: ١٢٦ / ٢ .

(٢) م.ن : ١٣٠ / ٢ .

(٣) سورة النساء : ١٦٣ .

(٤) ينظر : زبدة التفاسير ، محمد ابو زهرة: ١٩٦٣ / ٤ .

(٥) سورة البقرة : ٩٨ .

(٦) عقد الجمان في تفسير القرآن ، عبد الملك قاسم : ٣٨ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

فكان من باب الاولى ان يكون لمنصب الإمامة حظ من هذا الإحياء ، لذلك ورد في تفاسير أهل البيت عليه السلام ما يدل على توارد الوحي للنبوة والإمامة .

الآية الاولى : قال تعالى : «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» (١)

تفسير فرات بن ابراهيم : عن جابر عن أبي جعفر في قوله تعالى : «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» قَالَ الإمام الباقر عليه السلام : نزلت في ولد فاطمة عليها السلام خاصة، وجعل الله منهم أمة يهدون بأمره (٢) " (٣) وبحديث آخر بإسناده الى أبي حمزه قال عليه السلام : "يعني الأئمة من ولد فاطمة يوحى إليهم بالروح في صدورهم" (٤) وهي واضحة الدلالة على احياء الله تعالى للأئمة الهادين عليهم السلام لقوله تعالى «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ» .

الآية الثانية: قال تعالى : «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (٥)

عن أبي حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟

قال عليه السلام : " الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» .. بلى قد كان في حالاً لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما

(١) سورة الانبياء : ٧٣ .

(٢) عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل في فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، قال : "وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك" تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ٤٤١ / ٣ .

(٣) شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : ١ / ٥٨٣ ح ٦٢٥ . وتفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم: ٣٢٩ ح ٤٤٩ .

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ، علي استرآبادي: ٣٢٣ . وعقود المرجان في تفسير القرآن، نعمت الله جزائري : ٣ / ٣١٠ .

(٥) سورة الشورى : ٥٢ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء فإذا أعطاهها عبداً علمه الفهم " (١)

الآية الثالثة : قال تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٢)

قد ذكر الإمام عليه السلام أن من وسيلة تحصيل العلم اللدني هي بعث الروح وهي روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويزينهم بالعلم (٣) ، واختلفت الروايات في تفسير معنى روح القدس (٤) منها :

١ - القوة الغيبية : التي أيدت عيسى عليه السلام وهو الاسم الأعظم الذي كان يحيي به الموتى ويرى الناس تلك العجائب (٥)

٢ - جبرائيل عليه السلام : فيكون معنى الآية على هذا إن الله أيد عيسى بجبرائيل عليه السلام (٦) وشاهدهم على ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ " وهو جبريل، و لقب بذلك لأنه نزل بقدس الأقداس - أي القرآن - على محمد صلى الله عليه وآله " (٧)

٣ - الإنجيل : أيد الله عيسى بن مريم بالإنجيل روحاً، كما جعل القرآن روحاً، كلاهما روح الله، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ (٨) (٩)

٤ - روح أعظم من جبرئيل عليه السلام : الروح ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهم السلام ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة عليهم السلام يخبرهم

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ٢٧٣/١ ح ٥ باب الروح التي يسد الله بها الأئمة عليهم السلام .

(٢) سورة النحل : ١٠٢

(٣) ينظر: تنزيه الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، الشريف المرتضى : ١٤ . نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق : ٤٢٩ / ٢ .

(٤) للإطلاع على جميع الآراء ينظر : التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة : ٣ / ٣٤٥ . وتفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ١ / ٢٩١ .

(٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ١ / ٢١٤ . وجامع البيان ، محمد الطبري: ١ / ٥٧٠ ح ١٢٣٢ . وتفسير القرآن العظيم ، ابن أبي الحاتم: ١ / ١٦٩ ح ٨٨٥ .

(٦) بحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي: ٢ / ٢٩٢ . ومدارك التنزيل ، عبد الله النسفي: ٢ / ٤٣٣ . والتبيان ، الشيخ الطوسي: ١ / ٣٤٠ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ١ / ٢٩٥ .

(٧) التفسير المبين ، محمد جواد مغنية : ٣٦٠ .

(٨) سورة الشورى: ٥٢ .

(٩) ينظر : الكشف والبيان ، الثعلبي: ١ / ٢٣٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ويسددهم (١) ، " قال ابن مسعود : «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ» (٢) ملك أعظم من السموات و الأرض و الجبال أشرف الملائكة بعد جبريل عليه السلام إلى الله " (٣)

يبدو أن الروح هو المعنى الأخير ، وهذا ما تميل إليه الباحثة لورود التفسير والروايات الكثيرة التي تؤيد ذلك منها :

قوله تعالى : «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» (٤)

فالظاهر من السورة المباركة أن ليلة القدر تتكرر في كل سنة في شهر رمضان المبارك، وكما هو واضح وجلي أيضاً من سياق الآيات بأن الملائكة والروح ما زالت تنزل في كل ليلة القدر.

وجاء في تفسير البرهان عن الشيخ الطوسي، عن رجاله، عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: "سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً و مساء وفي كل ساعة و طرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم؛ فوج ينزل وفوج يصعد، وإن الله كشف لإبراهيم عن السماوات حتى أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره، وإن الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسين عليهم السلام، وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمان و معارج [معراج] الملائكة والروح فوج بعد فوج بلا انقطاع لهم، وما من بيت من بيوت الأئمة منّا إلّا وفيه معراج الملائكة لقول الله عزّ و جل: «تَنَزَّلُ

(١) ينظر : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ٢ / ٣٥٨ . وبصائر الدرجات ، محمد الصفار :

٤٦٢ ب ١٢ . عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق : ١ / ٢١٦-٢١٧ ب ٤٦ .

(٢) سورة النبأ : ٣٨ .

(٣) هميان الزاد الى دار المعاد ، محمد مصعبي : ١٥ / ١٥٧ .

(٤) سورة القدر : ١-٥ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿١﴾ قال: قلت: من كل أمر سلام؟ قال: بكل أمر، فقلت: هذا تنزيل؟ فقال: نعم" (١)

وما توارد من الوحي في النبوة والإمامة :

١ - الوحي بتسديد روح القدس : فكان يوحى الى رسول الله ﷺ بالإرسال كنزول جبرائيل عليه السلام وروح القدس على الأنبياء (٢) وقد انتقل روح القدس الى الأئمة عليهم السلام من بعده (٣)

٢ - الوحي بالإلهام : وهو الذي يكون بلا إرسال وتوسيط ، فكما أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ لما أسرى به إلى السماء وحي مشافهة (٤) بلا واسطة لتخلف جبرائيل عليه السلام عند سدرة المنتهى ، وهو قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (٥)، كذلك يوحى الله تعالى الى الأئمة عليهم السلام فيوقر في أذنهم (٦) وينكت في قلوبهم (٧) ويعاينون من عوالم الغيب ما يعاينها الأنبياء عليهم السلام ، سوى أنهم ليسوا بأنبياء فلا يوحى من وحي الرسالة .

وهذا ما يرى جلياً في روايات المعصومين عليهم السلام ، منها ما ورد بالإسناد إلى هشام بن سالم عن عمّار أو غيره قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فيما تحكمون إذا

(١) تفسير البرهان ، هاشم البحراني: ٥ / ٧١٤ . وتأويل الآيات الظاهرة ، علي استرآبادي:

٧٩٢ . تراث الشيعة القرآني، محمد علي مهدوي راد: ٣ / ٥٣٣ .

(٢) ينظر: تفسير نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي: ٩ / ٩٤ . الكافي ، الشيخ الكليني: ١ / ٢٧١ ح ١ .

(٣) ينظر: الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٢٧٢ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي : ١٧ / ١٠٦ .

(٤) تفسير القمي ، علي بن ابراهيم : ٢ / ٣٣٤ . وتفسير الميزان، السيد الطباطبائي : ١٩ / ٣٤ ، ونور الثقلين، عبد علي الحويزي: ٥ / ١٥٢ .

(٥) سورة النجم: ١٠ .

(٦) قد وصفه القندوزي الحنفي "بأنه كلام علي وخطاب جلي، لا ينفر منه الطبع، ولا يكرهه السمع، لأنه كلام غيب يسمعه ولا يرون قائله ، فيؤمنون بالغيب" ينابيع المودة : ٣ / ١٩٩ .

(٧) ينظر: تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي: ٣ / ٢٢٠ . وتفسير الصراط المستقيم، حسين البروجردي: ١ / ٤٠٢ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٢ / ٣٢٦-٣٢٧ ح ٣١ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

حكمتكم؟ فقال: "بحكم الله و حكم داود وحكم محمد ﷺ قال: فإذا ورد علينا ما ليس في كتاب عليّ، تلقّانا به روح القدس، وألهنا الله إلهاماً" (١)

٣ - التحديث: "وهو سماع صوت الملك غير أنه بسمع القلب دون سمع الحس.. فالمحدث يسمع صوت الملك في تحديثه و يعيه بسمعه نظير ما نسمعه ويسمعه من الكلام المعتاد والأصوات المسموعة في عالم المادة غير أنه لا يشاركه في ما يسمعه من كلام الملك غيره، ولذا كان أمراً قلبياً" (٢) ، : فإن الأئمة عليهم السلام يحدثون كما يلهم الأنبياء و يحدثون (٣)

وكذلك ورد الأمر جلياً في ما رواه ابن شهر آشوب عن أبي جعفر العليّ قال: قال رسول الله ﷺ : "من أهل بيتي اثنا عشر نقيباً محدّثون مفهّمون منهم القائم بالحق يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً" (٤)

وما رواه السيد الرضي في نهج البلاغة قول الإمام أمير المؤمنين العليّ فيما حكاه من قول رسول الله ﷺ له: "... إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلا أنّك لست بنبي" (٥)

والإيحاء الى الأئمة عليهم السلام قد أثبتته العلماء في الكتب الكلامية ، يقول الشيخ المظفر في كتابه: "إن قوة الإلهام عند الإمام تسمى بالقوة القدسية، تبلغ الكمال في أعلى درجاته، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة، فمتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه، بتلك القوة القدسية الإلهية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم ، وتنجلي في نفسه المعلومات كما تنجلي المرئيات في المرآة الصافية لا

(١) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٤ / ٤٥٢ . وكنز الدقائق وبحر العجائب : ١١ /

٢٢٥ . بصائر الدرجات ، حسن الصفار : ٤٧١ . بحار الأنوار، المجلسي : ٢٥ / ٥٦ ح ١٨ .

(٢) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي: ٣ / ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) ينظر: مناهج البيان في تفسير القرآن، محمد باقر المياجي: ٣٠ / ٧٤٧ . وآيات الانوار في فضائل النبي وآله الأطهار ، محمود غروي: ١٧٣ . والكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ٢٧١ ح ٥ . بصائر الدرجات ، حسن الصفار : ٣٨٧ ح ٧ .

(٤) متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب: ٢ / ٥٤ . بحار الأنوار، المجلسي : ٣٦ / ٢٧١ ح

(٥) نهج البلاغة : ١ / ٤٧٥ الخطبة القاصعة: ١٩٢ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

غطش فيها ولا ابهام" (١) وهذا واضح الدلالة على أن الإلهام الرباني نوع من انواع الوحي الذي هو وسيلة لتلقي العلوم الدنية الإلهية .

ثالثاً : أنواع العلم الدني

قد جاءت أوصاف العلوم الدنية للنبوة والإمامة في القرآن الكريم متنوّعة، منها :

أ - التوارد في علم التأويل :

ان الذين نزل عليهم القرآن هم أعلم بتأويله ، حيث ان الله تعالى جعل من كلامه العزيز ما لا يعرفه إلا هو وأنبياءه والراسخون في العلم ، فقد علّمهم الله تأويل كل ما انزل من القرآن ولا يخفى عنهم من أمره شيئاً (٢) ، فمعلم التأويل هو الله تعالى كما قال يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (٣) وهذا هو العلم الدني .

الآية الاولى : قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٤)

من سياق الآية نعلم ان عملية التأويل مرتبطة بفهم الآيات المتشابهة عند إرجاعها الى مُحكماتها ، وهذه العملية لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم ، "والمراد من الرسوخ في العلم هو : الإحاطة العلمية ، و معلوم أن الشيء إذا كان له ظاهر و باطن فالرسوخ في العلم به هو العلم بباطنه علماً ثابتاً مستقراً ، فليس

(١) عقائد الإمامية : ٦٨ .

(٢) ينظر: الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ١ / ٣٧٦ في حديث طويل لأمير المؤمنين عليه السلام .

وتفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ١ / ٣١٣ ح ١٨ .

(٣) سورة يوسف : ٦ .

(٤) سورة آل عمران : ٧ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ عامّاً لكلّ من هو عالم محقق واسع العلم ثابت الرأي؛ بل يختصّ بمن ارتضى الله بتعليم الغيب إياه" (١)
إذاً من هم الراسخون في العلم ؟

روى بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ؟ قال: "يعنى تأويل القرآن كلّهُ، إلا الله والراسخون في العلم، فرسول الله أفضل الراسخين، قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله و أوصيائه من بعده يعلمونه كلّهُ" (٢)

وروى العياشي عن جابر، قال: "سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثمّ سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك! كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال: يا جابر: إنّ للقرآن بطناً وللبطن ظهراً، يا جابر: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية تكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متّصل يتصرّف على وجوه" (٣)
إذن فمعلم التأويل الأول هو رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام (٤)
ومن بعده الأئمة الهداة عليهم السلام الى خاتم الأوصياء الحجة بن الحسن المهدي (عجل الله فرجه الشريف) فإنه إذا خرج يعلم الناس القرآن كما أنزل غضاً طرياً لأنه من الراسخين وممن يعلم تأويله (٥)

-
- (١) البشرى في معاني القرآن ، شهاب الدين ذو الفقار: ١٦٩ / ٣ .
 - (٢) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود : ١٦٤ / ١ ح ٦ . والبشرى في معاني القرآن ، شهاب الدين ذو الفقار: ١٧٠ / ٣ . والكافي ، الشيخ الكليني : ٢١٣ / ١ كتاب الحجة ، باب أنّ الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام.
 - (٣) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود : ١٢ / ١ ح ٨ . وتفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣ / ٧٣ . تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني: ٢٩ / ١ . ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الأعلى السبزواري: ٦١ / ٥ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩١ / ٨٩ ح ٣٧ .
 - (٤) عن الإمام الصادق عليه السلام : "ان الله علّم نبيه صلى الله عليه وآله التنزيل و التأويل، فعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام" تفسير البيان الصافي لكلام الله الوافي ، محمد حسن العاملي : ١٦٥ / ٥ .
 - (٥) ينظر : ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي قاييني: ٢١١ / ٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ومن شهادة العامة الكثير في علم أمير المؤمنين علي عليه السلام بالتأويل ، وما يثبت فيه ثبت في الأئمة عليهم السلام بعده ، منها :

١ - " وفي الدر المنظم: اعلم أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء، قال الإمام علي (كرم الله وجهه): أنا النقطة التي تحت الباء" (١)

٢ - "عن علي عليه السلام قال : كان لي لسان سؤال وقلب عقول ، وما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وعلى من نزلت وبم نزلت" (٢)

٣ - "قال الشعبي (٣) ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبي الله من علي بن أبي طالب ومن الصالحين من اولاده الصالحين" (٤)

٤ - "عن عبد الله بن مسعود: إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهر و بطن، فإنَّ علياً عنده منه علم الظاهر و الباطن" (٥)

ب - التوارد في علم اللغات :

من آيات الله العظيمة الدالات على كثير من صفاته الجليلة اختلاف الالسن (٦) في اللغات واللهجات وأجناس النطق وأشكاله للتمايز وامكان التعارف والتفاهم والتعبير

(١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ١/ ٢١٣ ح ١٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ابن عطية : ١/ ١٣ . الوسيط في تفسير الكتاب المجيد ، علي الواحدي: ١/ ٩ . مفتاح الأسرار ومصابيح الأبرار، محمد الشهرستاني: ١/ ٦٥ نقلاً عن شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، الحاكم الحسكاني : ١/ ٤٣ . وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم الأصفهاني : ١/ ٦٨ .

(٣) هو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي ، المشهور بالإمام الشعبي (ت ١٠٠هـ) تابعي وفقه من العراق ومحدث من السلف .

(٤) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ٦/ ٤٦٢ . وينظر: شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني: ١/ ٤٨ .

(٥) تاريخ دمشق ، ابن عساكر: ٤٢/ ٤٠٠ . وينابيع المودة ، القندوزي: ٣/ ١٤٦ . وفتح الملك العلي ، أحمد المغربي: ٧٢ . وفرائد السمطين، إبراهيم الحموي: ١/ ٣٥٥ ح ٢٨١ .

(٦) سورة الروم : ٢٢ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

عن مرادات الأنفس ، فهذا الاختلاف أمر واقع ملموس وهو من عظيم قدرة الله وحين يبعث الله رسولاً ، يبعثه بلسان قومه ليفهمهم (١).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)

ذكر السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) : "إن المراد بإرسال الرسول بلسان قومه إرساله بلسان القوم الذين كان يعيش فيهم و يخالطهم و يعاشرهم و ليس المراد به الإرسال بلسان القوم الذين هو منهم نسباً لأنه سبحانه يصرح بمهاجرة لوط عليه السلام من كلداء وهم سريانية اللسان إلى المؤتفكات، وهم عبرانيون وسمّاهم قومه و أرسله إليهم ثم أنجاه وأهله إلا امرأته وهي منهم وأهلكهم قال تعالى: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ (٣) " (٤)

وان اولي العزم من الرسل أرسلوا الى أزيد من أمة ودعوا أقواماً من غير ألسنتهم ، وهذا يدل على علمهم باللغات ولم تقتصر لغتهم على لغة القوم الذين بعث منهم ، كدعوة ابراهيم عليه السلام عرب الحجاز الى الحج ، وعموم دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٥) فكان لابد ان يكون عالماً بكل لسان ليبين لهم مقاصد الوحي فتتم الحجة على الناس.

وقد صرح الامام أنيس النفوس علي الرضا عليه السلام بتوارد هذا العلم في النبوة والإمامة بقوله : "عَلِمْتُ كُلَّ لِسَانٍ وَكُلَّ كِتَابٍ وَمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ بغير تعلم، وهذا سر الأنبياء أودعه الله فيهم، والأنبياء أودعوه إلى أوصيائهم، ومن لم يعرف ذلك ويتحققه فليس على شيء، ولا قوة إلا بالله " (٦)

(١) ينظر : المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد بن أحمد مكي: ٤٠٦ .

(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

(٣) سورة العنكبوت : ٢٦ .

(٤) تفسير الميزان : ١٢ / ١٥ .

(٥) سورة سبأ : ٢٨ .

(٦) مدينة المعاجز، هاشم البحراني : ٢١٦ / ٧. والخرائج والجرائح ، الراوندي: ٣٥١ / ١ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وما يدل على علمه باللغات ما نقل الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) في العيون قائلاً: "عن أبي الصلت الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة فقلت له يوماً يا بن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها!

فقال: يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه وما كان الله ليتخذ حجة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم ، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام: أوتينا فصل الخطاب؟! فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات" (١)

وكذلك الأئمة عليهم السلام قد توارثوا ذلك من الأنبياء والأوصياء ، ولأن دعوة الامام الحجة المهدي (عجل الله فرجه الشريف) عامة لكل الألسن والألوان كجده رسول الله ﷺ وآبائه الطاهرين عليهم السلام فعند ظهوره المبارك يتكلم بكل الألسن واللغات حتى يوصل دعوته الى كل الناس (٢)

ت - التوارد في منطق الطير:

قد أشار القران الكريم الى هذا نوع من العلم والمعرفة ، وهو مسألة القدرة على مخاطبة الطيور وفهم حوارها , قال تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (٣)

الآية صريحة الدلالة في عبارة ﴿عُلِّمْنَا﴾ ان المعلم هو الله تعالى ، الذي علمهم منطق الطير فهو من العلوم الدنيوية (٤) "وخص منطق الطير لشرف الطير على سائر الحيوان، ومعنى الآية علمنا فهم ما يقوله كل طائر إذا صوت" (٥)

"والاقتصار على منطق الطير إيجاز لأنه إذا علم منطق الطير وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان وأسرعها نفوراً منه، علم أن منطق ما هو أكثر

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٢٥١ ح ٣. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٩٠/٢٦ ح ١

ب ١٤ أنهم (عليهم السلام) يعلمون جميع الألسن واللغات ويتكلمون بها .

(٢) ينظر: سنن الانبياء في خاتم الاوصياء ، مرتضى جمال الدين : ٤٨ .

(٣) سورة النمل : ١٦ .

(٤) ينظر : ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي القائني: ١٢ / ٥٤٧ .

(٥) تفسير روح البيان ، إسماعيل البروسوي : ٦ / ٣٢٨ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

اختلاطاً بالإنسان حاصل له بالأحرى كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا﴾ (١) فتدل هذه الآية على أنه علّم منطق كل صنف من أصناف الحيوان (٢)

وقد توارد هذا العلم في النبوة والإمامة ، فإنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح ومن لم تكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام (٣) فقد علموا بكل لغة حتى منطق الطير ولغات الحيوانات بل ان علمهم ﷺ أوسع من علم النبي سليمان ﷺ ، لأن سليمان بن داود قال : ﴿عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال الإمام الصادق ﷺ: قد والله علمنا منطق الطير وعلم كل شيء (٤)، لأنهم أئمة سليمان ﷺ ومن فوقه من النبيين (٥)

وما ورد عن زرارة عن أبي عبدالله ﷺ قوله : " قال امير المؤمنين ﷺ لابن عباس: إن الله علّمنا منطق الطير كما علّم سليمان بن داود، ومنطق كل دابة في بر وبحر " (٦) صريح بحصول هذا التوارد .

ومن التطبيقات العملية التي حدثت للأئمة عليهم السلام كما حدث للأنبياء علمهم بمنطق الطير، ما نقله الثمالي في البصائر قوله : " كنت مع علي بن الحسين عليهما السلام فانتشرت العصافير وصوتت فقال: يا أبا حمزة أتدري ما تقول؟ قلت: لا قال: تُقدس ربها وتسأله قوت يومها ثم قال: يا أبا حمزة ﴿عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ " (٧)

(١) سورة النمل : ١٩ .

(٢) التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ٢٣٦ / ١٩ .

(٣) تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني: ٦١ / ٤ .

(٤) ينظر: بصائر الدرجات ، محمد الصفار : ٣٤٤ / ١ ب ١٤ ح ١٧ .

(٥) التفسير الموضوعي الفرقان ، محمد صادقي طهراني: ٥٩ / ٢٠ .

(٦) الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، عبد الله شبر : ٤١٧ / ٤ . وتفسير الصافي ، الفيض

الكاشاني: ٦١ / ٤ . والجديد في تفسير القرآن المجيد ، محمد السبزواري: ٢٢٥ / ٥ . ومدينة

المعاجز ، هاشم البحراني: ١٢٢ / ٢ ح ٤٤١ .

(٧) بصائر الدرجات ، محمد الصفار : ٣٤٢ / ١ ب ١٤ ح ٣ . والاختصاص ، الشيخ المفيد :

ث - التوارد في علم الغيب :

وردت الآيات الكثيرة الدالة على أن أنبياء الله كانوا يُخبرون عن الغيب في موارد عديدة ، نظير إخبار النبي عيسى عليه السلام بما يأكل قومه ويدخرونه في بيوتهم، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (١) هذا فضلاً عن الوقائع والأحداث الكثيرة التي أخبر النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام بها قبل وقوعها ووقعت، لتكون شواهد صدق النبوة أو الإمامة ، والمسألة متواترة معروفة تضافت بنقلها المصادر (٢) ، وما يدل على هذا التوارد : الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (٣)

ان المراد بالغيب ما يقابل الحضور والشهود ، فهو كل ما لا يدرك بالحس والمدارك الجسمانية ، وهو علم فوق الزمان والمكان وقيودهما، والآيات صريحة الدلالة على أن للعلم بالغيب رتبتين (٤):

الأولى : الرتبة الذاتية، وهي علم الخالق عز وجل، وهو العلم الحقيقي المستقل؛ إذ يستند إلى ذات الخالق عز وجل وصفاته الذاتية.

والثانية : الرتبة العرضية، وهي علم من ارتضاه الله سبحانه وأطلعته على غيبه، وأعلى من ارتضاه واصطفاه هو محمد و آل محمد ، وهو علم حقيقي تابع لعلم الله، وهو ليس بمستقل عن إذن الله وإرادته، بل يدور مدار ما أطلعهم الله سبحانه على الغيب، وعلمهم بحقائقه.

وهذا ما جاء في تفسير الآية ان الغيب مختص به تعالى ولا يطلع على غيبه أحداً من خلقه، واستثنى من ذلك العموم من ارتضى من رسول يعني: إلا من اختار لرسالته، فإنه يطلع على ما يشاء من الغيب، ليكون دلالة لنبوته (٥)

(١) سورة آل عمران : ٤٩ .

(٢) ينظر: المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري: ٣٥٨/٢ .

(٣) سورة الجن : ٢٦ .

(٤) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية ، فاضل الصفار : ٦٥ .

(٥) ينظر: بحر العلوم ، السمرقندي : ٥٠٨ / ٣ . وضياء الفرقان ، محمد تقي قانوي: ٣٨١ / ١٧

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

فكان نبينا محمد ﷺ ممن ارتضاه (١) وأمير المؤمنين علي المرتضى عليه السلام (٢) ، وأولاده من الأئمة الطيبين الطاهرين المرتضين الذين علموا ما أطلع الله نبيه ﷺ من الغيب .

قال الإمام شمس الشموس علي الرضا عليه السلام : " فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه ، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة " (٣) وذلك إن الإمام الذي لا يعلم ما يصيبه والى ما يصير، فليس بحجة لله على خلقه (٤)

وجاء في تفسير الآية : "إن فيها دلالة على أن من إرتضاه الله لحفظ الغيب أعطاه منه بقدر لياقته واستعداده سواء كان المراد بالرسول في الآية جبرئيل أو ملك آخر أم النبي فإن الرسول يطلق عليهما فإذا ثبت هذا في حق الرسول ثبت في حق وصيه أيضاً لعدم القول بالفصل ولوجود الملاك فيه أيضاً ؛ وذلك لأن الوصي حائز لجميع فضائل إلا النبوة لقوله ﷺ : لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، معناه لو كان بعدي نبي فهو أنت لا غيرك فمن صلح للنبوة بعد النبي صلح لجميع فضائل النبي ومنها العلم بالغيب ، وهذا ممّا لا إشكال فيه عقلاً و شرعاً و لا ينافي قوله تعالى: لا يعلم الغيب إلا هو لأن علم الله تعالى بالغيب هو من ذاته و نفسه وعلم الرسول من ربه والفرق بين المقامين واضح" (٥)

(١) التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني: ٢٣٨ / ٥ ، والكافي، الشيخ الكليني: ٢٥٦ / ١ باب نادر فيه ذكر الغيب .

(٢) "ففي خبر أن النبي ﷺ سماه المرتضى عليه السلام لان جبرئيل هبط إليه فقال: يا محمد إن الله تعالى قد ارتضى عليك لفاطمة عليها السلام وارتضى فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام. وقال ابن عباس: كان علياً عليه السلام يتبع في جميع أمره مرضاة الله ورسوله، فلذلك سمي المرتضى" بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦٠-٥٩ / ٣٥ .

(٣) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ٤٤٤ / ٥ . والتفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢٣٨ / ١ ، والخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ٣٤٣ / ١ .

(٤) ينظر : أصول الكافي ، الشيخ الكليني : ٢٥٨ / ١ .

(٥) ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي قايي : ٣٨١ / ١٧ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١)

تشير الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى قد جمع هذه الحقائق المخزونة ومفاتيحها في حجه الأطهار عليه السلام ، بمقتضى ما دل من تضافر النصوص على أن النبي والإمام هم الكتاب الناطق ، فإن القرآن الكريم هو الكتاب الصامت الذي لا تدرك مضامينه إلا بالرجوع الى النبي والإمام ، ولذا تضافر في الأخبار المعتمدة وصف الكتاب المبين بالإمام المبين (٢)

وقد يتصور وقوع التعارض بين طائفة من الآيات كقوله تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٣) والروايات التي تثبت علمهم بالغيب بوقوع الحوادث التي أخبروا عنها التي هي من الغيب (٤) والآخرى التي تنفيه ، كما ورد من الحديث في الكافي عن سدير أنه قال : " كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريّتي فلانة، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريّتك ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب قال: فقال: يا سدير: ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (٥) قال:

(١) سورة الانعام : ٥٩ .

(٢) ينظر : تفسير العياشي ، محمد بن مسعود : ١ / ٣٦٢ ح ٢٩ . والكافي ، الشيخ الكليني : ٨ / ٢٤٩ ح ٣٤٩ .

(٣) سورة النمل: ٦٥ .

(٤) ينظر : نهج البلاغة ، الشريف الرضي: ٢ / ١٠ الخطبة ١٢٨ .

(٥) سورة النمل: ٤٠ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به؟ قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟! قال: قلت جعلت فداك ما أقل هذا فقال: يا سدير: ما أكثر هذا، أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل أيضاً: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأوماً بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا" (١)

أن هذه النصوص الواردة متعارضة بالظاهر متوافقة بالتحقيق ، وذلك من وجوه:

١ - إمكان الجمع بينهما في الاستدلال ، كحمل النصوص النافية على العلم الاستقلالي ، والنصوص المثبتة على العلم الذي يمنحه الله للمرتضين من عباده كما دلت عليه الآية الكريمة ، وذلك أن الله عز وجل علما ، علم عنده لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلما أعطاه الله ملائكته وأنبياءه وأوصيائه ، وعليه تحمل الآيات التي تنفي على ما خصه الله لنفسه ، والتي تثبت على ما منحه الله لهم (٢)

٢ - كما إن من العلم ما يتعلق بالأمور الحتمية الوقوع والأمور غير الحتمية، وهي القابلة للتبدل والتغيير بحسب مشيئة الله سبحانه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣) وعن أبي جعفر عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام لما سئل عن الآية قال: "لولا آية في كتاب الله لحدثكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة" (٤) فالقسم الأول منها يجتمع في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة علم الله سبحانه، والقسم الثاني

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ٢٥٧ ح ٣ باب نادر فيه ذكر الغيب.

(٢) م.ن : ١ / ٢٥٥ ح ١ و ١ / ٢٥٦ ح ٤ .

(٣) سورة الرعد : ٣٩ .

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود : ٢ / ٢١٥ ح ٥٩ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

يجتمع في لوح المحو والإثبات، فحمل الآيات النافية على القسم الثاني والمثبتة على القسم الأول (١)

٣ - كما أن مضمون هذه الرواية الواردة لا ينفي علمهم بالغيب لأن قول الإمام عليه السلام الأول "عجباً لأقوام" صدر من باب التقية ، كون المنافقين وغيرهم من الظالمين والشياطين في المجلس ، وما يدل عليه هو مخالفة قوله الثاني الذي صرح فيه علمهم بالغيب بعد بيانه "عندنا علم الكتاب، والله كله عندنا" ، كما إن هذا القول الأخير مطلق وغير مقيد بقيد ولا مشروط بشرط وإرادة ووقت دون وقت (٢) ، وأن قضية سعة علومهم وإطلاعهم على الغيب من الأمور المسلمة لدى أصحاب الأئمة عليهم السلام من أهل المعرفة والتسليم ، لذا استفهموا قوله عليه السلام بعد ما دخل الدار .

٤ - تضافر في الأخبار والسيرة أنهم كانوا يتكلمون مع الناس على قدر فهمهم وإدراكهم خوفاً عليهم من الغلو فيهم، أو الجحود والإنكار؛ لأنّ التوازن المعرفي لا يدركه إلا الخواص، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "إني لأعلم ما في السماوات والأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وأعلم ما يكون ، قال الراوي: ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عز وجل، إن الله تعالى يقول فيه تبيان كل شيء" (٣)

ج - توارد في ملكوت السموات والأرض:

إنّ من مراتب العلم الحضوري في القرآن الكريم مرتبة اليقين ، ومن خصائص ومميّزات اليقين القرآني ، أنّه يقين حاصل من مشاهدة الملكوت من خلال الرؤية القلبية ، وأنّه يقين لا مجال فيه للغفلة والشكّ والريب ، والطريق للوصول إلى اليقين

(١) ينظر : الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية ، فاضل الصفار : ٢ / ٧٠ .

(٢) ينظر : علم الإمام ، محمد تقي البرغاني : ١٥ .

(٣) الكافي، الكليني: ١ / ٢٦١ ح ٢ باب ان الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون.

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

القرآني هو مشاهدة الملكوت ، وقد أشارت جملة من النصوص القرآنيّة والروائيّة على توفر الإنسان على أدوات لرؤية الملكوت (١)

قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : "البصر يُقال للجراحة النازرة نحو قوله : ﴿كَلَّمَحَ الْبَصَرِ﴾ (٢) ، ويُقال لقوّة القلب المدركة : بصيرة وبصر نحو قوله : ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٣) ، وجمع البصر أبصار ، وجمع البصيرة بصائر ، ولا يقال للجراحة بصيرة" (٤)

وهذا المعنى اللغوي يلتقي مع معناه الاصطلاحي في إطلاق البصر على الرؤية الظاهريّة التي تختلف عن البصيرة التي تطلق على الرؤية القلبيّة .

قال السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) : "إنّه تعالى يثبت في كلامه قسماً من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصريّة الحسيّة ، وهي نوع شعور في الإنسان يشعر بالشيء بنفسه من غير استعمال آلة حسيّة أو فكريّة" (٥)

وفي القرآن الكريم آيات تشير إلى هذه الحقيقة ، وهي أنّ العمى كما قد يصيب العين الظاهريّة فإنّه قد يصيب عين القلب التي هي البصيرة ، أي ان هناك بصر وسمع ظاهري وباطني ، كقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ (٦)

"وقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّ المؤمن بالله ورسوله وهو الذي يعتقد أنّ الكتاب المنزل على الرّسول أعني به القرآن حق لا مريّة فيه ليس كمن هو أعمى أي أعمى القلب وهو كناية عن الكفر والإنكار" (٧)

(١) ينظر : علم الإمام ، كمال الحيدري : ٢٠٧ / ١ .

(٢) سورة النحل : ٧٧ .

(٣) سورة ق : ٢٢ .

(٤) المفردات في غريب القرآن : ٤٩ مادة (بصر).

(٥) تفسير الميزان : ٢٤٠ / ٨ .

(٦) سورة الرعد : ١٩ .

(٧) ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد قايّني : ٥٣٩ / ٩ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقد ورد في القرآن الكريم عن هذا الملكوت قوله تعالى : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١)

جاء في التفسير: "ملكوت كل شيء كونه متعلقاً لإرادة الله سبحانه في أصل وجوده وفي آثاره وأكوانه وفي أن زمام أمره بيد الله تعالى يدبره ويقبله كيف يشاء ، ورؤية كل شيء بحسبه وكذلك إراءته، فرؤية الأمر العيني بالبصر ورؤية الأمر العقلي بالبصيرة ورؤية الأمر القلبي بالكشف والشهادة، وعلى هذا رؤية الملك بالعين ورؤية فقر المملوك بالعقل ورؤية الملكوت بالقلب" (٢)

كما دلت النصوص الروائية بأن هناك عدد وافر من الروايات من الفريقين أثبتت بصريح العبارة وجود أدوات وحواس باطنية للإنسان لرؤية ملكوت وباطن الأشياء ، منها:

١ - أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده عن أبي هريرة قال : "قال رسول الله ﷺ : ليلة أُسري بي . . . فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا برهج ودخان وأصوات ، فقلت : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب" (٣)

٢ - عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال في حديث طويل : "ألا إن للعبد أربع أعين : عيان يُبصر بهما أمر دينه ودنياه ، وعيان يُبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته ، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه" (٤)

(١) سورة يس : ٨٣ .

(٢) البشرى في معاني القرآن ، شهاب الدين ذو الفقار: ٢٦٩ / ٧ .

(٣) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم: ٢٧٢ / ١ الحاشية رقم : ٤٩ . نقلا عن مسند أحمد، أحمد بن حنبل : ٣٥٣ / ٢ .

(٤) الخصال ، الشيخ الصدوق: ٢٤٠ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

يتضح مما تقدم ان الملكوت هو الوجه الآخر لعالم الشهادة ، وهو الجانب الغيبي للعالم الذي هو بيده سبحانه^(١) ، وأن رؤية الملكوت ليست رؤية بصرية بالعين المادية ، بل هي رؤية البصيرة والفؤاد والقلب يختص بها من يشاء من عباده وما يدل على رؤية الملكوتية للنبوة :

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾^(٢)

فقد ورد في التفسير ان رسول الله ﷺ دنا من حُجب النور فرأى ملكوت السماوات ، ثم تدلَّى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض^(٣) وأنه ﷺ رأى ربه بقلبه ، فلم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد^(٤)

ما يدل على الرؤية الملكوتية للإمامة :

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(٥)

وورد عن عبد الله بن مسكان عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية قال : "كشط لإبراهيم السماوات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش ، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء ، وفعل بمحمد ﷺ مثل ذلك ، وإنني لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك"^(٦)

(١) سورة يس : ٨٣ .

(٢) سورة النجم : ١١-٧ .

(٣) ينظر: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ١٢ / ٤٧٧ . علل الشرائع ، أبي جعفر ابن بابويه القمي : ١ / ١٣١-١٣٢ ح ١ .

(٤) ينظر : تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٥ / ١٩٧ . تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٥ / ١٥٣ ح ٣٤ .

(٥) بصائر الدرجات ، محمد الصفار: ١ / ٢٢٥ ح ٤٢٠ ب ٢١ في أن الأئمة عليهم السلام غرض عليهم ملكوت السماوات والأرض .

(٦) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود : ١ / ٣٦٣ . ونور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ١ / ٧٣٤ . وبصائر الدرجات ، محمد الصفار: ١٢٧ ح ٢ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١١٤ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وجاء في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كُشِطَ له عن الأرض ومن عليها، وعن السماء ومن عليها، والملك الذي يحملها، والعرش ومن عليه، وفعل ذلك برسوله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام" (١)

وقد استفاضت النصوص الروائية التي صرّحت أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام يعلمون ملكوت السماوات والأرض ، منها :

١ - عن بريدة الأسلمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : "يا عليّ إنّ الله أشهدك معي سبع مواطن- حتّى ذكر الموطن الثاني- ، أتاني جبرئيل فأسرى بي إلى السماء فقال : أين أخوك ؟ فقلت : ودعته خلفي ، قال فقال : فادع الله يأتيك به ، قال : فدعوت فإذا أنت معي ، فكشط لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتّى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها ، فلم أرَ من ذلك شيئاً إلّا وقد رأيته كما رأيته" (٢)

٢ - وعن إسحاق بن عمّار قال : قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : "يا إسحاق خف الله كأنّك تراه وإن كنت لا تراه فإنّه يراك . فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك" (٣)

قال المجلسي (ت ١١١١ هـ) توضيحاً لهذا الحديث : "إعلم أنّ الرؤية تُطلق على الرؤية بالبصر وعلى الرؤية القلبية ، وهي كناية عن غاية الانكشاف والظهور ، والمعنى الأوّل هنا أنسب أي خف الله خوف من يشاهده بعينه وإن كان محالاً ، ويحتمل الثاني أيضاً فإنّ المخاطب لمّا لم يكن من أهل الرؤية القلبية ولم يرتق إلى تلك الدرجة العلية فإنّها مخصوصة بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، قال : كأنّك

(١) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٢٠٩ / ٧ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني: ٢ / ٤٣٤

(٢) التفسير الموضوعي ، محمد صادقي طهراني: ١٥٨ / ٢١ . وضياء الفرقان في تفسير القرآن

، محمد تقى قايني: ٣٨٦ / ١٠ . والتفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة : ٢٨٠ / ١٥

(٣) أصول الكافي، الشيخ الكليني: ٦٨ / ٢ ح ٢ ب الخوف والرجاء .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

تراه ، وهذه مرتبة عين اليقين وأعلى مراتب السالكين^(١) وهذا هو توارد الرؤية القلبية في النبوة والإمامة .

المطلب الرابع: لوازم الولاية التشريعية

أولاً : توارد الطاعة في النبوة والإمامة

إنّ للولاية التشريعية لوازم كثيرة ، منها حق الطاعة على العباد: فالحق : هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره^(٢) والطاعة : هي الإنقياد والموافقة ، يقال : أطاعه إطاعة أي : إنقاد له ، ولا تكون الطاعة إلا عن أمر ، كما إن الجواب لا يكون إلا عن قول ، يقال ، أمره فأطاع^(٣)

فحين يأمر صاحب الولاية التشريعية يكون من الواجب على العباد الطاعة ، إذ لا معنى أن يكونوا مشرعين بأمر من الله تعالى ولا طاعة لهم على العباد ، فالتشريع مقرون بالطاعة ، والطاعة معلولة بالتشريع ، لذلك كان لا بد أن نذكر هنا مع مبحث الولاية التشريعية (الطاعة) التي هي كبرى من الكبريات التي تواردت بين النبوة والإمامة .

وما يدل على وجوب طاعة الانبياء عليهم السلام:

الآية الاولى : في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(٤)

وفي التفسير أن سبب نزول الآية قول النبي ﷺ : "من أحببني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله" فقال المنافقون: لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه، ما يريد إلا أن نتّخذة رباً، كما اتّخذت النصراني عيسى، فنزلت: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنّه إنّما يأمر بما أمر الله، وينهى عما نهى الله عنه، فهو يبّلى عن أوامر الله ونواهيه، فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاز عما نهى عنه طاعة لله ﴿وَمَنْ

(١) مرآة العقول: ٣٢ / ٨ .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني : ٣٨٩ / ١٣ .

(٣) ينظر: المصباح المنير ، أحمد الفيومي : ٣٨٠ / ٢ ..

(٤) سورة النساء : ٨٠ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

تَوَلَّى» عن الله وأعرض عنه ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ عن التَوَلَّى حَتَّى يَسْلَمُوا وينقادوا، أو تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ، وهو حال من الكاف" (١)

ودخلت «من» ها هنا للتوكيد والمعنى : وما أرسل الله تعالى رسولا لشيء من الأشياء إلا ليطاع بسبب إذنه تعالى في طاعته وأمره المرسل إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عنه تعالى، فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته (٢)

الآية الثانية : في قوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٣)

والمعنى " أن النبي ﷺ أحق بتدبيرهم، و بأن يختاروا ما دعاهم إليه، و أحق بأن يحكم فيهم بما لا يحكم به الواحد في نفسه لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله، و هو أولى في ذلك وأحق من نفس الإنسان، لأنها ربما دعته الى اتباع الهوى، ولأن النبي ﷺ لا يدعو إلا إلى طاعة الله، و طاعة الله أولى ان تختار على طاعة غيره" (٤)

فيظهر من الآية المتقدمة ثبوت وجوب طاعتهم وشمول ولايتهم على الأموال والأنفس حيث دلالتها على الولاية ظاهرة سواء الأمور المتعلقة بالأحكام الشرعية أو بأمورهم الشخصية (٥)

(١) زبدة التفاسير ،الفيض الكاشاني: ١١١ / ٢ .
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود ، محمد أبو السعود : ١٩٦ / ٢ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ١٠٤ / ٣ . والبحر المحيط ، ابن حيان : ٦٩٣ / ٣ . والمحزر الوجيز ، ابن عطية : ٧٤/٢ . ورموز الكنوز في تفسير كتاب الله العزيز، عبد الرزاق رسعني: ٥٤٩ / ١ .
(٣) سورة الاحزاب : ٦ .
(٤) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ٣١٧ / ٨ .

(٥) إذ حكمهم ولو بما يرجع إلى شخصهم تجب إطاعته والأخذ به كما ورد من أن زينب بنت جحش استشارت النبي في التزويج وأمرها الرسول بالتزويج من زيد بن حارثة، فكرهت ذلك وقالت أوامر نفسي ، فأنزل الله عز وجل قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ فليس لمؤمن او مؤمنة ان

وما يدل على وجوب طاعة الأئمة عليهم السلام :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١)

"ان المعنى من الولاية لله و رسوله هو الذي تذكره الآية (الذين آمنوا) بعطفه على الله ورسوله في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ على ما عرفت من دلالة السياق على كون هذه الولاية ولاية واحدة ، هي الله سبحانه بالأصالة و لرسوله والذين آمنوا بالتبع وبإذن منه تعالى، ولو كانت الولاية المنسوبة الى الله تعالى في الآية غير المنسوبة الى الذين آمنوا - والمقام مقام الالتباس - كان الأنسب أن تفرد ولاية اخرى للمؤمنين بالذكر رفعاً للالتباس كما وقع "(٢)

وجاء في البرهان في تفسير الآية : "إن الله وهب نبيه حق الأمر والنهي في الآية المذكورة، والنبي ﷺ بدوره وهب هذا الحق لعلي بن أبي طالب عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام من بعده، والناس ملزمون بإطاعة أوامر هذه النخبة الطاهرة ، لأن أوامر ونواهي النبي ﷺ والأئمة من أهل بيته الكرام عليهم السلام هي أوامر ونواهي الله، وطاعتهم طاعة لله، وهم لا يأتون بشيء من عند أنفسهم وكل ما جاؤوا به للمسلمين هو من عند الله" (٣) ، فإن طاعة النبي ﷺ هي طاعة الله لأنه مبلغ لأمر الله ونهيه ، فلا يصدر منه من فعل وقول وتقرير إلا وكان مطابقاً لإرادة الله تعالى ومشيئته (٤)

ومن المنطلق نفسه ثبت توارد الطاعة بين النبوة والإمامة ، بنص الآية والروايات ، منها ورد عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ قال لعلي بن ابي

يكون له إختيار عند حكم الله ورسوله ﷺ. ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان ، محمد أمين الهري: ٨/٢٣ .

(١) سورة النساء : ٨٩ .

(٢) مختصر الميزان، السيد الطباطبائي: ١٣٢ / ٢ .

(٣) تفسير البرهان ، هاشم البحراني: ٣٩٦ / ١ .

(٤) ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، سيد طنطاوي : ٢٣٢ / ٣ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

طالب عليه السلام : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني " (١)

ومن الجدير بالذكر أن الطاعة هي وليدة المعرفة والتسليم والرضا للأوامر والنواهي التي صدرت من النبي والامام بولايتهم التشريعية ، وتوارد الطاعة في النبوة والامامة يعني بالتالي توارد المعرفة والتسليم والرضا في النبوة والامامة كذلك ، كونهن مقدمات وحصيلة لا يمكن الوصول الى كمال الطاعة إلا بهن .

والتسليم هو : "الانقياد التام فيما يصدر عنهم قولاً وفعلاً، وعدم الاعتراض عليهم في قيامهم بالأمر وقعودهم عنه، وظهورهم وغيبتهم، وما يصدر عنهم من الأحكام وغيرها على وجه التقية أو المصلحة أو غيرهما" (٢)

والرضا: "هو اطمئنان النفس بقضاء الله تعالى عند البلاء، وعدم الاعتراض عليه سبحانه قولاً وفعلاً وقلباً في شيء من الأشياء" (٣)

فإن أول ما يكون لتحقيق الطاعة هو الرضا بما يحكمه المعصوم ، سواء كان في صالحهم أو في ضررهم ، ولا يشعروا بأي حرج في نفوسهم فضلاً عن أن لا يعترضوا ، وبالتالي يفضي الى التسليم الذي لا اباء معه ولا ارتياب (٤)

وما يدل على وجوب التسليم للأنبياء عليهم السلام :

قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥)

ان المتأمل في الآية الكريمة يجد فيها ان المؤمن لا يكون إيمانه تاماً إلا إذا توفرت فيه صفات ثلاث: أولها: أن يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في حياته، و إلى شريعته بعد وفاته، وثانيها: أن يتقبل حكم الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي ﷺ

(١) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، المستدرک ، الحاكم النيسابوري : ٣ / ١٢٨ . وقد صححه أشد نقاد الحديث من أئمة الحديث وهو الذهبي .

(٢) مرآة العقول ، العلامة المجلسي: ٤ / ٢٧٨ .

(٣) ينابيع الحكمة : عباس اليزدي : ٣ / ١٧٧ .

(٤) ينظر: تفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٣ / ٣١٠ .

(٥) سورة النساء : ٦٥ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

برضا وطيب خاطر وهذا يمثل الانقياد الباطني والنفسي ، وأن يوقن إيقاناً تاماً بأن ما يقضى به هو الحق والعدل، وثالثها: أن يذعن لأحكام شريعة الله إذعاناً تاماً في مظهره وحسه وهذا يمثل الانقياد الظاهري والحسي (١)

وفي معنى قوله تعالى ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢) "أي انقادوا لأوامره ، وابذلوا الجهد في طاعته ، وفي جميع ما يأمركم به" (٣)

وما يدل على وجوب التسليم للأئمة عليهم السلام :

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤)

جاء في تفسير الآية : عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: "كيف تقرأ هذه الآية؟" ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ماذا؟ قلت: مسلمون، فقال: سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فسماهم مؤمنين ثم يسألهم الإسلام؟ والإيمان فوق الإسلام، قلت: هكذا يقرأ في قراءة زيد، قال: إنما هي في قراءة علي عليه السلام وهو التنزيل الذي نزل به جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله إلا وأنتم مسلمون لرسول الله ثم الإمام من بعده" (٥)

ومن الروايات التي تؤكد هذا التوارد هو قول الإمام الرضي علي الرضا عليه السلام : "إن العبادة على سبعين وجهاً فتسعة وستون منها في الرضا والتسليم الله عز وجل ولرسوله ولأولي الأمر صلى الله عليهم" (٦)

وقد علمنا فيما تقدم أن اولي الأمر هم الأئمة عليهم السلام ، فإن بالرضا والتسليم تتحقق كبرى من كبريات النبوة والإمامة وهي الطاعة .

(١) ينظر : التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي: ٢٠٤ / ٣ .

(٢) سورة الأحزاب: ٥٦ .

(٣) مجمع البيان ، الطبرسي: ١٨٠ / ٨ .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٥) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ١ / ٦٦٨ . وتفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ١ / ٣٦٣ .

وتفسير العياشي ، محمد بن مسعود: ١ / ١٩٣-١٩٤ ح ١١٩ . وتفسير نور الثقلين ، عبد

علي الحويزي : ١ / ٣٧٧ . وبحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٢ / ٢٠٦ ح ٩٣ ب ٢٦ .

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٢١٢ ح ١١٢ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

والولي كما تقدم تجب طاعته ، ومن تجب طاعته تجب معرفته لأنه لا يطاع إلا من يُعرف ، فيلاحظ اقتران المعرفة مع التسليم في كثير من الروايات منها : ما ورد عن سدير قال: "قلت لأبي جعفر عليه السلام : إني تركت مواليك مختلفين، يتبرأ بعضهم من بعض قال: فقال عليه السلام : وما أنت وذاك، إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة والتسليم لهم فيما ورد عليهم والرد إليهم فيما اختلفوا فيه" (١)

ثانياً : توارد المحبة في النبوة والإمامة

ما يدل على وجوب مودة الانبياء عليهم السلام:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢)

قال القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) في شرح الآية: "فكفى بهذا حُضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله" (٣)

وهو قوله صلى الله عليه وآله : "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (٤)

الآية الثانية : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ..﴾ (٥)

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٢١ ح ١ باب التسليم وفضل المسلمين .

(٢) سورة التوبة : ٢٤ .

(٣) الشفا بتعريف أحوال المصطفى : ١٨ / ٢ .

(٤) كنز العمال ، المتقي الهندي: ١ / ٤١ . وميزان الحكمة ، محمد الريشهري: ١ / ٥١٨ ح ٦٧٧ .

(٥) سورة الأحزاب : ٦ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

جاء في التفسير أن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين في كلِّ شيءٍ من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ، فإنَّه لا يأمرهم ولا يرضى إلا بما فيه مصالحهم ونجاحهم ، بخلاف النفس ولهذا أطلق ولم يقيد ، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم في الأمور كلها ، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها ، وحقه آثر لديهم من حقوقها ، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها ، وأمره أنفذ فيهم من أمرها ، وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه (١)

وما يدل على وجوب مودة الأئمة عليهم السلام :

الآية الاولى : قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢)

وقد ذكر الفريقان النصوص المتواترة في أن الآية نزلت في أهل البيت (عليه السلام) (٣)، فقد روى الشيخ الطبرسي (ت ٨٤٨ هـ) بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: إن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة واستحكم الإسلام، قالت الأنصار فيما بينها : نأتي رسول الله فنقول له : إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محذور عليك، فأتوه في ذلك فنزلت : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقرأها عليهم وقال : تودون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله " (٤)

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٥)

(١) ينظر : الكشف ، الزمخشري: ٥٢٣/٣ . وكنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي: ٣١٩ / ١٠ .

(٢) سورة الشورى : ٢٣ .

(٣) يُنظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢٧٥ . وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، عبد الله البيضاوي: ٣٦٢ / ٢ . وتفسير الكشف ، الزمخشري : ٤ / ٢١٣ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ١٢٥ . وتفسير كنز الدقائق ، محمد المشهدي: ١١ / ٥١٥ و ٤ / ٣٥ .

(٤) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ٩ / ٢٩ .

(٥) سورة مريم : ٩٦ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

جاء في سبب نزول الآية : "أخرج ابن مردويه و الديلمي عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك ودّاً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال فنزلت في علي عليه السلام ، وأخرج الطبراني و ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال محبة في قلوب المؤمنين" (١)

وقد جمع العلامة الأميني من طرق العامة والخاصة ما تواتر عن النبي ﷺ أن حبهم علامة الإيمان، وأن بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله ، وهو قوله أمير المؤمنين علي عليه السلام: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي : أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق" (٢) لذلك ورد في أحاديث تفوق حد الاستفاضة من أن بعض الصحابة العدول كانوا يقولون : ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغضهم علياً عليه السلام (٣)

فيظهر مما تقدم توارد وجوب المودة في النبوة والإمامة بما دلت الآيات القرآنية وتفسيرها ، فحبهم فرض من ضروريات الدين الإسلامي التي لا تقبل الجدل والشك، وقد اتفق عليه اغلب المسلمين على اختلاف نحلهم وآرائهم ، ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل للحب والوفاء، من ناحية قربهم إليه سبحانه، ومنزلتهم عنده ، وطهارتهم من الشرك والمعاصي (٤)

(١) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ٢٨٧ / ٤ . وينظر : الغدير، العلامة الاميني : ٥٥ / ٢ . الرياض النظرة ،محب الدين الطبري: ٢٠٧ / ٢ . والصواعق المحرقة ،ابن حجر الهيتمي: ١٠٢ . وفصائل الخمسة من الصحاح الستة، مرتضى الفيروزآبادي: ٣٢٣ / ١ . مجمع الزوائد ، نور الدين الهيتمي: ١٢٥ / ٩ .

(٢) صحيح مسلم ، مسلم النيسابوري: ٦١/١ . وسنن النسائي، أحمد بن شعيب: ١١٦ / ٨ . وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني: ٥٨ / ٧ .

(٣) ينظر: الغدير: ١٨٣ / ٣ .

(٤) ينظر : الفوائد البهية ، محمد جميل العاملي: ١٩٠ / ٢ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ومن الجدير بالذكر أن الحب في الله لازم في بغضهم في الله (١)، ولازم البغض في الله هو البراءة من اعداء الله ، فكما أمرنا الله تعالى بمودة النبي والإمام كان لازم ان يكون مع هذه المودة البراءة والبغض لأعدائهم ، دل على ذلك قوله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢)

جاء في تفسير الآية : " معناه أن المؤمن لا يكون مؤمناً كاملاً بالإيمان والثواب يواد من خالف حدود الله ويشاقه ويشاق رسوله ، ومعنى يواده يواليه، وإن كان ذلك الذي يواده أباه أو ابنه أو أخاه أو عشيرته، فمن خالف ذلك والى من ذكرناه كان فاسقاً، لا يكون كافراً، و كل كافر فهو محاد لله و لرسوله. و المودة الموالاة بالنصرة والمحبة، فهذا لا يجوز إلا للمؤمن بالله دون الكافر، والفاسق المرتكب للكبائر، لأنه يجب البراءة منهما، و هي منافية للموالاة" (٣)

وروى الكليني في باب معرفة الإمام عن أبي حمزة قال : " قال لي أبو جعفر عليه السلام : إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله، فإنما يعبد هكذا ضلالاً، قلت: جعلت فداك فما معرفة الله ؟ قال : تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى، والبراءة الى الله عز وجل من عدوهم ، هكذا يعرف الله عز وجل" (٤)

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وتوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله " الكافي ، الشيخ الكليني : ٢ / ١٢٦ ح ٦ .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ٩ / ٥٥٥ .

(٤) الكافي ، الشيخ الكليني: ١ / ١٨٠ باب معرفة الامام والرد إليه ح ١ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

ومن مظاهر إظهار هذه البراءة هو لعن أعدائهم في الدنيا والآخرة ، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١)

وجاء اللعن في القرآن بمعناه في اللغة وهو: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره بأن يبعده الله ويطردهم عن رحمته (٢)

وما يدل على توارده إظهار اللعن على أعداء النبي ﷺ وأعداء الأئمة عليهم السلام ما ورد عن الحاكم الحسكاني، بالإسناد إلى أبي خالد الواسطي، بالإسناد إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال: ".حدثني رسول الله ﷺ وهو أخذ بشعره، فقال: من أذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله" (٣)

ثالثاً : توارده الصلاة عليهم في النبوة والإمامة :

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤)

إن الله يصل على النبي ﷺ ويثني عليه بالثناء الجميل، ويبجله بأعظم تبجيل ، وملائكته يصلون عليه بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء ، فقد جاء في تفسير الآية عن أبو حمزة الثمالي بالإسناد إلى كعب بن عجرة: "لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله! هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد" (٥)

(١) سورة الأحزاب: ٥٧ .

(٢) ينظر : المفردات ، الراغب الاصفهاني : ٧٤١ .

(٣) مجمع البيان، الطبرسي: ١٨١ / ٨ . عن شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني: ١٤٧/٢ ح ٧٧٦ .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦ .

(٥) مجمع البيان ، الطبرسي: ١٧٩ / ٨ . وتفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٣٤٤/١٦ . تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣ / ٥١٥ . وتفسير الكبير، الفخر الرازي : ٢٥ / ٢٢٧ . وصحيح

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

وقال السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) : "وقد أورد في الدر المنثور ثمانى عشرة حديثاً غير هذه الرواية تدل على تشريك آل النبي معه في الصلاة، روتها أصحاب السنن والجوامع عن عدة من الصحابة، منهم: ابن عباس، وطلحة، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأبو مسعود الأنصاري، وكعب بن عجرة، وعلي عليه السلام وأما روايات الشيعة فهي فوق حد الإحصاء " (١)

وقد ورد النهي عن إفراد النبي صلى الله عليه وآله بالصلاة ، فعن الإمام الصادق عليه السلام قوله : "سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت، وهو يقول: اللهم صل على محمد، فقال له أبي لا تبتريها، لا تظلمنا حقنا، قل: اللهم صل على محمد وآل محمد" (٢) وفي الصواعق عنه عليه السلام : "لا تصلوا علي الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد" (٣)

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له (٤)
فإن توارد وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من آل الأطهار عليهم السلام من المسلمات عند أمته عليه السلام فصلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله على محمد وآل محمد أهل بيته الطيبين الطاهرين الأئمة الهداة المهديين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

رابعاً : توارد الإطلاع على الأعمال في النبوة والإمامة

إن النبي والإمام شاهد ومطلع على أعمال أمته بما أشارت الآيات القرآنية ، فإن أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله تعرض عليه في نهاية كل أسبوع فتطلع روحه الطاهرة عليها

البخاري ، محمد بن اسماعيل: ٢٧/٦ . ومسنّد أحمد، احمد بن حنبل: ١١٩ /٤ . والمستدرک،
الحاكم النيسابوي: ٤٠١ /١ .

(١) الميزان : ٣٤٤/١٦ .

(٢) الكافي، الكليني: ٤٦ /١٢ .

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ١٤٦ .

(٤) نسبت هذه الأبيات في حق أهل البيت عليهم السلام للشافعي، ينظر: ينابيع المودة ،القندوزي:
٤٣٤ /٢ . والصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ١٤٨ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

جميعاً، فهو شاهد على أمته، وكذلك الأئمة الطاهرين عليهم السلام فهم أيضاً شهود على أعمال الناس كما ثبت .

وما يدل على توارده الاطلاع على أعمال الامة في النبوة والإمامة قوله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) ، فقد ورد في تفسير الآية : " وَ الْمُؤْمِنُونَ الخالصون للإيمان المتحققون به وهم خلفاء الله بعد رسوله ﷺ وإلا فأكثر المؤمنين الناقصين لا اطلاع لهم على اعمال الغير، و لذلك ورد بطريق الحصر ان المراد بالمؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ أو الأئمة ﷺ، فان أعمال العباد تعرض صباحاً و مساءً في الدنيا على من جعله الله شهيداً على الخلق فاحذروا من ان يعرض منكم ما إذا شوهد يسؤكم وما إذا عُرض على إمامكم يسؤه كما في الاخبار" (٢)

وقد فسرت الروايات الآية بأن الأعمال تعرض على رسول الله ﷺ والمؤمنون ، وهم أمير المؤمنين ﷺ والأئمة من ولده ﷺ (٣) منها:

١ - حديث الإمام الباقر ﷺ: "إن الأعمال تعرض على نبيكم كل عشية الخميس، فليستح أحدكم أن يعرض على نبيّه العمل القبيح" (٤)

٢ - حديث عبد الله بن أبان الزيات، و كان مكيماً عند الإمام الرضا ﷺ قال : "قلت للرضا ﷺ: ادع الله لي و لأهل بيتي، فقال: أولست أفعل؟ والله أن أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم و ليلة ، يقول الراوي، فاستعظمت ذلك، فقال لي، أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، قال: هو والله علي بن أبي طالب ﷺ" (٥). يعني هو وأوصياؤه .

(١) سورة التوبة : ١٠٥ .

(٢) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ، سلطان علي شاه : ٢ / ٢٧٧ .

(٣) الكافي، الشيخ الكليني : ١ / ١٧١ ح ٢ .

(٤) تفسير البرهان ، هاشم البحراني: ٢ / ١٥٨ .

(٥) تفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٦ / ٢٠٦ . وتفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب ، محمد المشهدي : ٥ / ٥٣٦ . والبشرى في معاني القرآن ، شهاب الدين ذو الفقار : ١١ / ٣٩ .

الفصل الثاني : الكُبريات المتواردة في ولاية النبوة والإمامة.....

٣ - عن رسول الله ﷺ: " أفضل أيامكم يوم الجمعة.... فأكثرُوا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله! وكيف تعرض عليك وقد أُرمت؟ (يعني: وقد بليت)، قال له: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.... وفي حديث آخر: فنبي الله حي يرزق" (١)

ومسألة عرض الاعمال من القضايا التي ذكرت ونوقشت بالأدلة لا يسعنا المقام للإطالة فيها (٢)

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٥٢٢ / ٣ .

(٢) للاستزادة ينظر : تفسير الأمل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٦ / ٢٠٦-٢٠٩ .

الفصل الثالث

توارد الكبريات في الغيبة والمعاد الجسماني

في النبوة والإمامة

المبحث الأول : في الغيبة

المبحث الثاني : في المعاد الجسماني

الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني في النبوّة والإمامة

المبحث الأول: الغيبة

توطئة: في معنى الغيبة

في اللغة : "أصل صحيح يدلُّ على تسترُّ الشيء عن العيون، ثمَّ يقاس، من ذلك الغيب...، ويقال: غابت الشمس تغيب غيبةً" (١) أي ان الغيب يعطي معنى الاستتار. وغاب : بعد عنه وبإينه ، غيابة الشيء وغيوبه : بطن فيه واستتر، وغيَّبه : أبعده وواراه (٢) والغيب يعطي معنى الخفاء والبعد .

أما في الاصطلاح : لا يختلف المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي ، "فالغيب بمعنى الغيبة والخفاء ، أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به و حقيقته متلبسين بالغيب" (٣)

وقال الرَّمَّاني(ت ٣٨٤ هـ) (٤): "الغيب خفاء الشيء عن الحسِّ قرب أم بعد، إلّا أنّه قد كثرت صفة الغائب على البعيد الذي لا يظهر للحسِّ" (٥)

فالمراد من الغيبة هنا هو الاختفاء عن الأبصار، بأن يُغيب الله عنوانه وهويته فلا يعرف بشخصه (٦) ويستتره عن الناس (٧) بأمر منه تعالى وعهد معهود مع الاحاطة

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٤ / ٤٠٣ مادة (غيب).

(٢) ينظر: أقرب الموارد في فصح العربية ، سعيد الخوري : ٤ / ٨٠ .

(٣) تفسير غرائب القرآن ، حسن نظام الاعرج : ١ / ١٤٤ .

(٤) أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى هو مُفسِّر وفيلسوف معتزلي، ومن كبار النحاة، كان مُتَجَرِّباً في علوم الفقه واللغة والكلام والفلك، ألف ما يقارب مائة كتاب، له الجامع في القرآن .

(٥) التبيان، الشيخ الطوسي : ١ / ٥٥ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ١ / ١٢٢

(٦) عن الإمام الرؤوف علي الرضا (عليه السلام) : "هو الذي تخفى عن الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه " ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي قايّني : ٢ / ٤٤ .

(٧) قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : "لا تخلق الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهر مشهور، أو خائف مستور" الجديد في تفسير القرآن المجيد ، محمد سبزواري : ٢ / ٤٤٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

التامة له بما يجري على الناس^(١)، وقد يتواجد في الأمكنة العامة لكن لا يعرفه أحد، كما ورد عن الامام المهدي الغائب عليه السلام انه يحضر الموسم في كلّ سنة ، لكنّ الناس يرونه و لا يعرفونه^(٢)

المطلب الاول: ثبوت الغيبة في النبوّة

انّ كلّ مَنْ يطّلع على تاريخ الأنبياء عليهم السلام ويتأمّل في سيرتهم وحالاتهم بإنصاف، سيلاحظ حصول ظاهرة (الغيبة) و(الاختفاء) عن الأمة المبعوث لها، قصرت المدّة أو طالت، فهي ليست ممكنة فحسب، بل وواقعة أيضاً ، فقد تكررت الغيبة عند الأنبياء بشكل يؤدي الى الإيمان أنها سنة جارية في الأنبياء والرسل، وقد دلّت الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة والأخبار التاريخيّة على غيبة جملة من الأنبياء واختفائهم عن قومهم وتواريهم عن الناس ، اختارت الباحثة (خمس نماذج) منهم لإثبات التوارد ، وذلك ان سنة الغيبة من القضايا المثارة والمعاصرة في هذا الزمن.

ما يدل على وقوع الغيبة في النبوّة :

الآية الأولى : ما ورد في غيبة النبي إدريس عليه السلام ، قال تعالى: ﴿وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٣)

أن أول الغيبتات هي غيبة النبي إدريس عليه السلام، فقد تنحى عن القرية التي كان فيها عشرين سنة مختفياً في غار لما خاف من جبار زمانه ، وكان أهلها يعبثون، وأخبرهم بأن الله سبحانه يحبس عنهم المطر بدعائه، وآوى إلى كهف ، ووكل الله تعالى به ملك يأتيه بطعامه كل مساء ، فمكثوا بعده عشرين سنة لم يمطروا، حتى آل الأمر بشيئته إلى أن تعذر عليهم القوت، وقتل الجبار من قتل منهم وأفقر وأخاف

(١) ورد عن الإمام الحجة الغائب عليه السلام : "انا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء" الإحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ٢ / ٣٢٣ .

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "يفقد الناس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه" كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ٣٧٩ ح ٤٩ .

(٣) سورة مريم : ٥٦ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

بقيتهم، ثم ظهر عليه السلام فوعد شيعته بالفرج وبقيام القائم من ولده، وهو نوح عليه السلام ثم رفع الله عز وجل إدريس عليه السلام ، فلم تزل الشيعة يتوقعون قيام نوح عليه السلام قرناً بعد قرن و خلفاً عن سلف، صابرين من الطواغيت على العذاب المهين حتى ظهرت نبوة نوح عليه السلام (١)

الآية الثانية : وما ورد في غيبة النبي هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَادُّكُّوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢)

روي في التفسير بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام "أنه لما حضرت نوحاً عليه السلام الوفاة دعا الشيعة، فقال لهم: اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبة يظهر فيها الطواغيت، وأن الله عز وجل يفرّج عنكم بالقائم من ولدي اسمه هود، وله سمت و سكينه و وقار يشبهني في خلقي و خلقي و سيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالريح، فلم يزالوا يترقبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره حتى طال عليهم الأمد وقست قلوب أكثرهم، فأظهر الله تعالى ذكره نبيه هوداً عليه السلام عند اليأس وتناهي البلاء، وأهلك الأعداء بالريح العقيم، ثم وقعت الغيبة بعد ذلك إلى أن ظهر صالح عليه السلام" (٣)

يشير نبي الله نوح عليه السلام بابنه القائم بعده وهو هود عليه السلام كذلك يشير نبينا محمد صلى الله عليه وآله بابنه القائم المهدي عليه السلام بصفاته وخلقه فيما سيأتي .

الآية الثالثة : وما ورد عن غيبة نبي الله صالح عليه السلام قوله تعالى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن

(١) ينظر: تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٣ / ٣٤٣ ، تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي: ١٤ / ٦٦ . وتفسير سعد السعود، ابن طاووس: ٣٤٢ . واكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ١٥٥ ح ١ ب غيبة إدريس عليه السلام.

(٢) سورة الأعراف : ٦٩ .

(٣) تفسير الصافي ، فيض الكاشاني : ٢ / ٢٠٩ . تفسير كنز الدقائق وبحر العجائب ، محمد المشهدي : ١٢ / ٤٢٨ . وضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي القائني : ١٢ / ٥٦ . وتفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٢ / ٤٣ . ونفحات الرحمن في تفسير القرآن ، محمد النهاوندي : ٢ / ٦١٥ . وكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ١٦٣ ح ٤ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١﴾

وقد غاب نبي الله صالح عليه السلام عن قومه وهو كهلاً فعاد إليهم، وهو شيخ كبير ما عرفه أحد من قومه "ورد عن الشَّحَام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ صَالِحاً عليه السلام غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب كهلاً حسن الجسم، وافر اللحية، ربعة من الرجال، فلما رجع إلى قومه لم يعرفوه و كانوا على ثلاث طبقات: طبقة جاحدة و لا ترجع أبداً، و أخرى شاكة، و أخرى على يقين، فبدأ حين رجع بالطبقة الشاكة، فقال لهم: أنا صالح فكذبوه و شتموه و زجروه، و قالوا: إِنَّ صَالِحاً كَانَ عَلَى غَيْر صُورَتِكَ و شكلك، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْجَاحِدَةِ فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ و نفروا منه أشدَّ النفور. ثُمَّ انطلق إلى الطبقة الثالثة و هم أهل اليقين، فقال لهم: أنا صالح، فقالوا: أخبرنا خبراً لا نشك فيه أنك صالح، إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى الْخَالِقَ يَحُولُ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ، و قد أخبرنا و تدارسنا بعلامات صالح عليه السلام إِذَا جَاءَ. فقال: أنا الذي آتيتكم بالناقعة، فقالوا: صدقت و هي التي تتدارس فما علامتها؟ قال: لها شرب يوم و لكم شرب يوم معلوم، فقالوا: آمناً بالله و بما جئتنا به، فقال عند ذلك ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ و هم الشكَّاء و الجحَّاد: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ قال زيد الشَّحَام: قلت: يابن رسول الله، هل كان فيهم ذلك اليوم عالم؟ قال: الله أعلم من أن يترك الأرض بلا عالم، فلمَّا ظهر صالح عليه السلام اجتمعوا عليه، و إِنَّمَا مَثَلُ عَلِيٍّ و القائم صلوات الله عليهما في هذه الأمة مثل صالح عليه السلام.. " (٢) يشير الأمام عليه السلام الى تماثل غيبة النبي عليه السلام مع الأنمة عليهم السلام .

(١) سورة الاعراف : ٧٦.

(٢) التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة : ١٦ / ٥٤٤ نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ١٦٤-١٦٥ ح ٦ . وقصص الأنبياء ، قطب الدين الراوندي : ١٠٣ ح ٩١ نقلاً عن بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١١ / ٣٨٧ ح ١٢ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

الآية الرابعة : ما ورد في غيبة النبي شعيب عليه السلام قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (١)

جاء في التفسير : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : "إن شعيباً النبي دعا قومه إلى الله حتى كبر سنه، ودق عظمه، ثم غاب عنهم ما شاء الله، ثم عاد إليهم شاباً، فدعاهم إلى الله تعالى فقالوا: ما صدقناك شيخاً فكيف نصدقك شاباً ؟ وكان علي عليه السلام يكرر عليهم الحديث مراراً" (٢)

الآية الخامسة: ما ورد عن غيبة النبي عيسى عليه السلام قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْخُلِ الْبَيْتَ بِهَذَا فَاتَّخِذْهُ مَقَرًا لَكَ وَمِنْ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْهُ بِسَلَامٍ وَأَمَّا الْيَهُودُ فَكَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٣)

جاء في التفسير ان معنى الآية هو "أخذ النبي عيسى عليه السلام من عالم الأرض ومن بين الناس، وحفظه عن مكر اليهود، من دون أن ينالوا منه شيئاً حتى زمان عودته إلى الأرض، ورفعته عالياً - وهو أعلم من العلو المعنوي كشراف المنزلة والفضيلة، والعلو المحسوس الظاهري إلى السماء كما في الأجسام الخارجية إذا أعليت عن مقرها، وتطهيره من رجس الكافرين وكفرهم، وابتعاده عن مخالطتهم ومكائدهم وعن مجتمع استولت عليه كل رذيلة وكفر وجحود، ووعدّه وتبشيرّه وتبشير أتباعه الذين آمنوا به واهتدوا بهديه بالخير والتفوق على الذين كفروا" (٤)

(١) سورة هود : ٩١ .

(٢) ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي القائني : ٩ / ١٧٨ . والنور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، نعمت الله جزائري: ٢١٣ . والتيسير في التفسير للقرآن برواية أهل البيت عليهم السلام ، ماجد ناصر زبيدي : ٢ / ٣٧٣ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ١٢ / ٣٨٥ ح ١٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٥٥ .

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الأعلى سبزواري: ٥ / ٣٢٤ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

إذاً هناك تحقق للغيبة في رفعه وهي غيبة كبرى امتدت الى يومنا هذا ، فهو حي محجوب عن الناس (١)، ثم هناك جهة أخرى في حياة النبي عيسى عليه السلام مرتبطة بالغيبة، وهي سياحته في الأرض، وقد نبّه عليها الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) بقوله: "وكانت للمسيح عليه السلام غيبات يسيح فيها في الأرض، فلا يعرف قومه وشيعته خبره، ثم ظهر فأوصى إلى شمعون بن حمون عليه السلام، فلمّا مضى شمعون غابت الحُجج بعده واشتدّت الطلب، وعظمت البلوى، ودرس الدين، وضيّعت الحقوق، وأميتت الفروض والسُنن، وذهب الناس يميناً وشمالاً لا يعرفون أيّاً من أي، فكانت الغيبة مائتين و خمسين سنة" (٢)

وقال القرطبي (ت ٦٧١ هـ) بأن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم (٣) ونقلوا الخبر عن النبي ﷺ : "أنه سينزل و يقتل الدجال" ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك ، فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه (٤)

وقد نقل العديد من المفسرين أن هناك أربعة من الأنبياء في الأحياء: اثنان في الأرض وهما الخضر (٥) وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى (٦)

(١) إنّ غيبة النبي عيسى عليه السلام بأخذه للسماء وانقطاعه عن الناس، بينما غيبة ولينا المنتظر عليه السلام هي غيبة العنوان لا غيبة الشخص، فهو موجود بين الناس لكنهم لا يعرفون أنّه الإمام عليه السلام، وفي دعاء الندبة: "بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَارِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا" مصباح الزائر ، رضي الدين بن طاووس: ٢٣٠-٢٣٤.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ١ / ١٨٨-١٨٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ١٠٠ .

(٤) ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي: ٨ / ٢٣٧ . وجامع البيان، محمد الطبري : ٣ / ٣٩٦

(٥) قال المناوي (ت ١٠٣١ هـ): "والأصح عند الجمهور أنه نبي معمر محجوب عن الأبصار وهو حي عند عامة العلماء وعامة الصلحاء وقيل لا يموت إلا في آخر الزمان حتى يرتفع القرآن " فيض القدير ، عبد الرؤوف المناوي : ٢ / ٥٧٥ .

(٦) تفسير السمعاني ، ابو المظفر السمعاني: ٣ / ٣٠٠ . وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، عبد الملك العصامي : ١ / ١٣٦ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وقد جرت الغيبة للكثير من الأنبياء كغيبة النبي يوسف عليه السلام ^(١) وغيبة النبي موسى عليه السلام ^(٢) وغيبة النبي سليمان عليه السلام ^(٣) وغيبة النبي عزير عليه السلام ^(٤) وغيبة النبي يونس بن متى عليه السلام حين غاب أربعين يوماً في بطن الحوت ^(٥)

المطلب الثاني: ثبوت الغيبة في الإمامة

وقد جرت أعظم الغيبيات في الإمامة وهي غيبة الإمام الحجة بن الحسن المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) الإمام الثاني عشر من سلسلة الأئمة المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) المولود سنة ٢٥٥ هجرية ، الذي استتر عن الناس بأمر من الله تعالى وإرادة منه جلّ شأنه ، وغيبته من القضايا المعروفة والمتفق في ثبوتها عند الإمامية لأنّ الأرض لا تخلو من حجة وإمام ^(٦) وأنّ الاعتقاد بالغيبة مما أخبر به الوحي والنصوص الدينية المعتبرة الدالة على وجوب الايمان بها.

-
- (١) ينظر: تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٣٩ . وآيات الأنوار في فضائل النبي وآله الأطهار عليهم السلام ، محمود يوسف غروي : ٢٠٢ نقلاً عن الغيبة، الطوسي : ٣٣٢ ح ٢٧٤
- (٢) ينظر :الإمام المهدي في القرآن والسنة ، سعيد أبو معاش : ١٩٥ . نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ١٨١ .
- (٣) "ثم إن سليمان أخفى أمره واستتر من شيعته ما شاء الله " النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، نعمت الله جزايري : ١ / ٣٥٩ .
- (٤) ينظر :النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، نعمت الله جزايري: ٣٩٩. وبحار الانوار ، المجلسي: ٥١ / ٢١٧ . وكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق: ١٥٩ ح ١٧ ب ٧ .
- (٥) ينظر : التبيان ، الشيخ الطوسي : ٨ / ٥٣٠ .
- (٦) فقد ألفوا فيها العديد من الكتب منها : كتاب الغيبة للشيخ الطوسي وهو من أهم الكتب المعتبرة في هذا المضمون وفيه ثمانية فصول وفي كل فصل مجموعة من المطالب المهمة في إثبات الغيبة ورد الشبهات حولها وما يتعلق بها من مسائل ويحتوي على (٥٠٥) حديثاً، وقد سبق الشيخ الطوسي في التأليف حول هذا المضمون جمع من مصنفي الإمامية وشيوخهم منهم: الشيخ الثقة الجليل الفضل بن شاذان ت ٢٦٠ هـ في كتابه (إثبات الرجعة) في إثبات الغيبة، ومنهم: الشيخ النعماني حدود ٣٦٠ هـ تلميذ الشيخ الكليني وكاتبه في كتابه المعروف بـ(غيبة النعماني)، ومنهم: والشيخ الصدوق ت ٣٨١ هـ في كتابه(كمال الدين وتمام النعمة) وغيرهم .

ومما يدل على وقوع الغيبة في الإمامة:

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١)

ان اطلاق الغيب في الآية الكريمة يعني مطلق ما غاب عن الحواس من الامور لذلك ورد في تفسير الآية معاني عدة " فقد قال جماعة من الصحابة كابن مسعود وغيره: إنّ الغيب ما غاب عن العباد علمه من أمر الجنة و النار و الأرزاق و الأعمال و غير ذلك و هو الأولى لأنّه عام، و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان الغيبة، ووقت خروج المهدي عليه السلام" (٢)

وقد أستاذت العديد من المفسرين على روايات الأئمة عليهم السلام التي تُفسر قوله تعالى بأنّ الغيب في الآية هو غيبة الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) الذي وعد الله تعالى في القرآن ، ومنها تفسير رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ وعد بحصول هذه الغيبة في زمانها المعهود ، فقد جاء في تفسير الآية عن جابر بن عبد الله الانصاري، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث يذكر فيه الاثمة الاثنا عشر و فيهم القائم (عليه السلام) حتى قال (صلى الله عليه وآله) : "طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبته ، اولئك من وصفهم الله في كتابه، فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.." (٣)

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ (٤)

جاء في تفسير الآية ما ورد عن أمّ هاني، قالت: لقيت أبا جعفر (عليه السلام)، فسألته عن قول الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ ، فقال (عليه السلام): "إمام يخنس في

(١) سورة البقرة: ٣ .

(٢) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ١ / ١٢١ . موسوعة ابن ادریس الحلّي ، محمد بن إدريس : ٢ / ٦٥ . وللاطلاع على باقي المعاني ينظر التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة : ٢ / ١٠٢-١٠٥ .

(٣) ينظر :تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ١/ ١٢٤ ح ٦ . ومجد البيان في تفسير القرآن ، محمد نجفي : ٤٠٥ . وتفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، حسن نظام الأعرج : ١ / ١٤٤ . وكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ٣٢٠ ح ١٩ .

(٤) سورة التكوين : ١٥-١٦ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

زمانه عند انقطاع من علمه عند الناس سنة ستين ومائتين، ثم يبدو كالشهاب الوقّاد، فإن أدركت ذلك قرّت عينك " (١) أي عند انقطاع وجود الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وبدأ الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ، ووصف بأنه يخنس أي يغيب.

وفي حديث آخر قال عليه السلام: نعم المسألة سألتيني، يا أمّ هانئ ، هذا مولود في آخر الزّمان ، هو المهديّ من هذه العترة ، يكون له حيرة وغيبة يضلّ فيها قوم ويهتدي فيها قوم. فيا طوبى لك إن أدركته. ويا طوبى لمن أدركه " (٢)

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٣)

وعد الأئمة عليهم السلام بعد ما وعد رسول الله صلى الله عليه وآله بحصول هذه الغيبة في العديد من الاحاديث المتواترة منها ما ورد عن الامام الصادق عليه السلام : "ان للقائم منا غيبة يطول أمدها، فقلت له: ولم ذلك يا بن رسول الله؟ قال: إن الله عزّ وجلّ أبى إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء في غيبتهم، وإنه لا بد له يا سدير من استيفاء مدد غيبتهم ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ اي على سنن من كان من قبلكم " (٤)

وقد ذكرت الروايات التفسيرية هذا التوارد في سنن الانبياء ، كتوارد غيبة النبي موسى عليه السلام وغيبة الامام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) ، منه ما روي عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول : " في القائم عليه السلام سنة من موسى بن عمران عليه السلام فقلت: وما سنته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده،

(١) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٥ / ٥٩٥ . وتفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٥ / ٥١٧ . وتأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، علي استرآبادي : ٧٤٤ . نقلاً عن الكافي ، الشيخ الكليني : ٢٣ / ٢٧٦ . والغيبة ، محمد النعماني : ١٥٢ ح ٧ ب ١٠ .

(٢) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ١٤ / ١٥٢ . نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ٣٣٠ ح ١٤ .

(٣) سورة الإنشقاق : ١٩ .

(٤) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٥ / ٦١٩ ح ١١٤٩٩ . وكنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ١٤ / ٢٠٣ . ونور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٥ / ٥٣٩ . وكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ٤٨١ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وغيبته عن قومه، فقلت: وكم غاب موسى عن أهله وقومه؟ فقال: ثماني وعشرين سنة" (١)

وروى الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام: "إِنَّ سُنَنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمَا وَقَعَ بِهِمْ مِنَ الْغَيَبَاتِ حَادِثَةٌ فِي الْقَائِمِ مَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَذُو النُّعْلِ بِالنُّعْلِ وَالْقَدَّةَ بِالْقَدَّةِ" (٢) وكلام المعصوم في الروايتين صريح بتوارد حصول الغيبة في النبوّة والإمامة .

المطلب الثالث : موارد ثبوت الغيبة في النبوّة والإمامة

من غيبت الأنبياء التي هي ظاهرة وطيدة الصلة جداً وقريبة جداً في بدئها وختمها بقضية الإمام المهدي عليه السلام ، وهي غيبة النبي عيسى عليه السلام ، فمما توارد بينهما في التفاسير هو:

١ - إنكار الغيبة : عن الإمام الصادق عليه السلام: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَدَارَ فِي الْقَائِمِ مَنَا ثَلَاثَةَ أَدَارَها لثَلَاثَةِ مِنَ الرِّسْلِ، قَدَرِ مَوْلَدِهِ تَقْدِيرِ مَوْلَدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدَرِ غَيْبَتِهِ تَقْدِيرِ غَيْبَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدَرِ إِبْطَاءِهِ تَقْدِيرِ إِبْطَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَمْرَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ - أَعْنِي الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - دَلِيلًا عَلَى عَمْرِهِ .. وَأَمَّا غَيْبَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّفَقَتْ عَلَى أَنَّهُ قَتَلَ فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (٣) كذلك غيبة القائم فإن الأمة ستكرها لطولها فمن قائل يقول: إنه لم يولد، وقائل يفترى بقوله: إنه ولد ومات، وقائل يكفر بقوله: إن حادي عشرنا كان عقيماً، وقائل يمرق بقوله : إنه يتعدى إلى ثالث عشر فصاعداً، وقائل

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ١٠ / ٦١ . وتفسير نور الثقلين ، عبد

علي الحويزي : ٤ / ١٢٥ . نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ١ / ١٨٠

(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ١ / ٣٧٣ ح ٣١ ب ٣٣ . وبحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥١ / ١٤٦ ح ١٤٦ .

(٣) سورة النساء : ١٥٧ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

يعصى الله بدعواه: إن روح القائم عليه السلام ينطق في هيكَل غيره" (١) فكما أنكرت الناس حياة عيسى عليه السلام وادعت موته كذلك ما يحصل للإمام الغائب عليه السلام.

وبهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " من انكر خروج المهدي فقد كفر بما انزل على محمد ومن انكر نزول عيسى فقد كفر.." (٢) فتواردت حرمة نكران الغيبيتين .

٢ - الإصلاح : قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣) أي ان إظهار دين الإسلام سيكون عند خروج الامام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) على أرجاء الأرض كافة وملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وهو الموعد المنتظر الذي تترقب ظهوره جميع الأمم والأديان البشرية ليقيم دولة العدل والحق في ربوع المعمورة (٤)، وقد بات واضحاً لدى المسلمين أن عيسى عليه السلام ينزل لتكون له مساهمة ما ومشاركة ودور ما في تلك الدولة الإلهية التي ستقام على الأرض لإصلاحها (٥) وان له الدور الاساسي في تغيير الاوضاع السياسية في الشعوب الغربية (٦)

وأخرج البحراني في غاية المرام عن الثعلبي عند قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ السَّاعَةَ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٧) قال : ذاك عيسى بن مريم،

(١) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٩٣ / ٤ . وكنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد المشهدي : ٥٨٠ / ٣ . وتفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ٥٦٩ / ١ . وكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ٣٨٣ / ١ .

(٢) فرائد السمطين، إبراهيم الجويني : ٢٣٤ / ٢ .

(٣) سورة التوبة : ٣٣ .

(٤) ينظر : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ٣٦٥ / ٢ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٧ / ١٢٠ . وتفسير البرهان، هاشم البحراني : ٢٣٠ / ٣ ح ١٢ في تفسير الآية ٦ من سورة القصص .

(٥) ينظر : التفسير الكبير ، سليمان الطبراني : ٤١١ / ٥ . وقد ورد من الأحاديث ما أخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "ينزل ابن مريم إماماً عادلاً و حكماً مقسطاً فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يرجع السلم و تتخذ السيوف مناجل و تذهب حمة كل ذات حمة و تنزل السماء رزقها و تخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان و لا يضره و يراعى الغنم الذئب و لا يضرها و يراعى الأسد البقر و لا يضرها" الدر الثور، جلال الدين السيوطي : ٢٤٢ / ٢ .

(٦) ينظر : عصر الظهور ، الشيخ الكوراني : ٤٩ .

(٧) سورة الزخرف : ٦٢ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

ثم قال : قال النبي ﷺ : ينزل عيسى بن مريم عند انفجار الصبح ما بين مهر و دين وهما ثوبان أصفران من الزعفران ، أبيض ، أصهب الرأس (أي يميل شعره إلى الحمرة الممزوجة بصفرة) أفرق الشعر كأن رأسه يقطر دهنًا، بيده حربة يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويهلك الدجال، ويقبض أموال الإمام القائم عليه السلام ويمشي خلفه أهل الكهف وهو الوزير الأيمن للقائم ، وحاجبه ونائبه، ويسيطر في المغرب والمشرق الأمن كرامة الحجة بن الحسن عليه السلام .. " (١)

٣ - زمن الظهور : من الأحداث الحتمية بعد ظهور الامام المهدي المنتظر عليه السلام نزول عيسى المسيح عليه السلام الى الارض ، فقد أجمع المسلمون في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (٢) ، على أن عيسى المسيح عليه السلام ينزل من السماء إلى الأرض في آخر الزمان فيبايع المهدي عليه السلام ويصلي خلفه (٣) ، وأكد ذلك الاجماع الشيخ حسين عبد الوهاب (٤) في كتابه : " عن رسول الله ﷺ انه أخبر الأمة بخروج المهدي خاتم الأئمة عليهم السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وان عيسى عليه السلام ينزل عليه في وقت خروجه وظهوره ويصلي خلفه ، وهذا خبر قد اتفقت عليه الشيعة

(١) المهدي الموعود المنتظر عند علماء السنة والإمامية ، نجم الدين العسكري : ٢ / ٢٢٠ نقلاً عن غاية المرام، هاشم البحراني: ٩٣ / ٧. وإلزام الناصب، علي اليزدي الحائري: ١٥٠ / ١٥٩ . سورة النساء : ١٥٩ .

(٣) ينظر : تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٣ / ٧٦٨ ح ٧٠٢٢ . وتفسير نور الثقلين : عبد علي الحويزي : ٥ / ١٦٥ . ومن مصادر العامة : ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٢ / ٤٠٨ . والتفسير الكبير ، سليمان الطبراني : ٥ / ٤١١ . والدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ٢ / ٢٤٤ . وفي رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك : ٢٥ / ٥٣٩٦ . وعقد الدرر ، السلميّ المقدسي: ٣٤٧-٣٤٨. وللوقوف على مزيد من الروايات وأقوال المحدثين حول صلاة المسيح عليه السلام خلف المهدي عليه السلام ينظر: واحة اليقين، حيدر الطحان البغدادي: ٦٠٦-٦٠٧.

(٤) هو الشيخ حسين بن عبد الوهاب أحد الفطاحل من علماء القرن الخامس ، كان مشاركاً للشريفيين المرتضى والرضي في بعض المشايخ كأبي التحف المصري وأمثاله ، وكتابه «عيون المعجزات» من مصادر بحار الأنوار للعلامة المجلسي واعتمد عليه السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز.

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

والعلماء وغير العلماء والسنة والخاص والعام والشيوخ والأطفال لشهرة هذا الخبر^(١) وهذا من اهم موارد الاتفاق بين الفريقين فيما يخص الإمام المهدي عليه السلام .

٤ - سبب الغيبة : وذلك ان اليهود اجتمعت على عيسى بن مريم عليه السلام ليقتلوه بزعمهم ، فأوحى الله الى جبرائيل عليه السلام ارفعه الى عندي ، فرفعه اليه وغيّبه عن قومه^(٢)، كذلك بعد وفاة الامام الحسن العسكري عليه السلام شهيدا كان الافق ملتهباً في طلب ولده الامام المهدي المنتظر عليه السلام فقد جد النظام العباسي بكل قواه واساليبه من اجل القبض عليه ، وبعد محاولات باءت بالفشل أرسل المعتضد جيشاً مدرباً لدار الإمام في سامراء، فهجموا على الدار، وكان الإمام متواجداً فيها، فخرج منها بلحظة خاطفة، شلت بها الأيدي عن التحرك والعمل، والجيش ينظر، وقائدهم في ذهول من ذلك، فقال لهم انزلوا عليه، قالوا: أليس هو مر عليك؟ قال: ما رأيته، ولم تركتموه؟ قالوا حسبنا أنك تراه! ^(٣)

فقد ورد في غيبة الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) أسباب^(٤) منها خوفه من القتل ، فقد روي عن عبد الملك بن أعين، قال: "سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم. قلت: ولم؟ قال: يخاف - وأومئ بيده إلى بطنه- يعني القتل "^(٥) فإن في مقتله استحالة في توطيد العدل من دونه في آخر الزمان .

(١) عيون المعجزات : ١ / ١٣٠ .

(٢) ينظر : بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٤ / ٣٣٧ ح ٨ .

(٣) ينظر : صحيفة صدى المهدي عليه السلام الشهرية التابعة لمركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام العدد: ٢٨ بتاريخ: ٤ / ٦ / ٢٠١٣ م .

(٤) للإطلاع على الأسباب الأخرى لعلّة غيبة الإمام المهدي عليه السلام ينظر : الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ، محمد جميل العاملي : ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٥ .

(٥) كتاب الغيبة ، محمد النعماني : ١ / ١٨٠ . وعلل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١ / ٢٤٦ ح ٩ . وكمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ٨١ / ٤٨١ ح ٨ . والغيبة : الشيخ الطوسي: ٣٣٢ ح ٢٧٤ .

المبحث الثاني: المعاد الجسماني

توطئة : مفهوم المعاد

المعاد في اللغة: كل شيء إليه المصير والمآل ، وهو مصدر عاد إليه يعود عوداً ، وعودة ومعاداً ، أي رجع وصار إليه (١) ، " وفي صفات الله تعالى المبدأ والمعيد ، قال الأزهرى: بدأ الله الخلق إحياء ثم يميتهم ثم يعيدهم أحياء كما كانوا.." (٢)
المعاد في الاصطلاح: " هو الوجود الثاني للأجسام وإعادتها بعد موتها وتفرّقها" (٣)

والمعاد أصل من أصول الدين الإسلامي والأديان السماوية، ويراد منه في اصطلاح المتكلمين " هي أنّ الرُّوح بعد مفارقتها للجسد تعود مرة أخرى - وبإذن الله ومشيتته - إلى نفس البدن الذي عاشت به ليلقى الإنسان جزاء ما عملهُ في الدنيا، في العالم الآخر، إنّ خيراً فخيّر، وإنّ شراً فشر" (٤)

يقول محمد جميل العاملى : "نعتقد أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده فيثيب المطيعين ويعذب العاصين، وهذا أمر على جملته وما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الأكرم ﷺ ، فإن من يعتقد بالله اعتقاداً قاطعاً، ويعتقد كذلك بمحمد رسولاً منه أرسله بالهدى ودين الحق، لا بد أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث والثواب والعقاب والجنة والنعيم والنار والجحيم ، وقد صرح القرآن بذلك ولمح إليه بما يقرب من ألف آية كريمة" (٥) .

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٤ / ١٨١ مادة (عود) .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور : ٣ / ٣١٥ (عود) .

(٣) النافع يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر ، الفاضل المقداد: ٨٦ .

(٤) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، جعفر السبحاني : ٢٣٤ .

وينظر : شرح المقاصد ، سعد الدين التفتازاني: ٨٢ / ٥ .

(٥) الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية : ٢ / ٦٠٩ .

ومن هذه الآيات الدالة على وقوع القيامة والمعاد الجسماني بالقطع والجزم :

١ - قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (١) "وفي قوله تعالى صورة الاستفهام و معناه الإنكار على من أنكر البعث و النشور، فقال الله له أیظن الإنسان الكافر أن لن نجمع عظامه و نعيده إلى ما كان أولاً عليه" (٢)

٢ - وقوله تعالى : ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٣) "أي: بل إن هؤلاء الكافرين في خلط و شك و حيرة من أن يكون هناك خلق جديد أي خلق مستأنف لهم بعد موتهم، مع أنهم - لو كانوا يعقلون - لعلموا أن القادر على الخلق من العدم، قادر على إعادة هذا المخلوق من باب أولى" (٤)

٣ - خروج من الأجداث والقبور، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ (٥) ، "أي يعيدهم بعدما صاروا في قبورهم رمماً و يوجد لهم بعد العدم" (٦)

٤ - شهادة الأعضاء يوم القيامة ، قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨) فالآيات دالة على أن الإنسان يحضر إلى الحساب بكامل جوارحه ، وتكون ضمن الشهود على أعماله (٩)

(١) سورة القيامة : ٣-٤ .

(٢) التبيان ، الشيخ الطوسي : ١٠ / ١٩١ .

(٣) سورة ق : ١٥ .

(٤) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي: ١٣ / ٣٣٩ .

(٥) سورة الحج : ٨ .

(٦) في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك: ٢٠ / ٣٥٧٨ .

(٧) سورة يس : ٦٥ .

(٨) سورة فصلت: ٢٠ .

(٩) ينظر : التفسير الواضح الميسر ، محمد علي صابوني: ١١٠٨ .

وفي ذلك أخبار كثيرة منها :

١ - ما ورد عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "سئل عن الميت يبلى جسده؟ قال : نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خُلق منها، فإنها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خُلق أول مرة" (١)

٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "تنوّقا (٢) في الأكفان فإنكم تبعثون بها" (٣)

٣ - عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "جاء أبي بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففته ثم قال : يا محمد إذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون؟ فأنزل الله : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنِيَ خَلْقَ قَالٍ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٤)" (٥)

٤ - قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الغراء : "حتى إذا تصرّمت الأمور ، وتقضت الدهور ، وأزف النشور ، أخرجهم من ضرائح القبور ، وأوكلار الطيور ، وأوجرة السباع ، ومطارح المهالك ، سراعاً إلى أمره ، مهطعين إلى معاده ، رعيلاً صموتاً ، قياماً صفوفاً..." (٦)

(١) من هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي : ١٨ / ١٩ . والفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، محمد صادقي : ٢٩ / ١٤١ . ونفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي : ٥ / ٢٦٧ نقلاً عن بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٧ / ٤٣ ح ٢١ .

(٢) أي : أطلبوا أحسنها وجودتها من قولهم : تنوّق وتنوّق في مطعمه ومشربه ، تجود وبالغ . لسان العرب ، ابن منظور : ١٠ / ٣٦٤ .

(٣) مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي : ٢ / ٢٣٦ . نقلاً عن الكافي ، الشيخ الكليني : ٣ / ١٤٩ ح ٦ .

(٤) سورة يس : ٧٨-٧٩ .

(٥) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود : ٢ / ٢٩٦ . والأصفي في تفسير القرآن ، الفيض الكاشاني : ٢ / ١٠٤٢ . والجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، عبد الله شبر : ٤ / ٢٧ .

(٦) نهج البلاغة ، صبحي الصالح : ١٠٨ الخطبة : ٨٣ .

المطلب الأول: توارد المعاد الأصغر في الرجعة للنبوة والإمامة

توطئة : في معنى الرجعة

الرجعة من نوع البعث والمعاد الجسماني لكونها مظهرٌ مصغَّرٌ من القيامة لفئة محدودة ، فهي من مراتب أو إرهاصات المعاد الأكبر النهائي الذي يُحشَر فيها الناسُ أجمعون وبلا استثناء ، ويوم الرجعة هو من مراتب يوم القيامة ^(١)، ومن أيام الله تعالى ^(٢)

والرجعة في اللغة : من الرجوع والرجع أي العودة بعد الذهاب ^(٣) ، فلان يؤمن بالرجعة، أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت ^(٤)

ويطلق على الرجعة الكرّة أيضاً، وهو من الألفاظ المرادفة لها، قال الجوهري: "الكرّ: الرجوع، يقال: كره وكر بنفسه، يتعدى ولا يتعدى" ^(٥) فالرجعة والرجوع بمعنى المعاودة التي هي نقيض الذهاب.

وفي الاصطلاح : "هو رُجوع الرّوح الى نفّس الجِسم والبدن الأوّل الذي فارّقته، وهو أشبه ما يكون بعودة الموتى إلى الحياة في الأمم السابقة وبالمعاد الجسماني الذي يقع في القيامة" ^(٦) ، "وهو الاعتقاد بأن أقواماً يرجعون في آخر الزمان الى

(١) ينظر: الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ، محمد جميل العاملي : ٢ / ٣٧٤. والعقيدة الإسلامية ، جعفر السبحاني: ٢٩٤ .

(٢) ورد فيها الخبر الشريف الوارد عن مثنى الحنّاط قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : أيام الله عز وجل ثلاثة : "يقوم القائم ويوم الكرة ويوم القيامة"، والكرة : هي الرجعة . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦١ / ٧ . نقلاً عن الخصال ، الشيخ الصدوق : ١٠٨ .

(٣) ينظر: المنجد في اللغة ، علي الهنائي: ٢٥٠

(٤) القاموس المحيط ، الفيروز ابادي : ٣ / ٢٨ .

(٥) الصحاح ، الجوهري : ٢ / ٨٠٥ . لسان العرب ، ابن منظور: ١٣٥/٥ .

(٦) العقيدة الإسلامية ، جعفر السبحاني : ٢٩٤ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

الحياة الدنيا بعد موتهم ويحيون على هذه الأرض حياة ثانية الى ان يموتوا مرة اخرى أو يقتلوا" (١)

وقد ورد في القرآن الكريم مصطلح الرجعة بمعنى العودة ، منه قوله تعالى : **﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾** (٢) "أي: أنه تعالى على إرجاعه إلى الحياة بعد إماتته وإفناء جسده لقادر" (٣)

يتضح مما تقدم أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة في صورهم التي كانوا عليها، ثم يموتون موتهم الثاني .

والرجعة من عقائد الامامية (٤) وذلك عند قيام المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، فيعز الله بها فريقاً ويذل فريقاً آخر، ويديل المحقين من المبطلين ، والمظلومين منهم من الظالمين (٥) وهي من معجزاته عليه السلام كما حصلت لأبائه الطاهرين عليهم السلام (٦) .

(١) إثبات الرجعة ، علي آل محسن : ٩ .

(٢) سورة الطارق : ٩ .

(٣) معارج التفكير ودقائق التفكير ، عبد الرحمن ميداني : ٣ / ٢٧٠ .

(٤) ذلك لورود الروايات الكثيرة المتواترة التي نقلها الثقات عن أئمة الهدى عليهم السلام ، ومنه ما جمع السيد محمد مؤمن الحسيني الاستربادي (ت ١٠٨٨ هـ) في رسالته المختصرة في الرجعة نحو ١١١ حديثاً من الكتب المعتمدة ، وأخرج الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) في كتابه (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة) ما يزيد على ٦٢٠ بين آية وحديث صريح في الرجعة نقلها عن سبعين كتاباً قد صنفها عظماء علماء الإمامية ، وجمع العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ) نحو ٢٠٠ حديث في باب الرجعة من كتاب (بحار الأنوار) وأفردوها في تأليف خاص بها، نذكر منها : كتاب الرجعة للبطائني ، وكتاب (إثبات الرجعة) و (الرجعة وأحاديثها) و(مختصر إثبات الرجعة) للفضل بن شاذان النيشابوري (ت ٢٦٠ هـ) ، وكتاب الرجعة للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، وكتاب (الرجعة) للعايشي ، وكتاب (إثبات الرجعة) للعلامة الحلي.

(٥) ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة : ١ / ٥٤٨ . وتفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٧ / ٤٠٥ .

(٦) ينظر: كتاب مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني تجد هذا الأمر من بعض معاجزهم .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في العُيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وقد نقل جماعة من العلماء إجماعهم على اعتقاد صحة الرجعة وإطباقها على نقل أحاديثها وروايتها، وعلى أنها من اعتقادات أهل العصمة عليهم السلام، وكل ما كان من اعتقاداتهم فهو حق، وتأولوا معارضها على شدوذ وندور (١).

وقد ذكر العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ) هذا الاجماع بقوله : "أجمعت الشيعة على الرجعة في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار، حتى نظموها في أشعارهم واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم، وشنّ المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم، منهم الرازي والنيسابوري وغيرهما" (٢).

فليس للرجعة في كتب العامة أثر يذكر سيما بالمعنى الذي جاء في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام (٣)، إلا على سبيل بيان آراء الامامية للقول بأنها من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها ، ولكنهم نقلوا روايات في رجوع الأموات إلى الحياة الدنيا ولم يستنكروها بل عدوها من المعاجز أو الكرامات ، ففي حادثة عودة قوم موسى عليه السلام الى الحياة من بعد ما أماتهم الله تعالى بالصاعقة ، جعلها ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) معجزة مع انها مصداق جلي وتطبيق نظري لمعنى الرجعة ، فذكر في تفسيره : "و قوله: «ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ» (٤) إيجاز بديع، أي فَمِتُّم من الصاعقة ثم بعثناكم من بعد موتكم، وهذا خارق عادة جعل الله معجزة لموسى

(١) ينظر : الاعتقادات ، الشيخ الصدوق : ٦٠ . وأوائل المقالات : الشيخ المفيد : ٤٦ .
ورسائل الشريف المرتضى (الدمشقيات) : ١٣٦ / ٣ . ومتشابه القرآن ومختلفه ، ابن شهر آشوب : ٩٧ / ٢ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٣٦٧ / ٧ . الإيقاظ من الهجعة ، الحر العاملي : ٤٣ .

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٢٢ / ٥٣ .

(٣) وقد ألف عبد الله بن محمد الأموي القرشي (ت ٢٨١ هـ) كتاباً في ذلك عنوانه (من عاش بعد الموت) وصدر هذا الكتاب محققاً عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٩٨٧ م. وأفرد أبو نعيم الأصفهاني في "الدلائل" والسيوطي في "الخصائص" باباً في معجزات الرسول صلى الله عليه وآله في إحياء الموتى . ينظر: دلائل النبوّة : ٢٢٣ ، والخصائص الكبرى : ١١٠-١١٤ . وروى الماوردي والقاضي عياض بعض معجزاته صلى الله عليه وآله في إحياء الموتى . ينظر: اعلام النبوّة: ١٤١ .
والشفا: ١ / ٦١٤ .

(٤) سورة البقرة : ٥٦ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

إستجابة لدعائه و شفاعته أو كرامة لهم من بعد تأديبهم إن كان السائلون هم السبعين فإنهم من صالحى بني إسرائيل" (١)

و(الرجعة) تختلف عن (التناسخ) الذي معناه "رُجوع الرّوح بعد خُروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر" (٢)، "وتشبيهه الأوّل بالثاني تشبيهٌ خاطئٌ جداً، وذلك لأنّ التناسخ يعني عودة الرّوح والنفس إلى الحياة بعد الموت مرّةً أخرى ابتداءً من مرحلة النطفة ، أو تعلّقها ببدنٍ آخر، والحال أنّه لا يحدث مثل هذين الأمرين الباطلين في الرجعة قط" (٣)

أولاً : الرجعة في القرآن الكريم:

"إن من أمعن النظر في الآيات الواردة حول المعاد يقف على أن المعاد الذي يصر عليه القرآن هو عود البدن الذي كان الإنسان يعيش به في الدنيا ولا يصدق عود الروح وحدها فقط، كما أنه لا يخص الثواب والعقاب بالجسمانية منهما بل يثبت أيضاً ثواباً وعقاباً روحانيين غير حسيين" (٤)

وقد اختارت الباحثة نماذج من الآيات التي تثبت الرجعة وإمكان وقوعها :

١ - الرجعة في الامم السابقة :

الآية الأولى : قال تعالى : ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٥)

جميع الروايات الواردة في تفسير هذه الآية المباركة تدل على أن هؤلاء ماتوا

مدة طويلة، ثم أحياهم الله تعالى، فرجعوا إلى الدنيا، وعاشوا مدة طويلة (٦)

(١) التحرير والتنوير : ٤٩١ / ١ .

(٢) أديان الهند الكبرى ، أحمد شلبي : ٦٣ .

(٣) العقيدة الإسلامية ، جعفر السبحاني : ٢٩٤ .

(٤) محاضرات في الإلهيات ، جعفر السبحاني : ٤١٥ .

(٥) سورة البقرة : ٢٤٣ .

(٦) ينظر : الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ١ / ٧٤١-٧٤٢ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

وجاء في تفسير ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) : "أن هؤلاء القوم، كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم، و أصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فراراً من الموت، هاربين إلى البرية، فنزلوا وادياً أفيح، فملئوا ما بين عدوتيه، فأرسل الله إليهم ملكين، أحدهما من أسفل الوادي، و الآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة، فماتوا عن آخرهم موة رجل واحد، فحيزوا إلى حظائر، و بني عليهم جدران و قبور، و فنوا و تمزقوا و تفرقوا، فلما كان بعد دهر، مرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل، يقال له حزقيل، فسأل الله أن يحييهم على يديه، فأجابه إلى ذلك، و أمره أن يقول: أيتها العظام البالية، إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض، ثم أمره فنادى: أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً و عصباً و جلدأ، فكان ذلك و هو يشاهد، ثم أمره فنادى: أيتها الأرواح، إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة و هم يقولون: سبحانك لا إله إلا أنت. وكان في إحيائهم عبرة و دليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة" (١) فهذه رجعة للحياة الدنيا بعد الموت .

وجاء من طرق الخاصة ان حمران بن أعين سأل الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام أن يحدثه عن تفسير الآية ، قائلاً: أحياهم حتى نظر الناس إليهم، ثم أماتهم من يومهم، أو ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء؟ قال عليه السلام: "بل ردهم الله حتى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ولبثوا بذلك ما شاء الله، ثم ماتوا بأجالهم" (٢)

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ١ / ٥٠٢ .

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود: ١ / ١٣٠ ح ٤٣٣ . ومجمع البيان ، الطبرسي: ٢ / ١٣٤ .

(٣) سورة البقرة : ٥٥-٥٦ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

جاء في التفسير ان البعث هو العودة والإحياء بعد الإماتة ، فإن الله تعالى أماتهم بالصاعقة ثم أحياهم بعد أن مكثوا ميتين يوماً وليلة فقاموا وعاشوا ينظر بعضهم الى بعض ليشكروا الله تعالى على إنعامه عليهم بالبعث بعد الموت (١)

" وهذه الآية تدلّ على إمكان الرجعة و وقوعها في الأمم الخالية و الرجعة الكبرى هي حشر بعد الموت قبل القيامة، عند ظهور موعود الأديان، مهدي الأمم وجامع الكلم عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً" (٢)

٢ - الرجعة في اخر الزمان :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٣)

"هذه الآية الكريمة أظهر آية دللتنا على ثبوت الرجعة، و هي الحشرة الصغرى قبل الحشرة الكبرى يوم القيامة؛ حيث التعبير وقع في هذه الآية بحشر فوج من كل أمة، أي جماعة منهم و ليس كلهم. أما الحشر الأكبر فهو الذي قال فيه تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤)، وقد تكرر قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ (٥)" (٦)

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره بالإسناد عن حماد، عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: "ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ قلت: يقولون إنها في القيامة ، قال (عليه السلام): ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، أيحشر الله في

(١) ينظر: صفوة التفاسير ،محمد علي صابوني : ١ / ٥٢ .والأساس في التفسير، سعيد حوي: ١ / ١٤٨ .

(٢) البشرى في معاني القرآن : شهاب الدين ذو الفقار : ١ / ٢٤٥ .

(٣) سورة النمل : ٨٣ .

(٤) سورة الكهف: ٤٧ .

(٥) سورة يونس : ٢٨ .

(٦) التفسير والمفسرون في الثوب القشيب ، محمد هادي معرفة : ١ / ٥٤٨ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقيين؟ إنما آية القيامة قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (١)

وقال الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) : "واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال: إن دخول (من) في الكلام، يوجب التبعية، فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه في الآية، يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾" (٢)

وإن أغلب المفسرين من غير الإمامية يمرون في تفاسيرهم بهذه الآية مروراً سريعاً، ويوزنون القول بكلمات معدودة، ويمكن إجمال حصيلة آرائهم في نقطتين: الأولى: إنها إخبار عن يوم القيامة (٣)، وبيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مبادئها (٤)

الثانية: إنها من الأمور الواقعة بعد قيام القيامة (٥)، وإن المراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لجميع الخلق (٦)، أي هو حشر بعد حشر. ويُرد هذا الكلام بأن تفسير الحشر الأول بيوم القيامة سيوقع التناقض في حق الله تعالى، فكيف يقول تعالى سنحشر من كل أمة فوجاً يوم القيامة، وسنحشر الناس جميعاً يوم القيامة؟

قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) : "لا خلاف أن الله يحيي الجملة يوم القيامة، فالفوج إنما يكون في غير القيامة" (٧)

وأيد السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) ذلك أيضاً بوقوع الآية (٨) والآيتين (٩) بعدها ، بعد نبأ دابة الأرض (١٠) وهي من أشراط الساعة، وقبل قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم : ١ / ٢٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٥٣ / ٦٠ ح ٤٩ .

(٢) تفسير مجمع البيان : ٧ / ٤٠٥ .

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٣ / ٣٨٨ .

(٤) ينظر: روح المعاني ، محمود الألوسي: ٢٠ / ٢٦ .

(٥) ينظر: التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي : ٢٤ / ٢١٨ .

(٦) روح البيان ، إسماعيل حقي البروسوي: ٦ / ٣٧٣ .

(٧) متشابه القرآن ومختلفه : ٩٧ / ٢ .

(٨) ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ سورة النمل: ٨٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ^(١) إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الْوَاصِفَةِ لَوَقَائِعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا مَعْنَى لَتَقْدِيمِ ذِكْرِ وَاقِعَةِ مَنْ وَقَائِعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى ذِكْرِ شُرُوعِهِ وَوُقُوعِ عَامَةِ مَا يَقَعُ فِيهِ، فَإِنَّ التَّرْتِيبَ الْوُقُوعِيَّ يَقْتَضِي ذِكْرَ حَشْرِ فَوْجٍ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ لَوْ كَانَ مِنْ وَقَائِعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ ذِكْرِ نَفْخِ الصُّورِ وَإِتْيَانِهِمْ إِلَيْهِ دَاخِرِينَ^(٢)

هنا طرح الطباطبائي فرضية أن لو كانت الآية هي من وقائع يوم القيامة وليست في الرجعة ، فإن الترتيب الوقوعي للأحداث يقتضي أن تذكر آية الحشر بعد آية النفخ ، لأن النفخ يكون قبل الحشر للقيامة ، لكن الآية جاءت قبل آية النفخ ، ويدل ذلك على أنها من أشراف الساعة قبل قيامها ، أي أنها في الرجعة .

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣)

"وجه الاستدلال بهذه الآية أنه أثبت الإحياء مرتين، ثم قال بعدها :ثم إليه ترجعون ، والمراد به القيامة قطعاً، والعطف - خصوصاً بـثم - ظاهر في المغايرة، فالإحياء الثاني إما في الرجعة أو نظير لها، وبالجمله ففيها دلالة على وقوع الإحياء قبل القيامة"^(٤) ، وجاء في تفسير الآية : "قال ابن عباس وابن مسعود: أي كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم - أي خلقكم - ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة"^(٥)

وهذا باطل لا يجري على لسان العرب، لأن الفعل لا يدخل إلا على ما كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله مواتاً لا يقال إنه أماته ،

(٩) ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة النمل: ٨٤
﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ سورة النمل: ٨٥ .

(١٠) ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ سورة النمل: ٨٢ .

(١) سورة النمل: ٨٧ .

(٢) ينظر: تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣٩٧ / ١٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢٨ .

(٤) الإيقاظ من الهجعة ، الحر العاملي : ٨٤ / ٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، محمد القرطبي : ٢٤٩ / ١ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وإنما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة، كذلك لا يقال أحيا الله ميتاً إلا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميتاً وهذا بين لمن تأمله (١)

وزعم بعضهم أن المراد بقوله: أمتنا اثنتين (٢) هي الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسألة، فتكون الأولى قبل الإقبار والثانية بعده (٣)

وهذا باطل من وجه آخر، وهو أن الحياة للمسألة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاتته في حاله ، وندم القوم على ما فاتهم في حياتهم المرتين يدل على أنه لم يرد حياة المسألة، لكنه أراد حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم والندم على تفريطهم، فلا يفعلون ذلك فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك (٤)

إذن فالمراد بالموتتين موتة عند انتهاء آجالهم، والموتة الثانية بعد عودتهم إلى الحياة ، وتفسير منكري الرجعة بأن الموتة الثانية قبل خلقهم حين كانوا عدماً لا يستقيم، لأن الموت لا يكون إلا للحَي، ويلزم هذا وجودهم أحياء وهم في العدم.

قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ): "هذه الآية تدل على أن بين رجعة الآخرة والموت حياة أخرى، ولا ينكر ذلك لأنه قد جرى مثله في الزمن الأول، قوله في قصة بني إسرائيل ، وقوله في قصة عزيز أو أرميا ، او قوله في قصة إبراهيم" (٥)
علمنا مما تقدم من مجموع التفاسير والأخبار المستفيضة أن الراجعين صنفان من المؤمنين والكافرين (٦) ، إذن هل إن قضية الرجعة جارية في الأنبياء والأئمة ؟ وهل هناك توارد في الرجعة بين النبوّة والإمامة ؟

(١) المسائل السرورية ، الشيخ المفيد : ٣٤ .

(٢) ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ سورة غافر: ١١ .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، محمد القرطبي : ١ / ٢٤٩ في تفسير سورة البقرة آية : ٢٨ .
وجامع البيان ، محمد الطبري : ١ / ٢٦٩ . والتبيان، الطوسي : ١ / ١٢٢ "وعن أبي صالح أنه قال: كنتم أمواتاً في القبور فأحياكم فيها، ثم يميتكم، ثم يحييكم يوم القيامة" تفسير الطبري، محمد الطبري : ١ / ٢٦٩ .

(٤) المسائل السروية ، الشيخ المفيد : ٤٣ .

(٥) متشابه القرآن ومختلفه : ٩٧ / ٢ .

ثانياً : توارد الرجعة في النبوة والإمامة :

١ - ما يدل على وقوع الرجعة للأنبياء عليهم السلام :

الآية الاولى : ما كان من رجوع الانبياء في الزمن الماضي: قصة نبي الله عزير عليه السلام في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

"أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الحاكم و صححه و البيهقي في الشعب عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال خرج عزير نبي الله من مدينته و هو شاب فمر على قرية خربة ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا فَقَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ فأول ما خلق منه عيناه فجعل ينظر إلى عظامه و ينظم بعضها إلى بعض ثم كسيت لحماً ثم نفخ فيه الروح فقيل له ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ فأتى مدينته وقد ترك جاراً له إسكافاً شاباً فجاء وهو شيخ كبير" (٢)

وروى العياشي بالإسناد عن إبراهيم بن محمد، قال: "ذكر جماعة من أهل العلم أن ابن الكواء الخارجي قال لأمير المؤمنين علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال عليه السلام: نعم، أولئك ولد عزير، حيث مر على قرية خربة، وقد جاء من ضيعة له، تحته حمار، ومعه شنة فيها تين، وكوز فيه عصير، فمر على قرية خربة، فقال: ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فتوالد ولده

(٦) فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : "إنَّ الرّجعة ليست بعامّة، وهي خاصّة، لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً" بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٣ / ٣٩ .

(١) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٢) الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ١ / ٣٣١ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وتناسلوا، ثم بعث الله إليه فأحياه في المولد الذي أماته فيه، فأولئك ولده أكبر من أبيهم" (١)

واختلف اهل التأويل في الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، فقال بعضهم هو النبي عزيز عليه السلام وقال آخرون هو النبي إرميا عليه السلام (٢) ، ولسنا بصدد تشخيص القائل في الآية الكريمة بشكل محدد ، وإنما بيان موضع الشاهد منه وهو حدوث الرجعة لأحد الأنبياء بشكل عملي ، بأن الله أماته ثم أحياه في الحياة الدنيا .

الآية الثانية : ما سيكون من رجوع الأنبياء في آخر الزمان في الزمن المستقبل : قوله تعالى : «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» (٣)

إذ تدل الآية على وجود عالم غير عالم الدنيا وعالم الميثاق ، أخذ الله فيه على أنبياءه ميثاقاً على الايمان بالرسول الخاتم ونصرته ، وجعل هذا العهد سبباً لنيلهم مقام النبوة ونزول الكتب والحكمة عليهم (٤)

وينقل الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في تفسيره عن الإمام علي عليه السلام قال: "إن الله تعالى ما بعث آدم عليه السلام و من بعده من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا أخذ عليهم العهد لنن بعث محمد عليه الصلاة والسلام و هو حي، ليؤمننّ به و لينصرنّه" (٥)

فكيف يأخذ الله على أنبياءه عهداً لا يمكن ان يتحقق في أرض الواقع ، فهم يعلمون والله يعلم أنهم لم يدركوا زمن رسول الله عليه السلام لأنه خاتمهم ، إلا إذا كان مقدراً عند الله ان يجمعهم في زمن من الأزمان ليتحقق إقرار الأنبياء بهذا الميثاق وتتم حجته عليهم .

(١) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود: ١ / ١٤١ ح ٤٦٨ .

(٢) ينظر : جامع البيان ، محمد الطبري : ٤ / ٥٨٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٨١ .

(٤) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ٢ / ٣٣٤-٣٣٥ .

(٥) التفسير الكبير: ٨ / ١٢٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

فعن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» قال: ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلمَّ جراً إلا ويرجع إلى الدنيا فيقاتل وينصر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ومثله كثير (١)

٢ - ما يدل على وقوع الرجعة للأئمة عليهم السلام :

الآية الاولى : قوله تعالى : «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» (٢)

ورد في الروايات من عدة طرق أن هذا النصر يكون في الرجعة، ذلك لأن كثيراً من الأنبياء والأوصياء قتلوا وظلموا ولم ينصروا، وأن الله لا يخلف الميعاد ، وإن معنى قيام الأشهاد هو قيام الأئمة عليهم السلام .

فقد روى جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " قلت قول الله تبارك وتعالى «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» قال: ذلك والله في الرجعة ، أما علمت أن أنبياء كثيرة لم يُنصروا في الدنيا وقُتلوا والأئمة بعدهم قُتلوا ولم يُنصروا ذلك في الرجعة" (٣) في هذه الرواية التفسيرية عن المعصوم قول صريح بتوارد الغيبة في النبوّة والإمامة .

وقال الشيخ المفيد في أجوبة المسائل العكبرية (٤) - حين سئل عن قوله تعالى فأجاب بوجوه ، ثم قال : " قد قالت الامامية : إن الله تعالى ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم والكرة التي وعد بها المؤمنين في العاقبة" (٥)

(١) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ٢٥ / ١ و ١٠٦ و ٢٩٧ / ٢ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٦٠٩ / ٢ . والرجعة ، محمد الاسترآبادي : ١٢٩ . وينظر : تفسير العياشي ، محمد بن مسعود : ١٨١ ح ٧٦ .

(٢) سورة غافر : ٥١ .

(٣) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ٢٥٨ / ٢ . ومختصر بصائر الدرجات ، الحسن بن سليمان الحلبي : ٤٥ .

(٤) هو كتاب يشمل احدى وخمسين مسألة كلامية من إملاء الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) عن الآيات المتشابهة والأحاديث المشككة ، سأل الحاجب أبو ليث بن سراج شرحها وبيانها فأجاب عنها الشيخ المفيد .

(٥) المسائل العكبرية : ٧٤ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١)

إن من العامة من روى أنّه إلى معاد القيامة (٢) ، وأمّا الخاصّة فإنهم رَوَوْا أنّه في الرجعة ، فقد جاء في تفسير الآية " اي: إن الله يردك إلى دار الدنيا لنصره ولذك ولذلك نكر ، ولو أراد يوم القيامة لعرّف وقال إلى المعاد " (٣)

وما يؤيد انها في الرجعة ما روي عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في تفسيره قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: " يرجع إليكم نبيكم ﷺ وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة عليهم السلام " (٤)

وما وري عن ابي مروان قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فقال لي : لا والله ، لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله ﷺ وعلي (عليه السلام) بالثوية ، فيلتقيان ويبنيان بالثوية مسجداً له اثني عشر الف باب " يعني موضعاً بالكوفة (٥) وفي الروايتان دليل صريح في توارد الرجعة في النبوّة والإمامة .

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (٦)

جاء في التعريف اللغوي فيما تقدم أن أحد معاني الرجعة هي الكرّة ، وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم بهذا المعنى (٧) ، فقد جاء في التفاسير: "كِرَّةٌ ؛ أي: رجعة إلى الدنيا" (٨)

(١) سورة القصص : ٨٥ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٦ / ٢٣٤ . وتفسير السمعاني ، أبو مظفر السمعاني : ٢٤١ / ٣ .

(٣) متشابه القرآن ومختلفه ، ابن شهر آشوب : ٢ / ٩٧ .

(٤) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ٢ / ١٤٧ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٢٩١ والغيبة ، محمد النعماني : ٢٢٢ / ٢٢ . والخرائج والجرائح ، القطب الراوندي : ٢ / ٨٤٨ .

(٥) تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٢٩٢ . وتأويل الآيات الظاهرة ، شرف الدين الحسيني : ١ / ٤٢٤ ح ٢١ .

(٦) سورة الإسراء : ٦ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وما يدل على هذا المعنى أيضاً في خصوص رجعة الأئمة عليهم السلام الروايات التفسيرية التي وردت فيها ، ومنها ما رواه سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ " ..ثم قال سلمان: فبكيت و قلت يا رسول الله، فأنى لسلمان لإدراكهم؟ قال: يا سلمان إنك مدرّكهم و أمثالك و من تولّاهم حقيقة المعرفة، قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثم قلت: يا رسول الله، إنني مؤجل إلى عهدهم؟ قال: يا سلمان، اقرأ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ قال سلمان: قلت بعهد منك يا رسول الله؟ قال: إي... وكل من هو منا ومظلوم فينا.. " (١)

وملخص الاعتقاد في رجعة الأئمة لبعض العلماء (٢)، المستخلصة من مجموع الروايات التي تقول برجعته في الأحداث التي تكون في السنة التي يظهر فيها قائم آل محمد ﷺ حتى يستقيم الأمر له فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً إلى ما يحصل من رجعة الإمام الحسين ﷺ (٣) ورجعة أمير المؤمنين ﷺ "ثم يكر علي في جميع شيعته لأنه لم يقتل مرتين و يحيى مرتين، قال : أنا الذي أقتل مرتين و أحيى مرتين ولي الكرة بعد الكرة و الرجعة بعد الرجعة و الأئمة

(٧) معجم القرآن ، عبد الرؤف مصري : ١١٨ / ٢ . وهو قاموس مفردات القرآن وغريبه .
(٨) حقائق الروح والريحان ، محمد أمين هري : ٢٥٣ / ٢٠ . وتفسير روح البيان ، إسماعيل البروسوي : ٢٩٠ / ٦ في تفسير الآية : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ١٠٢ .
وبحر العلوم ، ابو الليث السمرقندي : ١١١ / ١ . وتفسير جامع البيان ، محمد الطبري : ٣١ / ٣ .
في تفسير الآية : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ البقرة : ١٦٧ .
وفي تفسير الفريد للقرآن المجيد ، محمد عبد المنعم : ٢٦٩٢ / ٧ في تفسير الآية : ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الزمر: ٥٨ .
(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة : ٥٥٢ / ١ .
(٢) وهو السيد محمود بن فتح الله الكاظمي في كتابه: تفريج الكرب في إثبات الرجعة على ما ذكره صاحب كتاب الذريعة ونقل بعض كلامه في الذريعة: ١٩٣ / ٢ رقم ٧٣٦ .
(٣) قال أبو عبد الله ﷺ : " إن أول من يرجع الى الدنيا الحسين بن علي ﷺ ، فيملك حتى يسقط حاجباه على عينيه من الكبر " . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٣ / ٤٦ ح ١٩ .
الإيقاظ من الهجة ، الحر العاملي : ٣٦٣ / ١ ح ١١٤ . ميزان الحكمة ، محمد الريشهري : ١٤٤٢ ح ١٠٣٧ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

يرجعون حتى القائم لأن لكل مؤمن مودة فهو في أول خروجه قتل و لا بد أن يرجع حتى يموت" (١)

وذكر جار الله الزمخشري كبير المعتزلة (ت ٥٣٨ هـ) في حديث ذي القرنين عن علي أمير المؤمنين عليه السلام ، سأله ابن الكواء: "ما ذو القرنين، أملك أم نبي، فقال: ليس بملك و لا نبي، و لكن كان عبداً صالحاً. ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله. فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله؛ فسمي ذا القرنين و فيكم مثله" (٢) ، أي أن هناك من سيقتل مرتين ويحيى مرتين وهو أمير المؤمنين عليه السلام ، يعني نفسه عليه السلام ، وفيه إشارة إلى ضرب ابن ملجم له، و أنه يعود إلى الدنيا بعد وفاته كما رجع ذو القرنين، وهذا أبلغ من روايات الشيعة في الرجعة (٣)

الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٤)

مما ثبت من التفاسير والروايات أن المراد بالذين استضعفوا هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأن هذه الآية جارية فيهم إلى يوم القيامة (٥)
قال سيد العابدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام : "والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ان الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وان عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه " (٦)

وقال علي بن إبراهيم في تفسيره لهذه الآية وما قبلها من قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، علي اليزدي الحائري : ١٤٣/٢ .

(٢) الكشف، جار الله الزمخشري : ٤٩٧/٢ .

(٣) سعد السعود ، ابن طاووس : ٦٥ .

(٤) سورة القصص : ٥ .

(٥) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي : ٣٣ / ١٠ . تفسير نور الثقلين ، عبد

علي الحويزي : ١١٠ / ٤ . تفسير أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن الكريم، علي عاشور : ٦٨ / ٦ .

الكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ٢٤٣ . ومعاني الأخبار ، الشيخ الصدوق : ٧٩ ح ١ .

(٦) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٤١٤ / ٧ . تأويل الآيات ، علي استرآبادي : ٤٠٧ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في العِبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^(١) : "فأخبر الله نبيّه ﷺ بما لقي موسى و أصحابه من فرعون من القتل و الظلم ليكون تعزية له فيما يصيبه في أهل بيته من أمته، ثم بشره بعد تعزيته أنّه يتفضّل عليهم بعد ذلك و يجعلهم خلفاء في الأرض و أئمة على أمته، و يردّهم إلى الدنيا مع أعدائهم حتّى ينتصفوا منهم" ^(٢)

وذكر في موضع اخر من تفسيره في الرد على من أنكر الرجعة مستدلاً بالآية الكريمة بقوله: "فهذا مما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا" ^(٣)

إذن زمن تحقق الوعد الالهي لخلفائه من الأئمة الأطهار عليهم السلام هو زمن رجعتهم الى دار الدنيا فيقتلون أعداءهم ويملكون الأرض .

الآية الخامسة : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ^(٤)

جاء في تفسير الآية : وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على نعمة النبوّة، وعلى ما علّمني ربّي ووفّقني للعمل به سيّريكم آياته إذا رجعتم إلى الدّنيا ورجعوا فتعرّفونها : فتعرفون أنّها آيات الله، حين لا تنفعكم المعرفة ^(٥)

فالآيات أمير المؤمنين و الأئمة صلوات الله عليهم، إذا رجعوا إلى الدّنيا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم في الدّنيا، والدليل ذلك قول أمير المؤمنين ﷺ : "والله ما لله آية أكبر منّي" ^(٦)

فإن من آيات الله أي معجزاته فيما يلي ظهور الإمام المنتظر ﷺ رجوع أمير المؤمنين ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام ، وسيعرفونهم أعدائهم اذا رأوهم فيه

(١) سورة القصص : ٤ .

(٢) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ١٣٣ / ٢ . وينظر : تفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٤ / ٢٤٩ . وضياء الفرقان في تفسير القرآن ، محمد تقي القائني : ١٣ / ٧١ . وتفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي : ١٠٧ / ٤ .

(٣) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ٢٥ / ١ .

(٤) سورة النمل : ٩٣ .

(٥) الأصفى في تفسير القرآن ، الفيض الكاشاني : ٩١٨ / ٢ . والجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، عبد الله شبر : ٤ / ٤٤٦ .

(٦) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ١٣٢ / ٢ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

إشارة الى ان أعدائهم سيرجعهم الله كذلك الى دار الدنيا ويقفون امامهم فيشاهدون تحقق وعد الله بالنصر لينالوا جزاؤهم على يد النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام .

الآية السادسة : قوله تعالى : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (١)

إن الآية تتعلق بالوقائع التي تحدث قبل يوم القيامة (٢)، أي ان خروج الدابة يتحقق في الحياة الدنيا قبل قيام الساعة ، فقالت الإمامية أن أمير المؤمنين علي عليه السلام هو مصداق لهذه الآية استناداً الى ما ورد في الآيات التفسيرية بمعنى عودته الى الحياة الدنيا ، ومن هذه الأدلة ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد، وقد جمع رماً ووضع رأسه عليه، فحركه ثم قال له: قم يا دابة الأرض ، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، أيسمي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟

فقال: لا والله، ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكرها الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾" (٣)

وما روي عن الأصبغ بن نباتة، قال: "دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وخلاً وزيتاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، فما هذه الدابة؟ قال عليه السلام: هي دابة تأكل خبزاً وخلاً وزيتاً" (٤)

(١) سورة النمل : ٨٢ .

(٢) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بين يدي الساعة الدجال والدابة ويأجوج ومأجوج والدخان وطلوع الشمس من مغربها" الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي : ١١٦ / ٥ .

(٣) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم : ١٣٠ / ٢ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ٢٢٨ / ٤ ح ٨٠٤٣ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي: ٣٦٦ / ٧

(٤) تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني: ١ / ٤٠٤ ح ٩٠ . والرجعة ، الاستربادي: ١٦٦ ح ٩٥ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وقد سُمي أمير المؤمنين عليه السلام نفسه بذلك في أحاديث كثيرة ، منها ما ورد في حديث طويل جاء فيه : "إني لصاحب الكرات ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم، والدابة التي تكلم الناس" (١)

ورودها في الأدعية والزيارات المروية عن الأئمة الهداة من عترة المصطفى عليه السلام، المروية في المصباح عن الإمام الصادق عليه السلام وفيها: "وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أنني بكم مؤمن، وبإيائكم موقن" (٢) وهو الإيمان برجعهم الى الدنيا. وفي الاقبال والمصباح في الدعاء في اليوم الذي ولد فيه الإمام الحسين عليه السلام المروي عن الهمداني وكيل الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام وفيه: "المعوض من قتله أن الأئمة من نسله، والشفاء في تربته، والفوز معه في أوبته - إلى قوله - فنحن عائذون بقبره نشهد تربته وننتظر أوبته" (٣)، "والأوبة: أي رجعته الى الدنيا" (٤) وروى السيد ابن طاووس بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة النبي والأئمة عليهم السلام ومنها: "إني من القائلين بفضلكم، مقر برجعتكم، لا أنكر لله قدرة" (٥)

"وبما أن الرجعة والمعاد ظاهرتان متمثلتان من حيث النوع، فالدليل على إمكان المعاد يمكن أن يقام دليلاً على إمكان الرجعة، والاعتراف بإمكان بعث الحياة من جديد يوم القيامة يترتب عليه الاعتراف بإمكان الرجعة في حياتنا الدنيوية، ولا ريب أن جميع المسلمين يعتبرون الإيمان بالمعاد من أصول عقيدتهم، إذن فجميعهم يذعنون بإمكانية الرجعة" (٦)

فيتضح مما تقدم توارد جريان الرجعة في النبوّة والإمامة ، ولذلك عُدت من الكُبريات التي يتجلّى من خلالها العدل الإلهي بعقاب المجرمين على نفس الأرض التي ملأوها ظلماً وعدواناً ، وهذه سُنّة جارية أخرى في الأمم السابقة كما أكدّها

(١) الكافي ، الشيخ الكليني: ١ / ١٩٨ ، باب ان الأئمة عليهم السلام هم أركان الارض .

(٢) حق اليقين ، عبد الله شبر : ٢ / ١٥

(٣) مصباح المتجهد ، الشيخ الطوسي : ٨٢٦-٢٢٧ . إقبال الأعمال ، ابن طاووس : ٢ / ٦٩٠ .

(٤) تأويل الآيات ، علي الاسترآبادي: ٢٧٢ .

(٥) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٣٠ / ٨٦ ح ٣.

(٦) الرجعة والعودة الى الحياة الدنيا بعد الموت ، مركز الرسالة : ١ / ١٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

الإمام الرضا عليه السلام ^(١)، كما إنّ عودة البعض إلى الحياة في هذا العالم (الدنيوي) بعد الموت قد صرّح القرآن الكريم بوقوع نظيره في الأمم السالفة والعقل يقبل إعادتها قبل القيامة ، ولا يمنع من ذلك لأن الله تعالى قادر على ذلك ، وهذا هو خير دليل على إمكان وقوعه .

المطلب الثاني : توارد المعاد الأكبر ليوم القيامة في النبوّة والإمامة

لقد ذكر القرآن الكريم في العديد من الآيات في قيام الإنسان ليوم القيامة، وإنّ جميع الخلق يُصعقون وينتبهون عندما ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ليقوموا من قبورهم ^(٢) ويتجمعون في صحراء المحشر من أجل الحساب ^(٣) ، فمن لوازم هذا المعاد الأكبر:

أولاً: توارد الشهادة على الخلق في النبوّة والإمامة:

الشهادة هي " تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادة أو شقاء وانقياد أو تمرّد، وأداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد الله من كلّ شيء كالملائكة والزمان والمكان والدين والكتاب والجوارح والحواس ونحوها " ^(٤) فقد جعل الله تعالى على الانسان حَفْظَةً من الملائكة وهم الكرام الكاتبون ، يصاحبونه ويسجلون كلّ أعماله ، وهو قوله تعالى : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ^(٥) وحينما يرد العبد سعيد الحساب تشهد عليه الملائكة بما عمل في الدنيا من خير أو شر.

وفي بعض مواقف القيامة يختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ، وتشهد أيديهم وجميع جوارحهم بما كانوا يعملون ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

١) ينظر : عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق : ٢١٨ / ١.

٢) سورة الزمر: ٦٨ .

٣) سورة إبراهيم : ٤٨ .

٤) الشفاعة ، كمال الحيدري : ٣٢٧ .

٥) سورة ق: ١٧-١٨ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١) والمراد بالشهادة : "شهادة الأعضاء على السيئات والمعاصي بحسب ما يناسبها ، فما كان منها من قبيل الأقوال كالقذف والكذب والغيبة ونحوها ، شهدت عليه الألسنة ، وما كان منها من قبيل الأفعال كالسرقة والمشى للنميمة والسعاية وغيرها ، شهدت عليه بقية الأعضاء" ^(٢)

ويشهد للإنسان وعليه يوم القيامة شهود عدول لا يتوقف في الحكم بشهادتهم، ولا يتوقع القدر فيهم ، ومن المعلوم أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمة؛ إذ ليست إلا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم، لذا قرن الله تعالى الشهداء بالأنبياء والصديقين في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ^(٣)

فالله عز وجل هو القاضي والحاكم بين العباد وهو الشاهد عليهم ^(٤) وقد جعل سبحانه لكل أمة شهيداً من أنفسهم ^(٥) مع ضرورة عصمة هذا الشاهد على أعمال الخلائق يوم القيامة ^(٦) فيشهد على أعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا والآخرة كما أنهم يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين لهم بأنهم قد بلغوا ^(٧)

وما يدل على شهادة الانبياء عليهم السلام:

الآية الاولى : قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ^(٨)

(١) سورة النور : ٢٤ .

(٢) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٩٤ / ١٥ .

(٣) سورة النساء : ٦٩ .

(٤) سورة الحج : ١٧ . سورة آل عمران : ٩٨ .

(٥) سورة النحل : ٨٩ . سورة القصص : ٧٤-٧٥ .

(٦) قال الرازي (ت ٦٠٦ هـ): "إن كل جمع وقرن يحصل في الدنيا فلا بد وأن يحصل فيهم

واحد يكون شهيداً عليهم، أما الشهيد على الذين كانوا في عصر الرسول ﷺ فهو الرسول.

وثبت أيضاً أنه لا بد في كل زمان بعد زمان الرسول من الشهيد. فحصل من هذا أن عصرًا من

الأعصار لا يخلو من شهيد على الناس، وذلك الشهيد لا بد وأن يكون غير جائز الخطأ وإلا

لافتقر إلى شهيد آخر ويمتد ذلك إلى غير النهاية وذلك باطل" التفسير الكبير: ٨٠ / ٢٠ .

(٧) ينظر : بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٣٣٤ / ٢٣ .

(٨) سورة النساء : ٤١ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

والمراد بالشهيد هنا: " كل نبي بعثه الله - تعالى - لأمة من الأمم السابقة كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء السابقين - عليهم الصلاة والسلام" (١) اي يبعث الله نبيها الذي أرسل إليها في الدنيا، ليشهد عليها الشهادة الحق، بأن يشهد لمؤمنها بالإيمان، و لكافرها بالكفر، فتكون الشهادة لهم وعليهم (٢)

ذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في تفسيره : "ان الشهادة تقع يوم القيامة من كل نبي بأنه بلغ قومه ما تقوم به عليهم الحجة، فهو الشهيد عليهم، وأنه أدى ما تقوم به الحجة عليها من مراد الله" (٣)

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث يصف فيه يوم القيامة: "يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرسول فيسأل، فذلك قوله لمحمد ﴿كَفَيْتَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل" (٤)

الآية الثانية : قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٥)

"بين سبحانه أيضاً أنه يبعث في يوم القيامة من كل أمة شهيداً ، وهم الأنبياء والعدول من كل عصر ، يشهدون على الناس بأعمالهم" (٦) ، ووردت تفاسير عدة في بيان قوله تعالى : (من انفسهم) منها :

١- يعني نبيهم الذي أرسل إليهم، أو الحجة الذي هو إمام عصرهم (٧)

(١) التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ٢١٦ / ٨ .

(٢) ينظر : مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٨٩ / ٣ .

(٣) التبيان ، الشيخ الطوسي : ٢٠١ / ٣ .

(٤) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٣٣٢ / ١ .

(٥) سورة النحل : ٨٩ .

(٦) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٥٨٤ / ٦ .

(٧) زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: ٥٩٩ / ٣ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، عبد الله

البيضاوي: ٢٣٧ / ٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

٢- يعني جنسهم و بيئتهم، ليكون أتم للحجة، و أقطع للمعذرة، و أدعى إلى العدالة و الإنصاف (١)

٣- يعني من الأئمة عليهم السلام ، فرسول الله شهيد على الأئمة و هم شهداء على الناس (٢)

وترجح الباحثة القول الأخير وهو أن الأئمة عليهم السلام شهداء على الخلق .
وما يدل على شهادة الأئمة عليهم السلام قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٣)

جاء في تفسير العياشي في تفسير الآية : روى عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "هم الأئمة" ، وورد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ قال: "بما عندنا من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه" (٤) ، فشهادة الأئمة عليهم السلام على الخلق كونهم مبلغين عن حلال الله وحرامه بطاعة من اطاع في تبليغه وعصيان من عصى .

وأورد الحاكم الحسكاني الحنفي عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين علي عليه السلام : "إن الله تعالى إيانا عنى بقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٥) فرسول الله صلى الله عليه وآله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه، ونحن الذين قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾" (٦)

(١) تفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ٨ / ٢١٦ .

(٢) تفسير القمي ، علي بن ابراهيم : ١ / ٨٣٣ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٤) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود : ١ / ٦٣ ح ١١٣ . وتفسير البرهان ، هاشم البحراني : ١ / ١٦٠ ح ٩ .

(٥) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٦) شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : ١ / ١١٩ ح ١٢٩ . ومجمع البيان ، الشيخ الطبرسي :

١ / ٤١٧ . كتاب سليم بن قيس الهلالي ، سليم الهلالي : ٤٧٤ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال : " نحن الأمة الوسطى ، ونحن شهداء الله على خلقه ، وحججه في أرضه" (١)

و(الوسط) بنص أهل التفسير : "العدل" (٢) وذلك معنى الخيار ، لأن الخيار من الناس عدولهم (٣) ، مضافاً إلى أن هذه الأمة آخر الأمم ، فحينئذ إن كان المراد بالأمة كل الأمة فهذا خلاف ما علم ضرورة ، أو ليس جميع الأمة بهذه الصفة ، وكيف يمكن أن يقال: هذه الأمة أمة وسطاً؟! وقد قتلوا أولاد نبيهم له وذرية رسولهم ، ونهبوا أموالهم ، وسلبوا نساءهم ، وأحرقوا خيامهم ، وسبوا نساءهم وأطفالهم ، وظلموا ظلماً لم يظلم أحد من الأمم السابقة والقرون السالفة ويسفكون الدماء... وغير ذلك. وإن كان بعض الأمة فالتعبير بعبارة الجمع ينافيها ، وباتصاف البعض بصفة العدل لا يصير الكل مستحقاً لهذا الخطاب ، فلا بد أن يكون المراد بالأمة جماعة مخصوصة معينة" (٤)

وهذا ما أكدته الروايات السابقة بأن الأمة الوسط هم خصوص الأئمة عليهم السلام ، نضيف إليها ما روى العياشي عن أبي عمر الزبير عن الإمام الصادق عليه السلام قال : " قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٥) فَإِنَّ ظَنَنْتَ أَنَّ الله تعالى عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين ، أفترى أنّ من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاعٍ من تمر ، يطلب الله شهادته يوم القيامة ، ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية ؟ كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه ، يعنى الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام

(١) تفسير العياشي ، محمد مسعود: ١ / ٦٢ ح ١١٠ . ومواهب الرحمن ، عبد الأعلى السبزواري: ٢ / ١٢٥ . ومناهج البيان ، محمد باقر الميانجي: ٢ / ١٠ . تفسير الأمل ، ناصر مكارم الشيرازي: ١ / ٤١١ . والكافي ، الشيخ الكليني: ١ / ١٩١ ح ٥ باب أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه .

(٢) ينظر: التبيان ، الشيخ الطوسي: ٢ / ٦ . التسهيل لتأويل التنزيل ، مصطفى عدوي: ٢ / ٣٦٥ . وفي رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك: ٢٣ / ٤٦٩١ . وفتح القدير ، الشوكاني: ١ / ١٧٦ .

(٣) جامع البيان ، محمد الطبري: ٢ / ٦٢٧ .

(٤) علم الإمام ، محمد تقي البرغانى : ٨ .

(٥) سورة البقرة : ١٤٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١) وهم الأُمّة الوسطى ، وهم خير أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس " (٢)

يظهر مما تقدم توارّد الشهادة على الخلق بين النبوّة والإمامة بدليل النص والروايات ، وقد صرح الامام الباقر عليه السلام بصريح العبارة تواردهما معاً بقوله : " ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل، فأما الأُمّة فإنه غير جائز أن يستشهدوا الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل " (٣)

وقد ذكر ناصر مكارم الشيرازي هذا التوارد في تفسيره : "لأن كل نبي ما دام موجوداً بين ظهرائي أُمّته فهو شاهد على أعمالهم، وبعده يكون أوصياؤه وخلفاؤه المعصومون عليهم السلام هم الشهداء على أعمال تلك الأُمّة، ولهذا جاء في حق المسيح عليه السلام أنه يقول في يوم القيامة في جواب سؤال الله سبحانه إياه: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد" (٤)

ثانياً : توارّد الشفاعة في النبوّة والإمامة

توطئة: مفهوم الشفاعة

من الواجب في ما تقدم ذكره ان يكون الشاهد يوم القيامة ذا عصمة إلهية يمتنع عليه الكذب ، وان يكون عالماً بحقائق الأعمال التي يشهد عليها ، وحقيقة ما انعقدت عليه القلوب ، أي تكون شهادته عن معاينة ، والعصمة والاطلاع على الأعمال مما ثبت عند الباحثة للنبوّة والإمامة في المباحث السابقة ، وقد ربط القرآن الكريم الشفاعة للشفعاء بكونهم ممن يشهدون بالحق ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) تفسير العياشي ، محمد بن مسعود: ٦٣ / ١ ح ١١٤ .

(٣) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٣ / ٣٥١ ح ٦٣ .

(٤) تفسير الأمل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٣ / ٢٤٢ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في العُبيّة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(١) ، حيث افادت ان الملاك في الشفاعة هي الشهادة ، فالشهداء على الخلق يوم القيامة هم الشفعاء المالكون للشفاعة (٢)

فإن الذين يعلمون، وتعليم من الله، أعمال العباد ونواياهم، ويمكنهم أن يشهدوا على كيفية أعمالهم وقيمتها يوم القيامة ، بحيث يمكنهم أن يحددوا الأفراد الذين يستحقون التشفع لهم (٣)

وعرّف السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) الشفاعة في تفسيره الميزان بقوله : " هي من الشفع مقابل الوتر، كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً فيقوى على نيل ما يريده لما لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها"^(٤).

والشفاعة حقّ وصدقٌ تضافرت على إثباتها الآيات المحكمة، والأحاديث الصحيحة المشتهرة، ولا يملك أحد الشفاعة إلا بتمليك الله عز وجل ، والآيات المثبتة للشفاعة كما سيأتي تثبتها الله سبحانه بنحو الأصلية، ولغيره بإذنه وتمليكه ، فالشفاعة ثابتة لغيره تعالى بإذنه وارتضائه^(٥)

وفي شروط الشفيع : " أن الشفيع المطلق والأصلي ، يلزم - بالإضافة لإذن الله له بالشفاعة - أن لا يكون هو بنفسه من أهل المعصية، وأن يكون قادراً على تقييم درجات إطاعة الآخرين وعصيانهم وأن الاتباع الحقيقيين لمثل هذا الشفيع، يمكنهم وفي ضوءه أن يملكو مراتب أدنى من الشفاعة حيث يحشر أمثال هؤلاء الاتباع في زمرة الشهداء والصديقين^(٦) " (٧)

(١) سورة الزخرف : ٨٦ .

(٢) الشفاعة ، كمال الحيدري: ٣٢٦ .

(٣) ينظر : دروس في العقيدة الإسلامية ، محمد تقي اليزدي : ١٧٧ / ٣ .

(٤) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٥٧ / ١ .

(٥) ينظر : مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ١٦٠ / ٥ . وتفسير الميزان ، السيد الطباطبائي :

١ / ١٥٧ . والتحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور : ٣ / ١٠٢ .

(٦) سورة الحديد : ١٩ .

(٧) دروس في العقيدة الإسلامية ، محمد تقي اليزدي : ٣ / ١٧٨ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

وفي شروط المشفع : "إن من يستحق التشفع له يلزم - بالإضافة للإذن الإلهي - أن يكون مؤمناً حقاً بالله والأنبياء ويوم القيامة وكل ما نزل على النبي ﷺ ، ومنها الايمان بالشفاعة ذاتها وإنها على حق، وأن يبقى ثابتاً على إيمانه حتى نهاية عمره" (١)

وفي جواز الشفاعة عند المذاهب الإسلامية : "قال القاضي عياض مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات، وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين، و أجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها" (٢) وقد دلت طائفة من الآيات على ثبوت الشفاعة ، منها :

الآية الاولى : قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٣)

والمراد من قوله "ارتضى" أي ارتضاء دينه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٤) قال محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسيره: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفع له، وهو كما أخرج ابن جرير والمنذر والبيهقي وابن أبي حاتم عن ابن عباس: (من قال لا إله إلا الله وشفاعتهم الاستغفار)، وهي كما في الصحيح تكون في الدنيا والآخرة، ولا متمسك للمعتزلة في الآية على أن الشفاعة لا تكون لأصحاب الكبائر، فإنها لا تدل على أكثر من أن لا يشفعوا لمن لا ترتضى الشفاعة له، مع أن عدم شفاعة الملائكة لا تدل على عدم شفاعة غيرهم" (٥)

(١) م.ن : ١٧٩ / ٣ .

(٢) شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين النووي : ٣٥/٣ .

(٣) سورة الأنبياء: ٢٨ .

(٤) سورة النساء: ٤٨ .

(٥) روح المعاني : ٣٢/٩ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في العُبيّة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١)

"عندما يشاهد أصحاب النار أنهم صفر الأيدي من الخير، هالكون بفساد أعمالهم، يسألون أحد أمرين يصلح به ما فسد من أمرهم، إما شفعاء ينجونهم من الهلاك الذي أطل عليهم، أو أن يردوا إلى الدنيا فيعملوا صالحاً غير الذي كانوا يعملونه من السيئات.. وفي قوله: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ دلالة على أن هناك شفعاء يشفعون للناس إذ قال: من شفعاء ولم يقل: من شفيع فيشفع لنا. وقوله: ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ في موقع التعليل لما حكى عنهم من سؤال أحد أمرين : إما الشفعاء وإما الرد إلى الدنيا. كأنه قيل: لماذا يسألون هذا الذي يسألون؟ فقيل : قد خسروا أنفسهم فيما بدلوا من دينهم لهواً ولعباً، واختاروا الجحود على التسليم، وقد زالت عنهم الافتراءات المضلة التي كانت تحجبهم عن ذلك في الدنيا، فبان لهم أنهم في حاجة إلى من يصلح لهم أعمالهم إما أنفسهم أو غيرهم ممن يشفع لهم" (٢)

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٣)

يمكن تقريب الاستدلال بقوله : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾

من وجهين :

الأول: أنها تنفي الانتفاع عن طائفة خاصة من المجرمين لا عن جميعهم؛ قال الرازي في تفسيره: "احتج أصحابنا على ثبوت الشفاعة للفساق بمفهوم هذه الآية،

(١) سورة الأعراف : ٥٣ .

(٢) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي: ٨ / ١٣٥-١٣٦ .

(٣) سورة المدثر: ٣٨ - ٤٨

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في العُبيّة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

وقالوا: إن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين" (١)

الثاني: "إن الشفاعة في الآية مضافة لا مجردة مقطوعة عن الإضافة ومن الواضح أن هناك فرقاً بين أن يقول القائل: فلا تنفعهم الشفاعة وبين أن يقول: فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، فإن المصدر المضاف يُشعر بوقوع الفعل في الخارج بخلاف المقطوع عن الإضافة، نص عليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز. فقوله تعالى: (شفاعة الشافعين) يدل على أن شفاعة ما ستقع، غير أن هؤلاء لا ينتفعون بها. على أن الاتيان بصيغة الجمع في الشافعين يدل على ذلك أيضاً كقوله: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وأمثال ذلك، ولولا ذلك لكان الإتيان بصيغة الجمع - وله مدلول زائد على مدلول المفرد - لغواً زائداً في الكلام" (٢)

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٣) "أي لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد يوم يحشر الله المتقين إليه وفداً الشفاعة حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض إلا مَنْ اتَّخَذَ مِنْهُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ فِي الدُّنْيَا عَهْدًا بِالْإِيمَانِ بِهِ وَتَصَدِّقَ رَسُولَهُ وَالْإِقْرَارَ بِمَا جَاءَ بِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا أُمِرَ بِهِ" (٤) من الواضح أن الاستثناء ظاهر في تملك من اتخذ عند الرحمن عهداً أمر الشفاعة، وتمليكه سبحانه إياهم لا ينفك عن إذنه ورضاه.

ويصرح هذا الصنف من الآيات بوجود شفيع غير الله سبحانه، وأن شفاعته تقبل عند الله تعالى في إطار خاص وشرائط معينة في الشفيع والمشفوع له، وهي وإن لم تتضمن أسماء الشفعاء أو أصناف المشفوع لهم، غير أنها تحدد كلاً منهما بمواصفات خاصة ، فالضمير في قوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ يرجع إلى الآلهة التي كانت

(١) التفسير الكبير : ١٨٦ / ٣ .

(٢) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٦٧ / ١ .

(٣) سورة مريم: ٨٧.

(٤) جامع البيان ، محمد بن جرير الطبري: ٦٣٢/١٥ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

تعبّد، وإليه أشير في قوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (١) ، فتكون الآية جواباً عن اتخاذهم هذه الآلهة للشفاعة ، فإن الذي يملك الشفاعة بعهد من الله (٢)

الآية الخامسة : قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (٣)

الاستثناء في قوله تعالى يدل على أن العناية في الكلام متعلّقة بنفي الشفعاء لا بتأثير الشفاعة في المشفوع له ، قال الزمخشري في تفسيره: "قوله (من) يصلح أن يكون مرفوعاً ومنصوباً ، فالرفع على البذل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف ، أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له" (٤)

"والحاصل أن هذه الآيات تثبت وجود شفعاء يوم القيامة يشفعون تحت شرائط خاصة وإن لم تصرح بأسمائهم وسائر خصوصياتهم ، وأن شفاعتهم مشروطة بإذنه تعالى ولا منافاة بين النسبتين" (٥)

١ - الشفاعة عند الأنبياء عليهم السلام :

ما يدل على شفاعة الأنبياء في الحياة الدنيا :

قول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦)

ذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في تفسير الآية: "إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم ، فأخبره الله بذلك ، وقد دخلوا على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين

(١) سورة مريم: ٨١ - ٨٢ .

(٢) ينظر : الشفاعة في الكتاب والسنة ، جعفر السبحاني: ٢٢ .

(٣) سورة طه : ١٠٩ .

(٤) الكشف : ٨٩ / ٣ .

(٥) الشفاعة ، كمال الحيدري : ٦٤ .

(٦) سورة النساء: ٦٤ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في العُيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

اجتمعوا على أمر من النفاق وانتتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئك فليستغفروا ربهم وليعترفوا بذنوبهم حتى أشفع لهم، فلم يقم أحد، فقال رسول الله ﷺ : ألا تقومون مراراً؟ ثم قال: قم يا فلان وأنت يا فلان... فقالوا: يا رسول الله نحن نستغفر الله ونتوب إليه فاشفع لنا، قال: الآن؟ أنا كنت في أول أمركم أطيّب نفساً بالشفاعة، وكان الله تعالى أسرع إلى الإجابة، أخرجوا عني، فأخرجوا عنه حتى لم يرههم" (١)

وقد فسّر الآلوسي (ت ١٣٤٢ هـ) الآية بقوله : "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ" على أثر ظلمهم بلا ريب متوسلين بك تائبين عن جنائيتهم غير جامعين - حشفاً وسوء كيلة - باعتذارهم الباطل وأيمانهم الفاجرة فاستغفروا الله لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه وندموا على ما فعلوا «وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الرَّسُولُ» وسأل الله تعالى أن يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم... «لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» أي لعلومه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بالتجاوز عما سلف من ذنوبهم" (٢)

ومما يجب ذكره وجود أخبار كثيرة في كتب العامة التي تثبت الشفاعة في الدنيا من: إن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني قال : إن شئت أن دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير ، فقال ادعه فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، فصلّى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم شفعة فيّ.." (٣)

الآية الثانية : ما ورد على لسان أبناء يعقوب في قوله تعالى : «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٤)

(١) التبيان في تفسير القرآن : ٣ / ٢٤٤ .

(٢) روح المعاني : ٦٨ / ٣ .

(٣) مسند أحمد، أحمد بن حنبل : ١٣٨ / ٤ خبر عثمان بن حنيف . وسنن ابن ماجه ، محمد

القزويني: ٤٤١/١ ح ١٣٨٥ . والمستدرک ، الحاكم النيسابوري : ١ / ٣١٣ .

(٤) سورة يوسف : ٩٧-٩٨ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

وما يدل على شفاعة الأنبياء في الحياة الآخرة :

قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (١)

فقد دلت الآية الكريمة أن هذا المقام سوف يعطى للنبي الأكرم ﷺ يوم القيامة؛ وذلك بقرينة لفظة (البعث) الذي أطلق في القرآن عموماً على الحشر الأكبر يوم القيامة (٢)

واتفقت كلمة المفسرين ودلت الأخبار الصحيحة الواردة من طرق الفريقين أن ذلك لأجل مقام الشفاعة الكبرى له ﷺ "قال الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) : أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة" (٣)

وقد أكد الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) هذا الاجماع بقوله : "وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس، وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون ﷺ أول شافع وأول مشفع" (٤) ، وقال في تفسيره: "إن الأمة أجمعت على أن للنبي ﷺ شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها" (٥)

وقال الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : "أجمعت الأمة على أن لمحمد ﷺ شفاعة في الآخرة، وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٦) وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (٧) " (٨)

وقال في تفسيره: "اللفظ مشعر به وذلك لأن الإنسان إنما يصير محموداً إذا حمده حامد، والحمد إنما يكون على الإنعام، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون

(١) سورة الإسراء : ٧٩ .

(٢) ينظر : تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١ / ١٧٦ .

(٣) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي : ٣١ / ٢١ .

(٤) مجمع البيان : ٦ / ٦٧١ .

(٥) م.ن : ١ / ٢٠١ .

(٦) سورة الإسراء : ٧٩ .

(٧) سورة الضحى : ٥ .

(٨) التفسير الكبير : ٤٩٥ / ٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

مقاماً أنعم رسول الله ﷺ فيه على قوم فحمدوه على ذلك الإنعام، وذلك الإنعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ وتعليم الشرع لأن ذلك كان حاصلًا في الحال ، وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ تطميع، وتطميع الإنسان في الشيء الذي وعده في الحال محال ، فوجب أن يكون ذلك الإنعام الذي لأجله يصير محموداً إنعاماً سيصل منه حصل له بعد ذلك إلى الناس، وما ذاك إلا شفاعته عند الله ، فدل هذا على أن لفظ الآية وهو قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ يدل على هذا المعنى. وأيضاً التكرير في قوله مقاماً محموداً يدل على أنه يحصل للنبي عليه السلام في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل" (١)

وقال ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٢): "هذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة عن الرسول ﷺ: آتي تحت العرش فأخر ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع.."(٣)

وقد تضافرت الروايات حول الآية وكلها تجمع على أن المراد من المقام المحمود هو مقام الشفاعة الكبرى له ﷺ في كلا الفريقين:

١ - قال رسول الله ﷺ: "إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من امتي فيشفعني الله فيهم ، والله لا تشفعت فيمن أذى ذريتي" (٤)

٢ - عن كعب بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: "يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود"(٥)

(١) م.ن : ٣٨٧ / ٢١ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥١٩ / ١ .

(٤) تفسير نور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ٢٠٧ / ٣ ح ٣٩٨ .

(٥) الشفا ، القاضي عياض: ٢١٧ / ١ . والدر المنثور ، جلال الدين السيوطي: ١٩٧ / ٤ .

وتفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير : ٩٩ / ٥ . وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: ٢٣٤٢ / ٢ ح ١٣٣٦٩ . وجامع التفسير من كتب الأحاديث، خالد آل عقدة : ١١٧٦ / ٢ ح ١١٢٥ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

٣ - عن الامام الباقر عليه السلام قوله : "ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد عليه السلام" (١)

"فالروايات الدالة على وقوع شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام وكذا من طرق أهل السنة بالغة حد التواتر، وهي من حيث المجموع إنما تدلّ على معنى واحد وهو الشفاعة على المذنبين من أهل الإيمان إما بالتخليص من دخول النار وإما بالإخراج منها بعد الدخول فيها، والمتيقن منها عدم خلود المذنبين من أهل الإيمان في النار، وقد عرفت أن القرآن أيضاً لا يدل على أزيد من ذلك" (٢)

وللأنبياء عليهم السلام جميعاً شفاعة في الدنيا على ما سبق ذكره، ولهم شفاعة في الآخرة أيضاً، وهذا ما صرحت به الروايات الواردة عن الفريقين، منها قوله صلى الله عليه وآله : "فيؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويخرجون من كان في قلبه ما يزن ذرة من إيمان" (٣)

قال محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ) : "لكن لو أعطي القرآن حقه من التدبر وسلمت النفوس من وباء الأهواء والتحزب... لما ثار الهياج من بعض الناس على استشفاع المسلمين بالرسول والأئمة والأولياء، لأنهم عباد مكرمون، وأولى عباد الله بأن نعتقد إذنه جلت آلاؤه لهم بالشفاعة إكراماً لهم لأجل الحكمة التي ذكرناها. وقد اكتفينا ها هنا بدلالة الكتاب المجيد عن الإشارة إلى ما تواتر معناه من أحاديث المسلمين في هذه الشؤون، وفي كتبهم في الحديث من ذلك شيء كثير والأمر فيه جلي" (٤)

الآية الثانية: قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٥)

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد المشهدي: ٥٠١/١٠. ونور الثقلين ، عبد علي الحويزي: ١٠٢/٤ ح ١٢٢ . وتفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٧٨/١. ومن هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي: ٤٦١ / ١٠ .

(٢) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٨٣ / ١ .

(٣) مسند أحمد ، أحمد بن حنبل : ٤٣ / ٥ .

(٤) آلاء الرحمن في تفسير القرآن : ١ / ١٣٦ .

(٥) سورة الضحى : ٥ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في العُبيّة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

جاء في تفسير الآية ما روى بشر بن شريح البصري قال : قلت لمحمد بن علي عليه السلام آية آية في كتاب الله أرجى ؟ قال : ما يقول فيها قومك ؟ قال : قلت : يقولون : «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» ^(١)، قال : لكننا أهل البيت لا نقول ذلك ، قال : قلت : فأبي شيء تقولون فيها ؟ قال : نقول : «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» الشفاعة ، والله الشفاعة ، والله الشفاعة" ^(٢)

٢ - الشفاعة عند الأئمة عليهم السلام :

تضافرت الروايات الواردة في المقام لإثبات الشفاعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وبالأخص للإمام علي أمير المؤمنين وبضعة المصطفى الزهراء البتول (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين)

الآية الأولى : «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا» ^(٣)

عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : «لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا» قال: "نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً، قلت: جعلت فداك وما تقولون؟ قال : نمجد ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا ربنا" ^(٤)

الآية الثانية : قوله تعالى : «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» ^(٥)

ورد في تفسير علي بن إبراهيم: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» قال: لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله له إلا رسول الله

(١) سورة الزمر : ٥٣ .

(٢) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١ / ١٧٦ .

(٣) سورة النبأ : ٣٨ .

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨ / ٤١ ح ٢٨ .

(٥) سورة سبأ : ٢٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوة والإمامة...

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أذنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِلْأُئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ (١)

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (٢)

ورد في تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قالوا: والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: من المهتدين، قال: لأن الإيمان قد لزمهم بالإقرار (٣)

وعن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: قال : "الشافعون" الأئمة ، و "الصديق" من المؤمنين (٤)

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : "إني مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة ، أعلم ذلك بعهد عهدي إلى أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله ﷺ ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وأبائي شفعاؤه يوم القيامة ، ومن كنا شفعاؤه نحى ولو كان عليه مثل وزر الثقلين" (٥) رزقنا الله في الدنيا زيارته وفي الآخرة شفاعته .

وفي شفاعاة أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله ﷺ : اني لأشفع يوم القيامة فأشفع ، ويشفع علي عليه السلام فيشفع ، ويشفع أهل بيتي فيشفعون " (٦)

وفي شفاعاة السيدة الزهراء عليها الصلاة والسلام : ما ورد عن محمد بن مسلم قال: سمعت الإمام الباقر عليه السلام يقول: "لفاطمة وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٢٠١. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨ / ٣٨ ح ١٦

(٢) سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١ .

(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ١٢٣. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨ / ٣٧ ح ١٥

(٤) ينظر : المحاسن ، أحمد البرقي : ١ / ١٨٤ ح ١٨٧ .

(٥) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩٩ / ٣٤ ح ١٥ .

(٦) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨ / ٤٣ ح ٤٣ . وعيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق: ٢ / ٢٦٣ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

النار فتقرأ بين عينيه محباً فتقول: إلهي وسيدي سميتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وتولّى ذريتي من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة إني سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك من النار، ووعدني الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدني هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفعك ليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي ، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فجذبت بيده وأدخلته الجنة" (١)

كما ان من المعلوم ثبوت آخرين يشفعون يوم القيامة أيضاً إلا أن دائرة شفاعتهم محدودة ، منهم العلماء العاملون بعلمهم المنفقون له (٢) وشفاعة الشهيد لأهل بيته (٣) وقارئ القرآن والمستظهر لحاله وحرامه (٤) والمؤمن (٥) وزائر الإمام الحسين (عليه السلام) (٦)

فكان من الأولى أن يكون الإمام المعصوم (عليه السلام) خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المفروض طاعته على العباد من الشفعاء في الحياة الدنيا والآخرة ، كما أن الإمام جامع لكل صفات الخير وما يستوجب كونه من الشفعاء ومنها انه عالم عامل بعلمه منفق له وتالي كتاب الله وترجمانه ويموت شهيداً ، وهذا ما لا يختلف فيه اثنان .

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١٧٩ / ١ ح ٦ .

(٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الأعلى السبزواري: ٢٠٥/٤ .

(٣) ينظر: حقائق الروح والريحان ، محمد أمين الهرري: ٢٧٠/٥ . وينظر: سنن الترمذي، محمد بن عيسى : ١٠٦/٣ ح ١٧١٢ .

(٤) ينظر: التفسير المظهري : محمد ثناء الله: ٣٨٣/١٠ . وسنن الترمذي، محمد بن عيسى : ٤/ ٢٤٥ ح ٣٠٦٩ . وينظر: سنن ابن ماجه ، محمد القزويني: ٧٨ / ١ ح ٢١٦ .

(٥) قال الإمام الباقر (عليه السلام) : " وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار : ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ " تفسير البرهان ، هاشم البحراني: ١٧٧/٤ ح ٧٩٠٤ نقلاً عن الكافي، الشيخ الكليني : ١٠١ / ٨ ح ٧٢ .

(٦) عن سيف التمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سمعته يقول : زائر الحسين (عليه السلام) مشفع يوم القيامة لمائة رجل كلهم قد وجبت لهم النار في الدنيا من المسرفين " كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه : ٣٠٩ ح ٢ ب ٦٧ .

الفصل الثالث : الكُبريات المتواردة في الغيبة والمعاد الجسماني للنبوّة والإمامة...

والله تبارك وتعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل، وهم الشهداء على الأوصياء، والأئمة شهداء على الناس ، فمن الحساب والميزان ما يتولاه الله، ومنه ما يتولاه حججه^(١) وهنا يأتي دور الشفاعة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ^(٢) قال : "الموازين الأنبياء والأوصياء" ^(٣) فهذا توارد صريح في كون النبوّة والإمامة المعايير التي يعرف بها الحق والعدل ، ورجحان الأعمال إنما هو بقدرة الإيمان بهم ، واعتقاد محبتهم وطاعتهم ، والاهتداء بهم.

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٥١ / ٧ .

(٥) سورة الأنبياء: ٤٧ .

(٣) تفسير البرهان ، هاشم البحراني: ٨٢١/٣ ح ٧١٦٩. وتفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٥٧٠ / ٤ . والكافي ، الشيخ الكليني : ٤١٩/١ ح ٣٦ . ومعاني الأخبار، الشيخ الصدوق : ٣١ ح ١ باب معنى الموازين التي توزن بها أعمال العباد.

الْخَاتِمَةُ

الخاتمة

نتائج البحث

بعد هذه الوقفة العلمية على دراسة موضوع "الكبريات المتواردة في النبوة والإمامة - دراسة تفسيرية -" اتضح للباحثة طائفة من النتائج التي توصلت إليها بعد رصد وتسليط الضوء على كُبريات أساسية تشترك بها النبوة والإمامة في الكتب التفسيرية وجاءت على النحو الآتي :

١ - أن الكُبريات التي جعلها الله تعالى في النبوة والإمامة هي منظومة مشروع الحكومة الإلهية على وجه الأرض ، وقد ثبت تواردها كلاً مما يأتي :

أ - الطهارة العامة المطلقة المادية والمعنوية في الأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام ، فقد اعتصموا من الذنوب والكفر والجهل، ومن جميع الفواحش والردائل ، ومن حصول الخطأ والسهو والنسيان منهم ، وطهرت ولادتهم و أجسادهم وكل ما يتعلق بها.

ب - الولاية العامة المطلقة للنبوة والإمامة على الخلق :

في الجانب التشريعي : إبلاغ الأحكام الإلهية وتفسيرها وحق التشريع وتقنين الأحكام كما يريد سبحانه وتعالى .

فكان من لوازم ولايتهم التشريعية فرض الطاعة لهم والتسليم والرضى بقولهم وإظهار المحبة لهم والصلاة عليهم ولعن أعدائهم والبراءة منهم ، وقد تواردها ذلك في للأنبياء والأئمة عليهم السلام ، ففي ذلك إمتثال لإرادة السماء ومبتغاها من اصطفاء النبوة والإمامة على حد سواء .

وفي الجانب التكويني : التصرف في شؤون الكون بإذن الله والتصرف بشؤونهم لمقتضى المصلحة الفردية والجماعية ، فقد تواردها جريان المعاجز للأئمة عليهم السلام لإثبات صدق دعواهم للإمامة ولتحدي من يدعي الإمامة له كونها من المناصب الإلهية ، كما جرى ذلك للأنبياء عليهم السلام .

والولاية العامة المطلقة تعكس شمولية أدوار الأنبياء والأئمة عليهم السلام لما تتجسّد بهم من مؤهلات في تحمل المسؤوليات الإلهية في الإتيان والحاكمية .

ث - العلم الدني وهو علم من الله عز وجل ، ومن وسائل تحصيله الإصطفاء : فقد اختارهم الله تعالى لعلمه ، والوراثة : فقد توارثوا هذا العلم بكل أنواعه كعلم التأويل واللغات ومنطق الطير والغيب والملوك ، كونهم من شجرة واحدة وأسرة طيبة طاهرة من النبي آدم عليه السلام حتى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وامتداده الى أئمة الهدى عليهم السلام وصولاً الى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)، والوحي: من إلهام أو روح القدس أو التحديث .

ث - وقوع الغيبة في النبوة والإمامة ، لمقتضى مرحلي تحتمه الضرورة للإخفاء في مسيرة الأنبياء والأوصياء، لإختبار الأمة في هويتهم الإيمانية وثباتهم عليها أو لتأديبهم ، أو لحماية المناصب الإلهية المتمثلة بالنبوة والإمامة من بطش أقوامهم لهم ج- الرجعة في النبوة والإمامة التي هي معاد جسماني أصغر قبل يوم القيامة ، وهي مرحلة استثنائية تعبر عن تجلي العدالة الإلهية بعودة الأنبياء والأئمة عليهم السلام إلى دار الدنيا لإتمام دورة الحساب الإلهي لبعض أقوامهم قبل يوم القيامة وهذا يعزز بحتمية العدالة الإلهية، وتوضح جانباً من حكمة الله تعالى في تدبير شؤون خلقه .

ح - الشفاعة والشهادة للخلق بإذن الله تعالى في المعاد الجسماني الأكبر ليوم القيامة ، إذ تتجلى مهامهم الكبرى آنذاك ، فيظهر دورهم المركزي في ذلك اليوم العظيم.

٢ - إن ثبوت التوارد بين مقام النبوة والإمامة فيما سبق، وعدم إيجاد كبرى لم تتوارد بينهما ، يفهم منه عدة أمور:

أ - علو مقام الإمامة الذي هو جعل إلهي ومنصب عظيم كالنبوة ، له ما للنبوة من الكمالات والمقامات إلا أنهم ليسوا أنبياء ولم ينتزل عليهم القرآن ، بل هي مرتبة أعلى وأسمى وأرقى من النبوة والرسالة، وذلك خلال ما توفر من الأدلة أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء ، ماعدا نبينا محمد صلى الله عليه وآله فهو أفضل الخلق أجمعين.

ب - بروز دور الإمامة الى جانب النبوة في تحقيق العدالة الإلهية وهداية الخلق .

ت - أن النبوة والإمامة ليستا مجرد مواقع دينية، بل هما منظومة يكمل أحدها الآخر ، فإكمال النبوة بالإمامة يُظهر حكمة الله ووسائله في تحقيق إرادته وتدبير شؤون خلقه، وإمتنانه على عباده .

ث - إن النبوة والإمامة ليستا مرحلتين منفصلتين ، بل تمثلان سلسلة تكاملية وتواصلية لا تنقطع ، فالإمامة متممة للنبوة ومحقة لحكمة ختم النبوة .

ج - إن النبوة والإمامة من أصل واحد ومنهج واحد، يمثلون تجسيدًا للكمال الإلهي في الخلق وتجلي للعدالة الإلهية .

ح - إن الإمامة المتمثلة بالأئمة الاثنا عشر المعصومين الأطهار عليهم السلام هي أهلٌ للقيام مقام النبي محمد ﷺ لاستلام مهام الرسالة السماوية وتأدية وظائفه من ابلاغ رسالة الله الى الناس، وإرشادهم في امور دينهم ودنياهم وحمل مسؤولية قيادة المجتمع ، لما ثبت لهم من تجلي لهذه الكبريات في سيرتهم كالمعاجز والوحي.

وفي الختام، أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل قد وُفق في خدمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ، وأن يُسهم في إثراء المكتبة الإسلامية ببحث يعزز من فهم العقيدة الإسلامية ويبين عظمة النبوة والإمامة كركيزتين أساسيتين في بناء الأمة، وأرجو أن يُلهم الله الباحثين لمزيد من الدراسات التي تغوص في أعماق الفكر الإسلامي، وتسלט الضوء على جمالياته وسعة أفقه.

والله ولي التوفيق

التوصيات

استنادًا إلى ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، تقترح الدراسة مجموعة من التوصيات التي تهدف إلى تعزيز الفهم العلمي والديني لموضوع النبوة والإمامة، ودعم الدراسات المستقبلية في هذا المجال، وهي كالتالي:

١. تعزيز دراسة العلاقة بين النبوة والإمامة وذلك بتشجيع الباحثين على التعمق في دراسة الجوانب المشتركة بين النبوة والإمامة، عبر التركيز على النصوص القرآنية والحديثية التي توضح المعاني الكبرى المرتبطة بهما، مما يفتح آفاقاً جديدة لفهم الأدوار التكاملية لهاتين المؤسستين.

٢. إحياء التراث الفكري المتعلق بالنبوة والإمامة وذلك بدعم جهود تحقيق المخطوطات والنصوص التراثية التي تناولت موضوع الكبريات المشتركة بين النبوة والإمامة، مع توفير منصات رقمية لنشرها وتيسير الوصول إليها للباحثين والمهتمين.

٣. تشجيع الحوار بين المذاهب الإسلامية بالعمل على بناء جسور تفاهم بين مختلف المذاهب الإسلامية عبر دراسة النقاط المشتركة في مفهوم النبوة والإمامة، مما يعزز الوحدة الإسلامية ويحد من الخلافات العقائدية .

٤. تطوير المناهج الدراسية بإدراج موضوعات تتعلق بالكبريات المشتركة بين النبوة والإمامة في المناهج الدراسية الأكاديمية ، لتوسيع دائرة الوعي بأهمية هذه المفاهيم في الفكر الإسلامي.

٥. ربط المفاهيم الكبرى بالواقع المعاصر من طريق دراسة كيفية تفعيل المفاهيم الكبرى المستخلصة من النبوة والإمامة في معالجة قضايا معاصرة، مثل القيادة الرشيدة، العدالة الاجتماعية، وتوجيه المجتمعات نحو القيم الأخلاقية العليا.

٦. تنظيم ندوات ومؤتمرات علمية وعقد ندوات ومؤتمرات علمية تجمع بين الأكاديميين والباحثين من مختلف التخصصات لمناقشة مفاهيم الكبريات التي ارتبطت بالنبوة والإمامة، وتعزيز البحث العلمي في هذا المجال.

٧. توسيع الدراسات المقارنة ومقارنة المفاهيم الإسلامية المرتبطة بالنبوة والإمامة مع نظيراتها في الثقافات والأديان الأخرى، لإبراز الخصوصية الإسلامية وإثراء الحوار بين الأديان.

٨. الاستفادة من الوسائل الحديثة، كالمواقع الإلكترونية والمنصات التعليمية، لنشر المفاهيم المتعلقة بالنبوة والإمامة بطريقة مبسطة وشاملة للجمهور العام.

نأمل أن تسهم هذه التوصيات في فتح آفاق جديدة أمام الباحثين والمعنيين بالدراسات الإسلامية، بما يسهم في تعزيز الفهم العميق للعقيدة الإسلامية ونشر قيمها السامية.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- ١- آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي (ت١٣٥٢هـ)، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ.
- ٢- آيات الأنوار في فضائل النبي وآله الأطهار(عليهم السلام)، الميرزا محمود اليوسفي الغروي ، مركز انتشارات دار النشر اسلام، مط مهدية ، قم المقدسة ، ط١، ب.ت .
- ٣- آيات الولاية في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، قم المقدسة ، ١٣٨٣ هـ .
- ٤- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبي الحسن علي المسعودي(ت٣٤٦ هـ)، ناشر انصاريان ، قم المقدسة، ب.ط ، ١٣٨٤ هـ.
- ٥- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ، محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤ هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤ م .
- ٦- إثبات الرجعة ، الشيخ علي آل محسن، طبع ونشر وفا ، ط١ ، ١٤٣٥ هـ.
- ٧- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، أبي جعفر الشيخ الطوسي(ت٤٦٠ هـ) تح: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، مط بعثت، قم المقدسة ، ب.ط ، ١٤٠٤ هـ .
- ٨- إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن ، محمد السبزواري النجفي (ت١٤٠٩ هـ) ، دار التعارف ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩ هـ .
- ٩- إكسير العبادات في أسرار الشهادات (أسرار الشهادة) ، آغا عابد الشيرواني المعروف بالفاضل الدربندي (ت١٢٨٥ هـ) ، تح : محمد جمعة بادي، وعباس ملا عطية الجمري، شركة المصطفى للخدمات الثقافية ، ط١، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م .
- ١٠- إصلاح المنطق ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السبكي (ت٢٤٤ هـ)، تح: محمد مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.
- ١١- إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨ هـ) ، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم المقدسة ، ط١، ١٤١٧ هـ .
- ١٢- إقبال الأعمال ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس(ت٦٦٤ هـ) ، تح: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم المقدسة ، ط١، ١٤١٤ هـ .
- ١٣- إمامة الإثنى عشر في القرآن من كتب السنة، المفكر نجاح الطائي، مؤسسة البلاغ ، دار الهدى لإحياء التراث ، قم المقدسة ، ط١ ، ٢٠١٥ م
- ١٤- إمامة علي عليه السلام بين العقل والقرآن ، محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠ هـ) ، تح: سامي الغريزي ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، مط ستار ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

- ١٥- الإمامة وأهل البيت عليهم السلام النظرية والاستدلال، محمد باقر الحكيم، المركز الإسلامي المعاصر، ط١، ١٤٢٤ هـ .
- ١٦- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، أحمد بن علي تقي الدين المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ) ، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ١٧- إيمان أبي طالب ﷺ ، الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي (ت ١٣٩٢ هـ)، دار الكتب العربي ، بيروت، ط٣، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.
- ١٨- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تح: محمد أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة ، ب.ط ، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م .
- ١٩- الإحتجاج ، أبي منصور أحمد بن علي الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ، النعمان ، النجف الأشرف ، ب.ط ، ١٩٦٦ م .
- ٢٠- الإختصاص ، الشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣ هـ)، تح: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، ط٢ ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م .
- ٢١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد ، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م .
- ٢٢- الإعتقادات في دين الإمامة ، محمد بن علي بن بابويه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تح: عصام عبد السيد ، دار المفيد ، ط٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م .
- ٢٣- الإفتراءات على النبي محمد ﷺ ، الدكتور رياض رحيم حسين الصفراني ، العتبة الحسينية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، كربلاء المقدسة ، ط١، ١٤٣٩ هـ.
- ٢٤- الإفصاح في فقه اللغة ، عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى (ت ١٣٩١ هـ) ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، ط٤، ١٤١٠ هـ .
- ٢٥- الإقتصاد الهادي الى طريق الرشاد ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، مط الخيام، قم المقدسة ، ١٤٠٠ هـ .
- ٢٦- الإستبصار فيما اختلف من الأخبار، الشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ، تح: حسن الموسوي، دار الكتب الإسلامية ، النجف الأشرف، ط٢، ١٣٧٦ هـ.
- ٢٧- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ) ، تح: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ت .
- ٢٨- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل ، محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن مكي العاملي ، المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، مط القدس ، قم المقدسة، ط٣، ١٤١٢ هـ.

- ٢٩- الإمام المهدي عليه السلام في القرآن والسنة ، سعيد أبو معاش (ت ١٤٣١هـ) ، مشهد المقدسة ، آستان قدس رضوي، ط ٣، ١٤٣٠ هـ .
- ٣٠- الإمامة و السياسة (تاريخ الخلفاء)، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٠هـ) ، تح: طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه، ب.ط ، ب.ت ، مكتبة الشيعة .
- ٣١- الإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى العمراني (ت ٥٥٨هـ) تح: سعود بن عبد العزيز الخلف ، أضواء السلف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م .
- ٣٢- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، علاء الدين أبو الحسن المرادوي (ت ٨٨٥هـ)، تح: محمد حامد الفقي، مط السنة المحمدية، دار التراث العربي، بيروت ، ط ١ ، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م .
- ٣٣- الإيقاظ من الهجة بالبرهان على الرجعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ): تح: مشتاق مظفر، دليل ما ، ط ١، ب.ت .
- ٣٤- أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد ، مقاتل بن عطية ، تح: الشيخ محمد جميل حمود العاملي ، منشورات مركز العترة للدراسات والبحوث، مؤسسة الأعلمي ، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م .
- ٣٥- أبو طالب حامل نور الإمامة ، الحاج إبراهيم المنيني (ت ٢٠١٦م) ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م .
- ٣٦- أحكام الأسرة في الإسلام ، محمد مصطفى شلبي ، الدار الجامعية ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م .
- ٣٧- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ب.ط ، ب.ت .
- ٣٨- أديان الهند الكبرى ، الدكتور أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية، ط ١١ ، ٢٠٠٠ م.
- ٣٩- أساس البلاغة ، محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت ٥٨٣هـ) ، تح : محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- ٤٠- أسرار الحكم ، المحقق السبزواري (ت ١٢٨٨هـ) ، مطبوعات ديني ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٣٨٣ هـ .
- ٤١- أسرار القرآن ، محمد ماضي أبو العزائم (ت ١٣٥٦هـ) ، دار الكتاب الصوفي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ .
- ٤٢- أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة ، السيد جعفر مرتضى العاملي ، المجموعة السابعة ، المركز الإسلامي للدراسات ، ط ١ ، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ م . السؤال (٣٦٧ و ٣٦٨) .
- ٤٣- الأساس في التفسير ، سعيد حوي (ت ١٤٠٩هـ) ، دار السلام ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٤٢٤ هـ .

- ٤٤- الأصفى في تفسير القرآن ، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) ، تح: محمد حسين درايي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ .
- ٤٥- أصل الشيعة وأصولها ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) ، تح: علاء آل جعفر ، مؤسسة الإمام علي عليه السلام، ب.ت .
- ٤٦- الأصول الأصيلة ، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) ، تح: مير جلال الدين الحسيني ، دا نشكاه ، ١٣٩٠ هـ .
- ٤٧- الأصول العامة للفقهاء المقارن ، محمد تقي الحكيم ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .
- ٤٨- الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٣ ، ١٣٨٨ هـ .
- ٤٩- أعلام النبوة ، أبي الحسن الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٥٠- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، دار الاسوة للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- ٥١- الألفين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) ، مكتبة الألفين ، الكويت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٥٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، عبد الله بن عمر البياضوي (ت ٦٨٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ٥٣- أنوار القرآن وأسرار الفرقان (تفسير الملا علي القاري) نور الدين الملا علي بن سلطان الهروي الحنفي القاري (ت ١٠١٤هـ) ، تح : ناجي السويد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- ٥٤- أنوار الولاية ، ملا زين العابدين الكلبايكاني (ت ١٢٨٩هـ) ، شبكة الفكر ، ب.ط ، ١٤٠٩ هـ .
- ٥٥- أوائل المقالات ، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ) ، تح : إبراهيم الانصاري، دار المفيد، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ٥٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ط ٥ ، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ م .
- ٥٧- الأمالي ، أبي جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، تح: قسم الدراسات الإسلامية دار الثقافة، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٥٨- الأمالي ، الشيخ أبي جعفر محمد ابن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- ٥٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، قم المقدسة، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ ش .

- ٦٠- بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.
- ٦١- البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدين بن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، ط ٢ ، ب.ت .
- ٦٢- بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) ، تح: محب الدين أبي سعيد، دار الفكر، بيروت، ط ١ ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.
- ٦٣- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) ، تح محمد جميل صدقي ، دار الفكر، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٦٤- بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية للشيخ المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، محاضرات السيد محسن الخرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة ، ط ٥ ، ١٤١٨ هـ .
- ٦٥- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤هـ) ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، ب.ت ، ٢٠٠٤م.
- ٦٦- البرهان في تفسير القرآن ، هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧هـ) ، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٦٧- البشري في معاني القرآن ، شهاب الدين ذو فقاري ، دانشگاه معارف قرآن وعترت ، أصفهان ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ.
- ٦٨- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠ هـ) ، تح: ميرزا حسن كوجة ، منشورات الأعلمي، طهران، مط الاحمدي، ط ٢ ، ١٣٦٢ هـ ش .
- ٦٩- البصائر النصيرية في علم المنطق ، زين الدين عمر بن سهلان الساوي (ت ٥٤٠هـ) ، تح: حسن المراغي ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .
- ٧٠- بيان السعادة في مقامات العبادة ، سلطان محمد الجنازدي الملقب سلطان علي شاه (ت ١٣٢٧ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.
- ٧١- بيان المعاني ، عبد القادر ملا حويش آل غازي (ت ١٣٩٨هـ) ، مط الترقى ، ط ١ ، دمشق ، ١٣٢٨ هـ/١٩٦٢م.
- ٧٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين أبي الفيض الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تح: علي شيري، مكتبة الحياة ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
- ٧٣- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ، دار الفكر، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.
- ٧٤- تاريخ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ، ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م.

- ٧٥- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٧٦- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تح: محب الدين أبو سعيد، دار الفكر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.
- ٧٧- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي (ت ٩٤٠هـ)، تح: حسين استادولي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- ٧٨- التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، أحمد نجم الدين كبرى (ت ٦١٨هـ)، تح: أحمد فريد مزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ٧٩- تأويلات أهل السنة، أبي منصور محمد الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٨٠- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تح: أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ب.ت.
- ٨١- تجريد الإعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، تح: محمد جواد الحسيني، مكتب الاعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ٨٢- التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور الشاذلي (ت ١٣٩٤هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ٨٣- التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، أبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، لبنان، ط ١، ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.
- ٨٤- تراث الشيعة القرآني، محمد مهدي راد و فتح الله نجارزادكان و علي الفاضلي، مكتبة التفسير وعلوم القرآن، مطبوعة، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- ٨٥- ترتيب اصلاح المنطق لابن السكيت الأهوازي (ت ٢٤٤هـ)، محمد حسن بكائي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- ٨٦- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٥٧١ هـ)، تح: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.
- ٨٧- التسهيل لتأويل التنزيل، أبي عبد الله مصطفى بن عدوي، دار السنة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.
- ٨٨- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالوضعي، عبد القادر عودة (ت ١٣٧٤هـ)، دار الكاتب العربي، بيروت، ب.ط، ب.ت.
- ٨٩- تصحيح إعتقادات الإمامية، محمد بن محمد بن النعمان العكبري الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تح: حسين دركاهي، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.
- ٩٠- التعريفات الفقهية، محمد عيم الإحسان المجددي البركتي الحنفي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

- ٩١- تفسير أبي السعود ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت ٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ب.ت .
- ٩٢- تفسير القرآن الكريم، أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي (ت ١٤٨هـ)، راجعه محمد هادي معرفة، دار المفيد، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٩٣- تفسير القرآن الكريم، محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) ، صححه محمد خواجوي ، إنتشارات بيدار ، مط أمير ، قم المقدسة ، ط ٢ ، ١٣٦٦ هـ .
- ٩٤- التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفة (ت ١٤٢٧هـ) ، مؤسسة فرهنكي إنتشاراتي ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.
- ٩٥- تفسير الإمام العسكري عليه السلام ، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠هـ) ، تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، قم المقدسة، ط ١، ١٤٩١ هـ .
- ٩٦- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دار الفكر ، بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٩٧- التفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تح: محمد بن صالح الفوزان، المملكة العربية السعودية، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ .
- ٩٨- تفسير البيان الصافي لكلام الله الوافي ، محمد حسن القبيسي العاملي (ت ١٤١٤هـ) ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ط ١ ، ب.ت .
- ٩٩- تفسير السمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ م
- ١٠٠- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩هـ) ، تح أحمد عمر هاشم ، أخبار اليوم ادارة الكتب والمكتبات ، بيروت ، ط ١، ١٩٩١م.
- ١٠١- التفسير الصافي ، محمد بن شاه مرتضى الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) ، تح: حسين أعلمي ، مكتبة الصدر ، طهران ، ط ٢ ، ١٣٧٣ هـ.ش.
- ١٠٢- تفسير الصراط المستقيم ، السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٠هـ) ، مؤسسة انصاريان ، قم المقدسة ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م.
- ١٠٣- تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز السلمي الدمشقي (ت ٦٦٠هـ)، تح: احمد فتحي عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨م.
- ١٠٤- تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ) تح: هاشم رسولي، مكتبة العلمية الإسلامية، طهران ، ط ١ ، ١٣٨٠ هـ .
- ١٠٥- تفسير الفريد للقرآن المجيد ، محمد عبد المنعم جمال ، الناشر مؤلف ، القاهرة ، ط ١ ، ب.ت .
- ١٠٦- تفسير القرآن ، محمد بن إبراهيم ابن المنذر (ت ٣١٨هـ) ، تح: سعد بن محمد، دار المآثر ، المدينة المنورة، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .

- ١٠٧- تفسير القرآن العظيم ، عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) ،
تح: أسعد محمد طيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض ، ط ١ ،
١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ١٠٨- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير
(ت ٧٧٤ هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ.
- ١٠٩- تفسير القرآن الكريم ، عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي
(ت ١٢٧ هـ) ، تح: عبد الرزاق حرز الدين ، دليل ما، قم المقدسة ، ط ١ ،
١٣٨٨ هـ.
- ١١٠- تفسير القرآن المجيد المستخرج من تراث الشيخ المفيد ، الشيخ محمد
بن محمد المفيد (ت ٤١٣ هـ) السيد محمد علي أيازي ، بوستان كتاب قم ،
قم المقدسة ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ .
- ١١١- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس خطيب (ت ١٤٠٦ هـ) ، دار
الفكر العربي، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ .
- ١١٢- تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩ هـ) ، تح: طيب جزائري
، دار الكتب ، قم المقدسة ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ.
- ١١٣- تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ)، مؤسسة دار الكتاب
الإسلامي، إيران ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .
- ١١٤- التفسير الكبير (تفسير الطبراني) ، سليمان بن أحمد الطبراني
(ت ٣٦٠ هـ) تح: هشام عبد الكريم الموصلي ، دار الكتاب الثقافي، أربد
، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- ١١٥- التفسير الكبير (مفتاح الغيب) ، محمد بن عمر الفخر الرازي
(ت ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ .
- ١١٦- التفسير المبين ، محمد جواد مغنية (١٤٠٠ هـ) ، دار الكتاب الإسلامي،
قم المقدسة ، ط ٣ ، ١٤٢٥ هـ .
- ١١٧- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى مراغي (ت ١٣٧١ هـ)، دار الفكر ،
بيروت ، ط ١ ، ب.ت .
- ١١٨- تفسير المظهري ، محمد ثناء الله باني بتي المظهري (ت ١٢٢٥ هـ) ،
مكتبة رشيدية ، كويتا ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ١١٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبه الزحيلي
(ت ١٤٣٦ هـ) ، دار الفكر المعاصر ، دمشق، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ.
- ١٢٠- التفسير الموضوعي الفرقان ، محمد صادق طهراني (ت ١٤٣٢ هـ) ،
شكرانة ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ ش .
- ١٢١- التفسير والبيان لأحكام القرآن ، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ،
مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٣٨ هـ .
- ١٢٢- التفسير الواضح الميسر ، محمد علي الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) ، المكتبة
العصرية ، بيروت، ط ٨ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .

- ١٢٣- تفسير أبو علي الجبائي ، محمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت ٣٠٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ .
- ١٢٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي (ت ١٤٣١ هـ) ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- ١٢٥- تفسير أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن الكريم ، سيد علي عاشور (ت ١٤٢٩ هـ) ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- ١٢٦- تفسير جابر الجعفي صاحب الإمام الباقر عليه السلام ، رسول كاظم عبد السادة ، الإعتصام ، النجف الاشرف ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .
- ١٢٧- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد أمين بن عبد الله الارمي الهرري الشافعي (ت ١٤٤١ هـ) ، تح : هاشم محمد علي ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ١٢٨- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن القمي النيسابوري (ت ٨٥٠ هـ) ، تح: زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- ١٢٩- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٠٧ هـ)، تح محمد كاظم ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، ط ١ ، ١٣١٠ هـ .
- ١٣٠- تفسير في رحاب القرآن ، محمد مهدي الأصفي (ت ١٤٣٦ هـ) ، المشرق للثقافة والنشر ، مط مجمع أهل البيت عليهم السلام ، النجف الأشرف ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .
- ١٣١- تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) ، تح: محمد باسل عيون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ١٣٢- تفسير المُعين ، نور الدين محمد بن مرتضى الكاشاني (ت ١١١٥ هـ) ، تح: حسين دركاهي ، مكتبة المرعشي النجفي ، مط بهمن ، قم المقدسة ، ط ١ ، ب.ت .
- ١٣٣- تفسير نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٣٨٤ هـ ش .
- ١٣٤- تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة الحويزي (ت ١١١٢ هـ) ، تح هاشم رسولي ، اسماعيليان ، قم المقدسة ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ .
- ١٣٥- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة (ت ١٤٢٧ هـ) ، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ، ب.ت ، ١٤٢٥ هـ .
- ١٣٦- تفضيل الأئمة عليهم السلام على الأنبياء والملائكة ، الحسن بن سليمان الحر العاملي (ق ٨) ، تح: مشتاق صالح ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ .
- ١٣٧- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ، محب الدين الحلبي ناظر الجيش (٧٧٨ هـ) ، تح : علي محمد فاخر ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ .

- ١٣٨- التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة (ت١٤٢٧هـ) ، دار التعارف للمطبوعات ، قم المقدسة ، ١٤٣٢ هـ/٢٠١١م.
- ١٣٩- تنزيه الأنبياء والأئمة ، علي بن حسين سيد مرتضى علم الهدى (ت٤٣٦ هـ) ، تح: مهدي تبريزي ، آستان قدس رضوي ، مشهد المقدسة ، ط١ ، ١٣٩٨هـ.
- ١٤٠- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، مكتبة التجارة الكبرى ، مصر ، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩م.
- ١٤١- تهذيب الأحكام لشرح المقنعة للشيخ المفيد ، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تح: حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط٣ ، ١٣٦٤ هـ ش .
- ١٤٢- تهذيب اللغة ، محمد الأزهرى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م .
- ١٤٣- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) تح: عبد الحميد صالح ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١٠١٤ ، ١٩٩٠م .
- ١٤٤- التيسير في التفسير ، عمر بن محمد النسفي(ت٥٣٧ هـ) ،تح: ماهر أديب، دار اللباب للدراسات ، ط١ ، اسطنبول ، ١٤٤٤٠ هـ .
- ١٤٥- التيسير في التفسير للقرآن برواية أهل البيت عليهم السلام ، ماجد ناصر الزبيدي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ .
- ١٤٦- الثاقب في المناقب ، محمد بن علي بن حمزة الطوسي (ت٥٦٠هـ) ، تح: نبيل رضوان علوان ، مؤسسة انصاريان، قم المقدسة ، ط١٢١٤١٢ ، ٢ هـ
- ١٤٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ) ، دار الهجر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٤٨- جامع التفاسير في كتب الأحاديث، خالد آل عقدة ، دار طيبة ، الرياض، ط١ ، ١٤٢١ هـ .
- ١٤٩- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي) ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م .
- ١٥٠- جامع الدروس العربية ، مصطفى غلاييني (ت١٣٦٣هـ) ، تح: عبد المنعم خفاجة ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٣٠ ، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م.
- ١٥١- الجامع لشعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تح: عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٣م.
- ١٥٢- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤م.

- ١٥٣- الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبياناه ، محمود صافي ، دار الرشيد ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ١٥٤- الجديد في تفسير القرآن المجيد ، الشيخ محمد السبزواري النجفي (ت ١٤٠٩ هـ)، دار التعارف ، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- ١٥٥- جمال الاسبوع بكامل العمل المشروع ، السيد رضي الدين ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تح: جواد قيومي، مط اختر شمال، ط ١ ، ١٣٧١ ش.
- ١٥٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) ، عبد الرحمن ابو زيد الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ.
- ١٥٧- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري (ت ١٢٦٦ هـ) ، تح: علي أخوندي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٦٧ هـ .
- ١٥٨- الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ)، تح : أسامة الساعدي، ذوي القربى ، قم ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ .
- ١٥٩- حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، محمد أمين بن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ)، تح: عادل أحمد وعلي أحمد معوض ، دار الفكر، بيروت، ب.ط ، ١٤١٥ هـ.
- ١٦٠- حاشية السندي على سنن النسائي ، محمد عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨ هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ١٦١- حديث الإمامة ، السيد جعفر الحسيني الشيرازي، قم المقدسة ، دار العلم، ط ٢ ، ١٤٤٢ هـ .
- ١٦٢- حسن البيان في تفسير القرآن، محمد طه الباليساني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط ١ ، ١٤٣٨ هـ .
- ١٦٣- حق اليقين في معرفة أصول الدين ، السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ١٦٤- حقيقة علم آل محمد عليه السلام وجهاته، السيد علي عاشور ، المكتبة الشيعية.
- ١٦٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ط ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- ١٦٦- حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه ، محمد محمديان ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ١٦٧- حياة الإمام المهدي عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، مط أمير ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- ١٦٨- الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) ، تح: محمد باقر الموحّد ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ.

- ١٦٩- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، رضي الدين علي بن طائوس الحسيني(ت ٦٦٤ هـ) ، منشورات الرضي، مط أمير ، قم المقدسة، ١٣٦٣ هـ.
- ١٧٠- الخصال ، أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، تح: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ١٤٠٣ هـ.
- ١٧١- الخصائص الكبرى ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت ٩١١ هـ) ، تح : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ب.ت .
- ١٧٢- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ، تح: أحمد ميرين البلوشي ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ١٧٣- الخلافة ، محمد رشيد القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤ هـ) ، مؤسسة هندايي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٨ م.
- ١٧٤- خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله الاثنا عشر ، السيد محمد الحائري البحراني ، تح: محمد علي الحيدري ، قم المقدسة ، مط الشريعة، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ.
- ١٧٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، شهاب الدين بن السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ، تح : محمد عوض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ.
- ١٧٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت ٩١١ هـ) ، مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ.
- ١٧٧- الدرة النجفية ، السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ هـ) ، مؤسسة تحقيقات ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام ، تنسيق علي صراط الحق ، ب.ط ، ب.ت .
- ١٧٨- الدر النقي في شرح الفاظ الخرقى ، جمال الدين بن المبرد الحنبلي (ت ٩٠٩ هـ) ، تح: رضوان مختار ، دار المجتمع ، السعودية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ١٧٩- دروس في العقيدة الإسلامية ، محمد تقي المصباح اليزدي ، دار الرسول الأكرم ، بيروت ، ط ٨ ، ١٤٢٩ هـ .
- ١٨٠- الدعوات ، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٨١- الدفاع عن الأنبياء والمرسلين في كتاب الله المبين ، حسن يحيى المياحي ، دار القرآن الكريم ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م .
- ١٨٢- دلائل الإمامة ، محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير الإمامي (ت ٤١١ هـ) ، قسم الدراسات القرآنية ، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

- ١٨٣- دلائل النبوة ، الحافظ أحمد أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، تح: محمد قلعة جي و عبد البر عباس ، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ١٨٤- دلائل الصدق لنهج الحق ، محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث ، قم المقدسة ، ب.ت .
- ١٨٥- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) ، تح: أكرم البلوشي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٥٦ هـ .
- ١٨٦- رجال الكشي (إختيار معرفة الرجال) ، محمد بن عمر الكشي (ت ٩٤١هـ) ، تح: محمد بن الحسن الطوسي ، مؤسسة دانشگاه ، مشهد المقدسة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- ١٨٧- الرجعة ، الميرزا محمد مؤمن الاسترآبادي (ت ١٠٨٨هـ) ، تح: فارس حسون، دار الاعتصام ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ١٨٨- الرجعة أو العودة الى الحياة الدنيا بعد الموت ، مركز الرسالة ، مط ستارة ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٨٩- رسالة في التقية ، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨٢هـ) ، تح: فارس تبريزيان ، مؤسسة قائم آل محمد عجل الله فرجه ، مط مهر ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٩٠- رسائل الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) ، تح: أحمد الحسيني ، مط سيد الشهداء ، قم المقدسة ، ١٤٠٥ .
- ١٩١- الرسل والرسالات ، عمر سليمان الأشقر العتيبي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، دار النفائس ، ط ٤ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- ١٩٢- رموز الكنوز في تفسير كتاب الله العزيز، عز الدين عبد الرزاق رسعني الحنبلي (ت ٦٦١ هـ) ، تح: عبد الملك بن عبد الله ، مكتبة الأسد ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ١٩٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ، تح: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- ١٩٤- روح البيان في تفسير القرآن ، إسماعيل بن مصطفى حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ب.ت .
- ١٩٥- روضة الطالبين وعمدة المفتين ، أبو زكريا محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) ، تح: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٩٦- روضة الواعظين ، محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ) ، تح: محمد مهدي ، منشورات الرضي ، قم المقدسة ، ب.ت .
- ١٩٧- الروضة في الفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، شاذان بن جبرئيل القمي (ت ٦٦٠ هـ) ، تح: علي الشكرجي ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .

- ١٩٨- الرياض النظرة في مناقب العشرة ، محب الدين الطبري الشافعي (ت ٦٩٤ هـ) ، تح: عيسى بن عبد الله الحميري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م.
- ١٩٩- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ، الشيخ علي اليزدي الحائري (ت ١٣٣٣ هـ) ، تح: أبو هلال العسكري، مكتبة الرضي، قم المشرفة ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٠٠- زبدة التفاسير ، المولى فتح الله الشريف الكاشاني (ت ٩٨٨ هـ) ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٣٨١ هـ.
- ٢٠١- زهرة التفاسير ، محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤ هـ) ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط ١ ، ب.ت .
- ٢٠٢- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ) ، تح: عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢٠٣- السراج المنير (تفسير الخطيب الشربيني) ، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ) ، تح: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .
- ٢٠٤- سعد السعود ، السيد علي بن موسى بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤ هـ) ، تح: صاحب علي المحبي، أحسن الحديث، قم المقدسة، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ.
- ٢٠٥- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، عبد الملك بن حسين العصامي المكي (ت ١١١١ هـ) ، تح: عادل أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- ٢٠٦- سنن ابن ماجه ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى بابي الحلبي ، ب.ت .
- ٢٠٧- سنن أبي داود ، أبو داود بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تح: سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٢٠٨- سنن الأنبياء في خاتم الأوصياء الإمام المهدي عجل الله فرجه، السيد مرتضى جمال الدين، دار الناشر الحسيني، كربلاء المقدسة، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م .
- ٢٠٩- سنن الترمذي (الجامع الكبير) ، أبو عيسى محمد الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تح: بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م.
- ٢١٠- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ، تح: حسن عبد المنعم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
- ٢١١- سنن النبي ﷺ ، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢ هـ) ، تح: محمد هادي الفقهي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ.
- ٢١٢- السنة ، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧ هـ) ، تح: محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ.

- ٢١٣- السيرة الحلبية ، علي بن إبراهيم برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ.
- ٢١٤- السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ) ، تح: مصطفى السقا وآخرون ، مط مصطفى الابي وأولاده ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م.
- ٢١٥- السيرة النبوية ، أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ) ، دار القلم العربي ، حلب ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- ٢١٦- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه (ت ١٤٠٣هـ) ، دار القلم ، دمشق ، ط ٨ ، ١٤٢٧ هـ .
- ٢١٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله العقيلي الهمداني بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) ، تح: محمد محي الدين ، دار التراث ، القاهرة ، ط ٢٠ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ٢١٨- شرح إحقاق الحق ، السيد نور الله الحسيني المرعشي (ت ١٠١٩هـ) ، تح: شهاب الدين المرعشي ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قم المقدسة ، ب.ط ، ب.ت .
- ٢١٩- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، محمد بن عبد الباقي الزرقاني الأزهرري (ت ١١٢٢ هـ) ، تح: طه عبد الرؤوف ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٢٢٠- شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبو القاسم هبة الله الرازي اللالكائي (ت ٤١٨ هـ) ، تح: أحمد بن سعد الغامدي ، دار طيبة ، السعودية ، ط ٨ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٢٢١- شرح أصول الكافي للشيخ الكليني ، المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٢٢٢- شرح الشفا ، الملا علي الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ.
- ٢٢٣- تحرير الخصاصة في تفسير الخلاصة (شرح ألفية ابن مالك) ، زين الدين أبو حفص بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) ، تح: عبد الله بن علي الشلال ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ٢٢٤- شرح المقاصد ، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) ، تح : عبد الرحمن عميرة، الناشر الشريف الرضي، قم المقدسة، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ.
- ٢٢٥- شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي ، تح: علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ، مط السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م.

- ٢٢٦- شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، جمال الدين محمد بن عبد الطائي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) ، تح : محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- ٢٢٧- شرح توحيد الصدوق ، القاضي سعيد محمد بن محمد القمي (ت ١١٠٧هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٢٢٨- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) ، تح: محمد إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٢٢٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، أبو الفضل عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ) ، تح : عامر الجزار ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤ م.
- ٢٣٠- الشفاعة ، كمال الحيدري، مؤسسة الهدى ، بيروت ، ب.ط ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م .
- ٢٣١- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) ، تح: حسين عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٢٣٢- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت (عليهم السلام) ، الحاكم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني (ت ٤٩٠ هـ) ، تح: محمد باقر محمودي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .
- ٢٣٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ) ، تح : أصيل بدیع و محمد نبیل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٢٣٤- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣ هـ .
- ٢٣٥- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، ب.ط ، ١٤١٥ هـ .
- ٢٣٦- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني (ت ١٤٤٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ٢٣٧- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، أحمد بن محمد الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) ، تح: عبد الرحمن التركي وكامل محمد ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٢٣٨- ضياء الفرقان في تفسير القرآن، محمد تقي قايني (ت ١٤٤٠ هـ) ، قائن ، طهران ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ .
- ٢٣٩- طب الأئمة (عليهم السلام) ، أبو عتاب بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوريين ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م

- ٢٤٠- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزه العلوي الطالباني (ت ٧٤٥ هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ٢٤١- ظلامة أبي طالب عليه السلام تاريخ ودراسة، جعفر مرتضى العاملي (ت ١٤٤١ هـ)، المركز الإسلامي للدراسات، ب.ط، ٢٠٠٩ م.
- ٢٤٢- عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان بن أبي نصر شیرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تح: أحمد فريد مزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٢٤٣- عصر الظهور، الشيخ علي الكوراني العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٤٤- العصمة، أحمد بن زين الدين الاحسائي (ت ١٢٤١ هـ)، تح: صالح أحمد دياب، مؤسسة شمس هجر، ب.ت.
- ٢٤٥- العقائد الامامية، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣ هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٣٢ هـ.
- ٢٤٦- عقد الجمان في تفسير القرآن، الدكتور عبد الملك قاسم، دار القاسم، الرياض، ط ١، ١٤٣٥ هـ.
- ٢٤٧- عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى السلمى المقدسي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ)، تح: مهيب بن صالح البوريني، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن، ط ٢، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٢٤٨- عقود المرجان في تفسير القرآن، نعمت الله بن عبد الله جزائري (ت ١١١٢ هـ)، نور وحي، قم المقدسة، ط ١، ١٣٨٨ هـ.
- ٢٤٩- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، الشيخ جعفر السبحاني، ترجمة جعفر الهادي، ب.ط، ب.ت.
- ٢٥٠- علم الإمام، تقريراً لدروس كمال الحيدري، علي حمود العبادي، دار فرقد، قم المقدسة، ط ١، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- ٢٥١- علم الإمام عليه السلام، محمد حسين المظفر (ت ١٣٨١ هـ)، دار الزهراء (عليها السلام) للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٢٥٢- علم الإمام عليه السلام، محمد تقي بن عبد الله البرغاني (ت ١١٦٣ هـ)، تح: عقيل عبد الحسن الربيعي، مجمع الامام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق التراث، ط ١، ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م.
- ٢٥٣- علم اليقين، محمد بن شاه مرتضى الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تح: محسن بيدارفر، بيدار، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٢٥٤- علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، عدنان محمد زرزور، دار الإعلام، الأردن، ط ١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٢٥٥- عمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسي (ت في القرن العاشر الهجري)، تح: محمد الطيب الأنصاري، مكتبة الاعيان، ط ١، ب.ت.

- ٢٥٦- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ابن الوزير محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي (ت ٨٤٠ هـ) ، تح: شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٢٥٧- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) مؤسسة دار الهجرة، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ.
- ٢٥٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام ، أبو جعفر محمد بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢٥٩- عيون المعجزات ، حسين بن عبد الوهاب الشعراني (ت القرن الخامس الهجري)، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- ٢٦٠- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، السيد هاشم البحراني الموسوي (ت ١١٠٧ هـ) تح: علي عاشور ، ب.ط ، ب.ت .
- ٢٦١- غاية المرام في علم الكلام ، سيف الدين الأمدي (ت ٦٣١ هـ) ، تح: حسن محمود عبد اللطيف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.
- ٢٦٢- الغدير، العلامة الأميني عبد الحسين أحمد التبريزي النجفي (ت ١٣٩٠ هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٦٦ هـ.
- ٢٦٣- غياث الأمم في التياث الظلم ، عبد الملك بن عبد الله ابو المعالي الجويني (ت ٤٧٨ هـ) ، تح: عبد العظيم الديب ، مكتبة إمام الحرمين ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ .
- ٢٦٤- الغيبة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، تح: عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١١ هـ.
- ٢٦٥- الغيبة ، محمد بن إبراهيم النعماني (ت ٣٦٠ هـ) ، تح: حسين العايش ، مهر ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٣٢٢ هـ.
- ٢٦٦- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ) ، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ ، ب.ت .
- ٢٦٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، المكتبة السلفية ، مصر ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ.
- ٢٦٨- فتح الرحمن في تفسير القرآن ، أبو اليمن عبد الرحمن العلمي الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ)، تح: نور الدين طالب ، دار النوادر، الكويت، ط ٢ ، ١٤٣٢ هـ.
- ٢٦٩- فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٢٧٠- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ، أحمد بن محمد الصديق المغربي (ت ١٣٨٠ هـ) ، تح: محمد هادي الأميني ، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، أصفهان ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ.

- ٢٧١- فرائد السمطين، إبراهيم بن محمد الحموي الجويني (ت ٧٣٠ هـ)، تح: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، ب.ت.
- ٢٧٢- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، رضي الدين علي بن موسى الحسيني بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، منشورات الرضي، مط أمير، قم المقدسة، ١٣٦٣ هـ ش.
- ٢٧٣- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، محمد صادقي طهراني (ت ١٤٣٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، طهران، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٧٤- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي (ت ٤٢٩ هـ)، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧ م.
- ٢٧٥- فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مرتضى الحسيني الفيروز آبادي (ت ١٤١٠ هـ)، منشورات فيروز آبادي، مط أمير، ط ٢، ١٤٢٤ هـ.
- ٢٧٦- الفقه الميسر، عبد الله الطيار وآخرون، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٢٧٧- الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، العلامة محمد جميل حمود العاملي، شركة الأعلمي، بيروت، ط ٤، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
- ٢٧٨- في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك (ت ١٤١٧ هـ) المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط ١، ب.ت.
- ٢٧٩- في رحاب القرآن، محمد مهدي الآصفي (ت ١٤٣٦ هـ)، المشرق للثقافة والنشر، النجف الأشرف، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
- ٢٨٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦ هـ.
- ٢٨١- القاموس الفقهي، حسين عبد الله مرعي (ت ١٤٢١ هـ)، دار المجتبي، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٢٨٢- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ١٢٩١ هـ)، تح: نصر الهوريني المصري، دار الحديث، القاهرة، ب.ط، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ٢٨٣- قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، تح: ميرزا عرفانيان اليزدي، النشر الهادي، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٢٨٤- قواعد العقائد، الخواجة نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ)، تح: علي الرباني الكلبيكاني، مط أمير، قم المقدسة، ١٤١٦ هـ.
- ٢٨٥- قواعد الكلامية، علي الرباني الكلبيكاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، ط ٣، ١٤٣١ هـ.
- ٢٨٦- قواعد المرام في علم الكلام، كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩ هـ)، تح: أنمار معاد المظفر، ط ١، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

- ٢٨٧- الكافي ، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) ، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية ، مرتضى اخوندي طهران ، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.
- ٢٨٨- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨ هـ) ، تح: جواد الفيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١، ١٤١٧ هـ .
- ٢٨٩- الكامل في التاريخ ، عز الدين علي بن أبي الكرم بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، تح: عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٢٩٠- كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦ هـ) ، تح: محمد باقر الأنصاري ، منشورات حسين التميمي ، النجف الأشرف ، ب.ط ، ب.ت .
- ٢٩١- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تح: مصطفى حسين، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٢٩٢- كشف القناع عن متن الإقناع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت ١٠٥١ هـ) ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ب.ت .
- ٢٩٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣ هـ) ، دار الأضواء ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٩٤- الكشف والبيان في تفسير القرآن ، أحمد بن محمد أبو إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- ٢٩٥- كمال الدين وتمام النعمة ، ابن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، مكتبة الصدوق ، طهران ، ب.ت .
- ٢٩٦- كنز الدقائق و بحر الغرائب ، محمد بن محمد رضا المشهدي (ت ١١٢٥ هـ) تح: حسين دركاهي، وزارة الثقافة والإرشاد ، طهران ، ط ١، ١٣٦٧ هـ .
- ٢٩٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٩٨- كنز الفوائد ، أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩ هـ) ، مكتبة المصطفوي ، قم المقدسة ، ط ٢ ، ١٣٦٩ هـ ش .
- ٢٩٩- الكنى والألقاب ، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، مكتبة الصدر ، طهران ، ب.ت .
- ٣٠٠- لب الألباب، سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) ، آل عبا (عليهم السلام) ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ .
- ٣٠١- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين النعماني (ت ٧٧٥ هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

- ٣٠٢- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ.
- ٣٠٣- اللعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) ، محمد بن علي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠ هـ) تح: هاشم الميلاني ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ.
- ٣٠٤- اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية ، المقداد السيوري الحلبي (ت ٨٢٦ هـ) ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم المقدسة ، ب.ط ، ب.ت.
- ٣٠٥- مائة منقبة، محمد بن احمد بن شاذان القمي (ت ٤٢٠ هـ) ، تح: مدرسة الأمام المهدي عليه السلام ، مط أمير ، قم المقدسة ، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٠٦- مأساة الزهراء (عليها السلام) ، جعفر مرتضى العاملي (ت ١٤٤١ هـ) ، دار السيرة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٣٠٧- المبدأ والمعاد ، صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ) ، تح: جلال الدين الأشتياني، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم المقدسة ، ط ٣ ، ١٤٢٢ هـ.
- ٣٠٨- المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، نعمت الله الجزائري (ت ١١١٢ هـ) ، منشورات مكتبة المرعشي ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ.
- ٣٠٩- المبسوط ، محمد بن أحمد السرخسي (ت ٤٨٣ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ب.ت .
- ٣١٠- متشابه القرآن ومختلفه ، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ) بيدار، قم المقدسة، ط ١، ب.ت .
- ٣١١- مجاز القرآن ، عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) ، تح: مصطفى محمد حسين ذهبي ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ٣١٢- مجد البيان في تفسير القرآن ، محمد حسين النجفي الأصفهاني (ت ١٠٨٠ هـ) ، تح: محمد باكتجي ، مؤسسة البعثة ، طهران ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ.
- ٣١٣- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) ، تح: أحمد الحسيني، مكتبة المرتضوية ، طهران ، ط ٣ ، ١٣٨٦ هـ.
- ٣١٤- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ، تح: لجنة من العلماء الأخصائيين، دار المعرفة ، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- ٣١٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، تح: حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٣١٦- محاضرات في الإلهيات ، الشيخ جعفر السبحاني ، تلخيص علي الرباني ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم المقدسة ، ب.ت .
- ٣١٧- المحاسن ، أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي (ت ٢٧٤ هـ)، تح: مهدي الرجائي ، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة ، ١٣٧٠ هـ .

- ٣١٨- محاسن التأويل (تفسير القاسمي) ، محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢ هـ) ، تح : محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٣١٩- المحتضر، عز الدين حسن بن سليمان الحلبي (ت أوائل القرن التاسع الهجري) ، تح: سيد علي أشرف ، المكتبة الحيدرية ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .
- ٣٢٠- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ، محمد بن مرتضى المحسن الكاشاني (ت١٠٩١ هـ)، تح: علي أكبر الغفاري ، إنتشارات إسلامي، قم المقدسة ، ب.ت .
- ٣٢١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية (ت٥٤٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ.
- ٣٢٢- المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن سيده المرسى (ت٤٥٨ هـ) ، تح: عبد الحميد هندائي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣٢٣- المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، حيدر بن علي آمل (ت٧٨٢ هـ) ، تح: محسن موسوي تبريزي، الناشر نور على نور ، قم المقدسة ، ط ٣ ، ١٣٨٥ هـ ش .
- ٣٢٤- المحيط في اللغة ، إسماعيل بن عباد (ت٣٨٥ هـ) ، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٣٢٥- مختار الصحاح ، زين الدين الرازي الحنفي (ت٦٦٦ هـ) ، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٣٢٦- مختصر بصائر الدرجات ، عز الدين الحسن بن سليمان الحلبي (ت أوائل القرن التاسع الهجري) ، منشورات الطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ط ١ ، ١٣٧٠ / ١٩٥٠ م .
- ٣٢٧- المخصّص ، علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨ هـ)، تح: خليل بن إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- ٣٢٨- مدارك التنزيل و حقائق التأويل (تفسير النسفي) ، عبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠ هـ)، تح : مروان محمد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ.
- ٣٢٩- مدينة المعاجز ، السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت١١٠٧ هـ) ، تح: عزة الله المولائي ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ.
- ٣٣٠- مرآة العقول ، العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١ هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ.
- ٣٣١- المزار ، محمد بن المشهدي (ت٦١٠ هـ) ، تح: جواد القيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ.

- ٣٣٢- المسائل السروية ، محمد بن محمد بن نعمان العكبري الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ، تح: صائب عبد الحميد، دار المفيد ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ٣٣٣- مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما ، ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ق ٢) ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- ٣٣٤- المسائل العكبرية ، محمد بن محمد بن نعمان الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ، دار المفيد، بيروت، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ٣٣٥- المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير ، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، دار ابن كثير ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
- ٣٣٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، الميرزا النوري (ت ١٣٢٠ هـ) ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٣٣٧- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ، تح: مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٣٣٨- مسند الإمام الرضا عليه السلام ، عزيز الله عطاردي الخبوشاني ، آستان رضوي مقدس ، ١٤٠٦ هـ .
- ٣٣٩- مسند أحمد ، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، دار صادر ، بيروت، ب.ت
- ٣٤٠- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الحافظ رجب بن محمد البرسي (ت ٨١٣ هـ) ، تح: علي عاشور ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٣٤١- مصباح الزائر ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) ، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- ٣٤٢- مصباح المتهدد ، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، مؤسسة فقه الشيعة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- ٣٤٣- مصباح الهداية في إثبات الولاية ، علي البهبهاني: إشراف رضا الاستادي، مدرسة العلم ، ط ٤ ، ١٤١٨ هـ .
- ٣٤٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أبو العباس أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ب.ت .
- ٣٤٥- مطالع النور السني المنبئ عن طهارة نسب النبي العربي ، عبد الله افندي الرومي (ت ١٠٥٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .
- ٣٤٦- معارج التفكير ودقائق التفكير ، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني (ت ١٤٢٥ هـ) ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ٣٤٧- معالم التنزيل (تفسير البغوي) ، حسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .

- ٣٤٨- معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق أبو جعفر ابن بابويه القمي (ت ٣١٨هـ) ، إنتشارات إسلامي ، قم ، ب.ط ، ١٣٦١ هـ .
- ٣٤٩- معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ، علي الكوراني العاملي ، تح: حمد بن حمادي الجابري، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم المقدسة ، مط بهمن ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .
- ٣٥٠- معجم التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ، القاهرة ، ب.ت .
- ٣٥١- معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، أحمد فتح الله (ت ١٣٣٧هـ) ، مطابع المدوخل ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- ٣٥٢- معجم القرآن ، عبد الرؤوف المصري (ب.ت) ، مط حجازي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- ٣٥٣- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تح: حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ٢ ، ب.ت .
- ٣٥٤- معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- ٣٥٥- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، دار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .
- ٣٥٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٣٥٧- المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط ٤ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- ٣٥٨- معجم تصحيح لغة الإعلام العربي ، الدكتور عبد الهادي أبو طالب (ت ٢٠٠٩ م) ، مكتبة ناشرون ، لبنان ، ب.ت .
- ٣٥٩- المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته ، محمد واعظ زاده خراساني (ت ١٤٣٨هـ) ، استان قدس رضوي، مشهد المقدسة ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ ش .
- ٣٦٠- معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعه جي (ت ١٤٣٥ هـ) ، وحامد صادق قنيبي ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٣٦١- معجم متن اللغة ، أحمد رضا بن ابراهيم العاملي (ت ١٣٧٢هـ) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ .
- ٣٦٢- معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥ هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الاعلام الاسلامي ، قم المقدسة ، ١٤٠٤ هـ .
- ٣٦٣- المُعين على تدبر الكتاب المبين ، مجد بن أحمد مكي ، مؤسسة الريان ، جدة ، ط ٢ ، ١٤٣١ هـ .
- ٣٦٤- مفتاح الأسرار ومصايح الأبرار، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ، تح: محمد علي آذرشب ، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط ، طهران ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .

- ٣٦٥- المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣٦٦- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تح: محمد عبد الخالق عزيمة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م .
- ٣٦٧- مقتنيات الدرر ، السيد مير علي الحائري الطهراني (ت ١٣٤٤هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، مط الحيدري ، طهران ، ١٣٣٧ هـ .
- ٣٦٨- المقنع في الإمامة ، عبيد الله بن عبد الله السد آبادي (ب.ت) تح: شاكرب سابع ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- ٣٦٩- مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام ، ميرزا محمد تقي الأصفهاني (ت ١٣٤٨هـ) تح: علي عاشور ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م .
- ٣٧٠- من لا يحضره الفقيه ، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، تح: علي أكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .
- ٣٧١- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، علي بن محمد المالكي ابن الغزالي (ت ٤٨٣هـ) ، تح: أبو عبد الرحمن تركي ، دار الآثار ، صنعاء ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م .
- ٣٧٢- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ، ابن شهر آشوب رشيد الدين المازندراني (ت ٥٨٨هـ) ، دار الاضواء ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م .
- ٣٧٣- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، أحمد بن موسى بن مردويه (ت ٤١٠هـ) ، تح: عبد الرزاق حرز الدين ، مؤسسة علمي فرهنگري ، دار الحديث ، قم المقدسة ، ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ ش .
- ٣٧٤- المناقب ، الموفق بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) ، تح: مالك المحمودي ، مؤسسة سيد الشهداء ، قم المقدسة ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- ٣٧٥- مناهج البيان في تفسير القرآن ، محمد باقر المياجي الملكي (١٤١٩هـ) ، وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي ، طهران ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- ٣٧٦- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) ، تح: فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م .
- ٣٧٧- منهاج الكرامة ، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) ، تح: عبد الرحيم مبارك ، مؤسسة عاشوراء ، مشهد المقدسة ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ ش .
- ٣٧٨- منهج النقد في علوم الحديث ، نور الدين عتر (ت ١٤٤٢هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م .

- ٣٧٩- من هدى القرآن ، محمد تقي مدرسي، دار محبي الحسين عليه السلام، طهران ، ط ١، ١٤١٩ .
- ٣٨٠- المهدي الموعود المنتظر عليه السلام عند علماء أهل السنة والإمامية ، نجم الدين جعفر بن محمد العسكري (ت ١٣٩٥هـ) ، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، طهران ، ١٤٠٢ هـ.
- ٣٨١- المواقف في علم الكلام ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ب.ت .
- ٣٨٢- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الأعلى بن علي رضا سبزواري (ت ١٤١٤ هـ) ، مكتب سماحة السيد السبزواري، قم المقدسة ، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
- ٣٨٣- موسوعة ابن إدريس الحلبي (مقدمة تفسير منتخب البيان) ، أبو عبد الله محمد بن إدريس العجلي (ت ٥٩٨ هـ) ، تح: محمد مهدي الموسوي ، دليل ما ، مكتبة الروضة الحيدرية ، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- ٣٨٤- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- ٣٨٥- الموسوعة الفقهية ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الانترنت dorar.net، تم تحميله في ١٤٣٣ هـ.
- ٣٨٦- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، خالد عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ) ، تح: عبد الكريم مجاهد ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، ط ١، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.
- ٣٨٧- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط ٣، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.
- ٣٨٨- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلبي ، تح: شرح : المقداد السيوري (ت ٨٢٦ هـ) ، دانشگاه طهران ، مؤسسة مطالعات إسلامي، طهران ، ١٣٦٥ هـ .
- ٣٨٩- نبوة أبي طالب عبد مناف عليه السلام، مزمل حسين الميثمي الغديري ، مكتبة الروضة الحيدرية ، قم ، ب.ت .
- ٣٩٠- النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة ، ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٨٩ هـ) ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم المقدسة ، ط ١، ١٤١٧ هـ .
- ٣٩١- النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب عجل الله فرجه، الشيخ حسين الطبرسي النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، تح: ياسين الموسوي، أنوار الهدى، مط مهر ، قم المقدسة ، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- ٣٩٢- النحو العربي ، الدكتور إبراهيم بركات ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م.

- ٣٩٣- نظم المتنائر من الحديث المتواتر، أبو عبد الله بن إدريس الحسني الكتاني (ت ١٣٤٥هـ)، تح: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، ط ٢، ب.ت
- ٣٩٤- نفحات الرحمن في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحيم نهاوندي (ت ١٣٧١هـ)، بنياد بعثت، قم المقدسة، ط ١، ١٣٨٦ هـ.
- ٣٩٥- نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدسة، ط ١، ١٣٨٤ هـ.
- ٣٩٦- نفس الرحمن في فضائل سلمان، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)، تح: جواد القيومي، مط بنكوتن، مؤسسة الآفاق، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ٣٩٧- النكت الاعتقادية، محمد بن محمد التلعكبري الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤١٤ هـ.
- ٣٩٨- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، تح: عبد الرحيم سيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ب.ت.
- ٣٩٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات الجزري بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- ٤٠٠- نهج البلاغة، صبحي الصالح (ت ١٤٠٧ هـ)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م.
- ٤٠١- نهج البلاغة، ما جمعه محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٤ هـ)، شرح محمد عبده، مط دار الأندلس، بيروت، ط ١، ١٤٣١ هـ.
- ٤٠٢- نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الإمامي، مكتبة الامام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- ٤٠٣- نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، جامعة أم القرى، السعودية، ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٥ م.
- ٤٠٤- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وآله، مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي (ت ١٢٩١ هـ)، منشورات الشريف الرضي، ب.ت.
- ٤٠٥- نور الأبصار، محمد محمد حسن شراب، دار القلم، دار الشامية، ب.ت.
- ٤٠٦- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، نعمت الله جزايري (ت ١١١٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.
- ٤٠٧- هذه فاطمة (صلوات الله عليها)، نبيل الحسني، شعبة الدراسات القرآنية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط ١، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م.

- ٤٠٨- هميان الزاد الى دار المعاد (تفسير القرآن)، محمد بن يوسف الوهبي المصعبي (ت ١٣٣٢ هـ)، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م.
- ٤٠٩- واحة اليقين ، حيدر محمد علي الطحّان البغدادي ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ط ١ ، ٢٠١٣ م.
- ٤١٠- الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي (ت ١١٣٥ هـ) ، تح: مالك المحمودي ، دار القرآن الكريم ، مط نكين ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ.
- ٤١١- الوحي المحمدي ، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (ت ١٣٥٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .
- ٤١٢- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، مط مهر ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ.
- ٤١٣- الوسيط في تفسير الكتاب المجيد ، علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) ، تح: عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ.
- ٤١٤- الولاية التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، علي عاشور ، ب.ط ، ب.ت .
- ٤١٥- ينابيع الحكمة : عباس الإسماعيلي اليزدي ، إنتشارات دليل ما ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ.
- ٤١٦- ينابيع المودة لذوي القربى ، سلمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ) تح: علي جمال أشرف ، دار الأسوة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ.

البحوث

عبد المطلب بن هاشم دراسة في رئاسته على قريش والمنافرة وعقيدته، جامعة البصرة ، كلية التربية ، أ.م.د. علي صالح رسن المحمداوي . دراسات تاريخية العدد التاسع ايلول ٢٠١٠ م.

المكاتب الإلكترونية

مكتبة أهل البيت (عليهم السلام)
المكتبة الشاملة
مكتبة النور (جامع التفاسير)

المجلات

صحيفة صدى المهدي عليه السلام الشهرية التابعة لمركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي عليه السلام العدد: ٢٨ بتاريخ: ٤ / ٦ / ٢٠١٣ م.

سماحة الشيخ فاضل الصفار السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرغب إلى فضيلتكم إغناءً للبحث الذي نويت فيه خدمة أهل البيت عليهم السلام والاستفادة من فيض علمكم في إعطاء رأيكم في مضمون رسالتي (الكبريات المتواردة في النبوة والإمامة - دراسة تفسيرية-) والنتيجة التي توصلت إليها :

١ - توارد الطهارة العامة المطلقة المادية منها والمعنوية في الأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام ، فقد طهروا من الذنوب والكفر والجهل ومن جميع الفواحش والرذائل ومن الخطأ والسهو والنسيان ، وظهرت ولادتهم وأجسادهم وما يخرج منها .

٢ - توارد الولاية العامة المطلقة في النبوة والإمامة التشريعية منها والتكوينية ، فلهم الهيمنة والحاكمية والاتباع وحق التشريع وتقنين الأحكام كما يريد سبحانه وتعالى ، فكان من لوازم ولايتهم التشريعية فرص الطاعة لهم والرضا بقولهم ونصرتهم ومودتهم والبراءة من أعدائهم.

وتوارد العلم اللدني ووسائل تحصيله كالوراثه ، فهم من أسرة واحدة توارثوا العلم كابراً عن كابر من نبينا آدم عليه السلام حتى الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) ، وقد توارد الوحي بمعناه العام (الأعلام الخفي) في النبوة والإمامة وإن اختلفت طرقه، كالإلهام وروح القدس . كما لهم السلطة المطلقة للنفوذ في عالم الخلق والطبيعة والتكوين بإذن الله تعالى.

٣ - توارد وقوع الغيبة في النبوة والإمامة ، فقد غيب الله عنوان أو هوية بعض أوليائه مع إحاطتهم التامة بما يجري على الناس ، فيستتر عنهم لمصلحة كتأديب قومه أو خوفه من القتل.

٤ - توارد الرجعة في النبوة والإمامة التي هي معاد جسماني أصغر قبل يوم القيامة ، وفي المعاد الأكبر تتوارد فيهم الشفاعة للخلق بإذن الله تعالى ، والشهادة عليهم يوم القيامة .

ومن خلال ما تقدم توصلت الباحثة الى عدم وجود صفات كبريات لم تتحد بين النبوة والإمامة ، وهذا يعني علو مقام الإمامة الذي هو جعل إلهي ومنصب عظيم كالنبوة ، له ما للنبوة من الكمالات والمقامات إلا أنهم ليسوا أنبياء ولم يتنزل عليهم القرآن ، بل تبين من خلال ما توفر من الأدلة أفضلية الأئمة عليهم السلام على الأنبياء ما عدا نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) فهو أفضل الخلق أجمعين.

مع جزيل الشكر والامتنان أنالكم الله شفاعة محمد وآله الطيبين الطاهرين في الدنيا والآخرة ، وجعلكم مناراً لكل طالب علم.

الباحثة: ساره فارس جليل

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

ما ذكرته الباحثة الفاضلة ساره فارس جليل دام عزها ١١ رجب الأصب ١٤٤٦ هـ

ثابت في الآونة المعاصرة ، وقد مررنا الكثير منه في

كتابنا (الكائن والدقائق) و (المظاهر الإلهية)

سأل الله تعالى لها التوفيق .

فاضل الصفار
١٧ شهر رمضان ١٤٤٦ هـ
كربلاء المعصرة

Abstract

After examining the concepts of prophethood and imamate, we find that there are attributes and characteristics that cannot be separated under any circumstances. This commonality and agreement between them is intended to achieve the goal of resurrection. This thesis addresses an interpretive study of the concept of "consistent major principles" within the context of prophethood and imamate. It reviews the essential attributes shared by prophethood and imamate, which are major positions in Islam. God Almighty has given them numerous attributes and characteristics, which I have grouped under the following major principles:

- Material and Spiritual Purity:

Absolute general purity is consistent in prophethood and imamate. Purity, both spiritual and material, is mingled within them. As for the spiritual aspect, they were purified from the filth of sin, disbelief, and ignorance, from all obscenities and vices, and from congenital and moral defects. They were found to be pure when God took the covenant of His Lordship in the world of particles. They devoted themselves to servitude to God Almighty before He created His creation in the lower world. Regarding physical purity, God Almighty made the prophets and guardians from a single family, from the Prophet Adam (peace be upon him) to the awaited Imam, the Proof (may God hasten

his noble reappearance). They were passed down through lofty loins and pure, virtuous wombs. Their births were pure, and their bodies were cleansed of all impurity or filth. Impurity was never brought near them in any way.

- Legislative and Constitutional Authority

The absolute general authority is transmitted through prophethood and imamate. They possess dominance, sovereignty, and the right to legislate and codify rulings as God Almighty willed. Thus, God Almighty granted them the right to be obeyed by His servants, to submit to them, to be satisfied with their words, to support and love them, and to disavow their enemies.

They possess absolute authority and the power to influence the world of creation and nature, and to act in the world of creation, relying on the permission of God Almighty.

The study reviewed the dual role of prophets and imams in legislation (interpreting and conveying divine rulings) and formation (managing the affairs of the universe by God's permission), emphasizing the complementarity between these two aspects.

- Occultation:

Occultation has occurred in prophethood and imamate. God Almighty concealed the title or identity of some of His saints,

despite their complete knowledge of what was happening to people. They concealed themselves from people by God's command, for reasons such as disciplining their people, fearing being killed, or other motives.

- The Return:

The return is mentioned in the prophecy and the Imamate. It is a lesser physical resurrection. It is a timed resurrection in this world before the Day of Judgment. They will return to this worldly life after their death and live a second life on this earth until they die again. They are the Prophets (peace be upon them) and the Imams (peace be upon them), and a specific group of people who will distinguish the truthful from the false, and the oppressed from the oppressors. It occurred among previous nations and will occur in the future, when the awaited Imam Mahdi (may God hasten his noble reappearance) rises. As for the greater resurrection, when all people are resurrected on the Day of Resurrection to face their reckoning, the Prophets (peace and blessings of Allah be upon them) and the Imams (peace and blessings of Allah be upon them) will have a role in the arenas on the Day of Resurrection. They will testify that they conveyed to their people what would establish proof against them, and they will intercede, by Allah's permission, for whomever they want from among the sinful creation who deserved to enter Hell. Just as the scale for the weight of deeds is only according to the

Abstract.....

degree of belief in them, the belief in their guardianship, and
being guided by them.



**The Republic of Iraq
University of Kerbala
College of Islamic Sciences
Department of Quranic Studies and Jurisprudence / Sharia
and Islamic Sciences**

**Major issues related to prophethood and imamate
-Interpretive study-**

**A letter submitted to the Council of the College of Islamic
Sciences / University of Kerbala as part of the requirements
for a master's degree in Sharia and Islamic Sciences**

**written by Student
Sarah Fares Jalil**

**Supervision
Assistant Professor Dr. Ayat Abdel Wahhab**

٢٠٢٥ AD

١٤٤٦ AH